

التعريب



مَجَلَّةُ نَصَفِ سَنَوِيَّةٍ مُحَكَّمَةٌ تُصَدَّرُ عَنِ الْمَرْكَزِ الْعَرَبِيِّ لِلتَّعْرِيبِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالتَّأْلِيفِ وَالنَّشْرِ بِدَمَشَقَ

المنظمة
العربيّة
للتربية
والثقافة
والعلوم

28

السنة الخامسة عشرة
العدد الثامن والعشرون

ربيع الثاني 1426 - حزيران (يونيو) 2005 م

التعريب



التعريب

مجلة نصف سنوية

العدد الثامن والعشرون

حزيران (يونيو) 2005

المدير المسؤول:

الأستاذ الدكتور عادل نوفل

مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف

والنشر بدمشق

رئيس التحرير:

الأستاذ الدكتور محمود السيد

هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور مفيد جوخدار

الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبيد

الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

الأستاذ الدكتور محمد حلمي هليل

الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني

الأستاذ شحادة الخوري

الأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله الترابي

مجالات اهتمام المجلة

تتركز اهتمامات المجلة على الإسهام في تحقيق أهداف المركز في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره، ومتابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة في العالم للتعريف به وتعريب الجيد الملائم منه، وكذلك ترجمة روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون إلى اللغات الأجنبية العالمية. وفي هذه الأطر تفتح المجلة صفحاتها للدراسات والبحوث الجادة والأصيلة فكرياً وموضوعاً في أحد المجالات التالية:

- * تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.
- * بحوث ودراسات معربة أو مترجمة.
- * التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره.
- * من أعلام الحضارة العربية والإسلامية.
- * عروض للجديد من الكتب والرسائل الجامعية.
- * الإعلام عن الأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز.

إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن رأي

أصحابها ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة أو المركز

يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد بشرط الإشارة إلى مصدرها

التعريب: مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة

والتأليف والنشر بدمشق . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

دمشق . ص.ب: 3752 . هاتف 3334876 البريد الالكتروني: acatap@net.sy ،

صفحة الانترنت: www.acatap.org

ع/15/6/2005

السنة الأولى: 1991 . دمشق

في هذا العدد

الصفحة

* افتتاحية العدد..... 5

* بحوث ودراسات في التعريب

• اللغة العربية الفصيحة في دعم الهوية القومية..... 11

أ. د. محمود أحمد السيد

• تدريس العلوم في ظل تحديات العولمة بين التعريب والتعريب 33

أ. د. علي الطاهر شرف الدين

• تعليم اللغة العربية وفق الطريقة التواصلية، رؤية في اتجاه التطوير 49

أ.د. سام عمار

• تحديات مستمرة تواجه الترجمة إلى اللغة العربية 81

أحمد محمد جواد محسن

* بحوث في مجال التعليم العالي

• مقارنات في المصطلح العلمي 101

أ.د. أبو بكر خالد سعد الله

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

• قواعد البيانات المصطلحية

- 115 دورها في تطوير العمل المصطلحي والترجمي
د. عبد اللطيف عبيد

• الاغتراب والأنسنة في مفهوم الفردانية

- 129 المغامرة الفكرية لمفهوم الفردانية في الثقافة الغربية
أ.د. علي أسعد وطفة

*** بحوث مترجمة**

- 157 ميخائيل أوستينوف: نظريات الترجمة
أ.د. محمد أحمد طجو

*** من أنشطة المركز خلال النصف الأول من العام 2005 171**

*** قواعد النشر في المجلة 175**

*** إصدارات المركز من الكتب 179**

افتتاحية العدد

بقلم الأستاذ الدكتور عادل نوفل

مدير المركز

نقدم إلى المهتمين بمجلة "التعريب" وإلى القراء الكرام العدد الثامن والعشرين وقد ازداد إيماننا بأن نجعل من هذه المجلة منبراً صادقاً لشركائنا في الدفاع عن العربية أمة ولغة وحضارة وتراثاً. وذلك كله بلسان الذين يفتخرون ويعتزون بأمجاد سلفهم ويتطلعون إلى تعزيز حاضرهم واستثراق مستقبلهم وباعتماد اللغة العربية كوسيلة في فهم واستيعاب واستنباط الجديد في كل مجالات العلوم والآداب والفنون.

إن الدخول في ميادين الحضارة المعاصرة ومساكنتها تتطلب منا وقفة مع الذات نتلمس فيها أسباب نجاحات العرب في نهضتهم الأولى أيام "بيت الحكمة" الذي كان يكافئ فيها مترجم الكتاب بوزنه ذهباً بحثاً عن أسس نجاح حضارة الأقدمين ومحاكاتها. وهكذا فقد شكلت لغة نقل المعرفة وهي العربية حجر الزاوية في نهضتنا الأولى. وإذا ما أردنا أن نخترع ونبدع ونسهم في تطوير حضارتنا المعاصرة لابد من أن تكون لغتنا العربية هي الوسيلة أيضاً.

ولما كانت لغتنا العربية قد أثبتت علميتها بعد أن أثبتت عالميتها ونقلت ثقافات الأقدمين وصهرتها في بوتقة عربية الطابع، فإنها في حياتنا المعاصرة تبرهن كل يوم على مطواعيتها ومواكبتها لروح العصر واتجاهاته واستيعاب مصطلحاته العلمية والتقنية في مختلف ميادين المعرفة.

يشمل هذا العدد من مجلة "التعريب" مواضيع بحثية عديدة في مجالات دور اللغة العربية في دعم الهوية العربية وتعليم اللغة العربية وفق الطرق التواصلية وتدریس العلوم في ظل تحديات العولمة بين التعريب والتغريب وغيرها من مواضيع تتدرج ضمن المحاور التقليدية لمجلة

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

"التعريب". وقد وردت هذه البحوث والمواضيع من أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات العربية ومن باحثين عرب من مختلف الدول العربية. وهذا مما يدل ويؤكد على الشراكة بين هؤلاء الزملاء في تحمل مسؤولية تعزيز دور اللغة العربية في التعليم العالي.

وإنها لدعوة دائمة نجدها باستمرار من المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى كافة أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات العربية وإلى علمائنا الباحثين العرب على نطاق الساحة العربية لأن يمدوا مجلتهم "التعريب" بأبحاثهم ودراساتهم للنشر في هذه المجلة التي ستكون دائماً الرائدة في دعم تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتذليل الصعوبات التي تعترض مسيرته.

والله ولي التوفيق

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

بحوث ودراسات في التعريب والترجمة

التحريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

اللغة العربية الفصيحة في دعم الهوية القومية

أ.د. محمود أحمد السيد

وزير الثقافة في الجمهورية العربية السورية

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف وظيفة اللغة بصورة عامة، وأن نقف على نماذج من عناية الأمم الحية بلغتها القومية، ثم نقف على الدور الذي تؤديه اللغة العربية الفصيحة في دعم الهوية القومية، لنقدم بعضاً من أساليب تعزيز الانتماء للهوية القومية متمثلة في اللغة العربية الفصيحة.

أولاً: اللغة مفهوماً ووظيفة

إن مفهوم اللغة مفهوم شامل وواسع، إنه مفهوم منظومي يشتمل على اللغة المنطوق بها "لغة الأصوات"، واللغة المكتوبة والإشارات والإيماءات والتعبيرات الوجيهة التي تصاحب عادة سلوك الكلام، إضافة إلى جميع صور التعبير من رسم ونحت ورقص وموسيقى... إلخ، ولا يعد التعبير بأصوات مقطعية إلا أحد أشكال اللغة. وتبقى اللغة الصوتية "اللغة المنطوق بها" هي وسيلة التواصل الأكثر شيوعاً واستعمالاً، والاقتصار على دراسة اللغة في صورتها المكتوبة يغفل النظام الصوتي في هذه اللغة وآثارها الممكنة على التراكيب والمعاني.

وتؤدي اللغة وظائف متعددة في حياة الفرد والمجتمع، فهي وسيلة الفرد للتعبير عن مشاعره وعواطفه وأفكاره، وبها يقضى حاجاته وينفذ مطالبه، ويحقق مآربه في المجتمع الذي يحيا فيه، وبوساطتها ينقل تجربته إلى الآخرين، كما أنه يطلع على تجاربهم الحاضرة والماضية وعلى تجارب الأمم الأخرى ولغاتها، واللغة هي وسيلة المرء أيضاً للتحكم في بيئته لأنها أداة التفكير

وثمرته⁽¹⁾.

واللغة هي وسيلة المجتمع أيضاً لتسهيل التلاحم الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي والانصهار الفكري بين أفراد المجتمع والأمة، وهي مستودع تراث الأمة لأن كل كلمة تحمل في طياتها خبرة بشرية، وإلى هذا أشار المفكر "ماكس مورو" قائلاً: "باللغة وباللغة وحدها يندمج الفرد بالمجتمع، ويتلقى تراث الأمة الفكري والشعوري والأخلاقي والاجتماعي كله، التراث المنحدر من قرائح الكتاب والشعراء والمفكرين السابقين منهم والمعاصرين"⁽²⁾.

ولا تقتصر وظيفة اللغة على الوظيفة المعرفية من حيث تعرف فكر الآخرين في المجتمع الواحد وفكر الآخرين في المجتمعات الأخرى، وإنما هنالك الوظيفة النفسية إشباعاً للحاجات النفسية وإرضاءً للميول والاهتمامات، وثمة الوظيفة الاجتماعية إعداداً للحياة الاجتماعية والتكيف مع البيئة المادية والاجتماعية، ونقلاً لتراث المجتمع من الأجداد والآباء إلى الأبناء والأحفاد، وإحياء لهذا التراث وتنميته وتجديده، وتقارباً للفكر في داخل الجماعة والمجتمع مما يساعد على إيجاد أساس ثقافي مشترك يعمل على وحدة الجماعة وتضامنها، وأخيراً يتم بوساطة اللغة التبادل الثقافي بين الشعوب المختلفة مما يؤدي إلى تقارب الثقافات والحوار بينها وصولاً إلى القواسم المشتركة التي تخدم الإنسانية عبر مسيرتها الحضارية.

وثمة ارتباط وتلازم بين اللغة والفكر، إذ لا يمكننا أن نتصور فكراً من غير لغة، ولا لغة من غير فكر، ذلك لأن اللغة ليست رموزاً ومواصفات فنية فحسب، ولكنها إلى جانب ذلك وفي الأساس منهج فكر وطريقة نظر وأسلوب تصور، هي رؤية متكاملة تمدّها خبرة حضارية متفردة، ويرفدها تكوين نفسي مميز، فالذي يتكلم لغة ما يفكر بها، فهي تحمل في كيانها تجارب أهلها وخبرتهم وحكمتهم وبصيرتهم وفلسفتهم في الحياة لأنها وسيلة تفكير كما هي وسيلة تعبير"⁽³⁾.

ثانياً: نماذج من عناية الأمم الحية بلغاتها القومية

للغة الأهمية الكبيرة في نشوء الأمم، انطلاقاً من كونها أداة التفاعل بين أفراد المجتمع، والرابطة التي تصهر أبنائه في بوتقة المحبة واللقاء والتفاهم وجسر الأمة للعبور من الماضي إلى الحاضر ثم من الحاضر إلى المستقبل.

ولقد أدرك بعض مفكري الغرب الأهمية التي تحتلها اللغة القومية، فعرف المفكر "فيخته" الألماني الأمة الألمانية بأنها جميع الذين يتكلمون اللغة الألمانية، وعدّها أساس القومية، فما هو ذا يقول: "إن الذين يتكلمون بلغة واحدة يكونون كلاً موحداً ربطته الطبيعة بروابط متينة وإن كانت غير مرئية".

وفي ضوء ذلك يعد "فيخته" اللغة والأمة أمرين متلازمين ومتعادلين، كما أشار "هردر" الألماني أيضاً إلى أن اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذي تتشكل به وتحفظ فيه، وتنتقل بواسطته أفكار الشعب، فقال: "إن لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، ولكن قلب الشعب ينبض في لغته، وروحه تكمن في لغة الآباء والأجداد"⁽⁴⁾.

وعندما سئل "بسمارك" عن أفضع الأحداث التي حدثت في القرن الثامن عشر أجاب: "إن المستعمرات الإنجليزية في شمال أمريكا اتخذت اللغة الإنجليزية لغة رسمية لها" وهو يعني أن كان في شمال أمريكا جاليات ألمانية كبيرة، وعند حصول هذه المستعمرات على استقلالها اتخذت اللغة الإنجليزية لغة رسمية لها، وكان يأمل أن تتخذ هذه المستعمرات اللغة الألمانية بدلاً من الإنجليزية كي يضمن ولاءها لألمانيا، وقد أثبت التاريخ صدق نظرية "بسمارك" ففي الحربين العالميتين الأولى والثانية كان ولاء أمريكا لإنكلترا، ولاء إنكلترا لأمريكا ووقوفها معها أيضاً في عدوانها على العراق على الرغم من معارضة الدول الأوروبية كافة. ومن مصادر هذه الولاء اللغة المشتركة التي تجمع بين الأمتين، إذ إن لوحدة اللغة أبلغ الأثر في تقريب التوجه الفكري والثقافي والرؤية المشتركة.

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

ولا يخفى على أحد مدى الاعتزاز باللغة الألمانية من المجتمع الألماني، والحرص على التكلم بها ولو كان الألماني يعرف لغات أخرى، والحرص على حمايتها وتمكين النشء منها، ولقد صدرت مجلة "دي فيلت Die welt" الألمانية بتاريخ 25 نيسان 1968 وعلى صفحاتها الأولى عنوان عريض هو: لا شهادة ثانوية مع ضعيف في اللغة الألمانية" ويتضمن المقال حال طالبة ألمانية قضت لجنة الامتحان رسوبها في الشهادة الثانوية بسبب ضعفها في اللغة الألمانية على الرغم من نجاحها في بقية المواد، وقد أقامت الطالبة دعوى ضد لجنة الامتحان فحكمت المحكمة في فرانكفورت باعتماد قرار لجنة الامتحان، واستأنفت الحكم إلى كاسل kassel فأصدرت محكمة الاستئناف قرارها القاضي بتثبيت الحكم بأنه لا شهادة ثانوية مع ضعيف في اللغة الألمانية، ومعلقة ذلك بأن اللغة هي ركز وكيان وهوية وانتماء ووعاء للفكر وأداة للتفكير وبالتالي فهي أهم مادة في الامتحان⁽⁵⁾.

وإذا انتقلنا إلى فرنسا فإننا نلاحظ أن الثورة الفرنسية منذ أواخر القرن الثامن عشر أدركت أهمية اللغة القومية الفصيحة في بناء الأمة، وأنه لا حرية حقيقية من رواسب الإقطاع، ولا كياناً حقيقياً للشخصية الفرنسية إلا بتمثل اللغة القومية ومعرفتها، فلقد قدّم الراهب "غريغوار" إلى مجلس الثورة تقريراً عن حالة اللغة الفرنسية جاء فيه: "إننا نستطيع أن نؤكد دون مغالاة أن نحواً من ستة ملايين من الفرنسيين وبخاصة في الأرياف لا يعرفون شيئاً عن اللغة القومية، وعدداً لا يقل عن ذلك إذا عرفوا شيئاً منها فإنهم لا يستطيعون أن يواصلوا التحدث بها، وعدد الذين يحسنون التكلم بها بفصاحة لا يتجاوز ثلاثة ملايين. أما الذين يستطيعون كتابتها على وجه الصحة فهم أقل من ذلك بكثير"، واقترح "غريغوار" حلاً لهذه المشكلة تمثل في محاربة اللهجات المحلية ونشر اللغة الفصيحة بين المواطنين جميعهم⁽⁶⁾.

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

وفي فرنسا حالياً يرى المربي "Pierre Clarac" في كتابه "L'enseignement du francais" أن مدرس الرياضيات تحمر وجنتاه ويتطاير الشرر من عينيه عندما يخطئ الطالب في أثناء حل المسألة الرياضية خطأ لغوياً في لغته الأم، ويقول له: خطأك في لغتك أدهى وأمر من خطئك في حلّ المسألة الرياضية⁽⁷⁾.

وغني عن البيان أن الأمم التي وحدت كلمتها وبنّت قوميتها وأظهرت كيانها وشخصيتها لجأت إلى اللغة وسيلة لذلك التوحيد وهذا البناء، فالوحدة الألمانية ومن بعدها الوحدة الإيطالية قامتاً على أساس وحدة اللغة، وعلى أساسها قامت القومية البولونية والبغارية واليونانية...

وعندما قامت الثورة الروسية اتخذ "ليني" قراراً ينص على ضرورة إتقان لغة الشعب من المسؤولين كافة.

وفي فيتنام خاطب الزعيم الفيتنامي أبناء شعبه قائلاً: "لا انتصار لنا على العدو إلا بالعودة إلى لغتنا وثقافتنا القومية"، ويقول في وصاياه للفيتناميين: "حافظوا على صفاء اللغة الفيتنامية كما تحافظون على صفاء عيونكم، تجنبوا أن تستعملوا كلمة أجنبية في مكان بإمكانكم أن تستعملوا فيه كلمة فيتنامية"⁽⁸⁾.

ولم نذهب بعيداً فها هي إسرائيل تقيم كيانها على إحياء اللغة العبرية، إذ كانت لأغلبية المهاجرين اليهود إلى أرض فلسطين لغة ألمانيا والنمسا وروسيا وبولونيا وأوروبا الشرقية عامة، وكانت لهذه اللغة آدابها، ولكنهم تركوها ليحيوا لغة أخرى مانت عملياً منذ ألفي سنة ألا وهي العبرية⁽⁹⁾.

وفي أيامنا المعاصرة نلاحظ التنافس بين الدول العظمى على نطاق الساحة الدولية في فرض لغاتها وتأمين سبل انتشارها وسيرورتها وفي الحافظ عليها وتأمين المنح للدارسين للإقبال على دراستها، وهذا التنافس يبدو جلياً بين فرنسا وأمريكا حتى باتت اللغة الإنجليزية لغة العولمة على النطاق العالمي، وهذا ما جعل أمريكا تضغط على المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة

"اليونسكو" للحوول دون اعتماد قرار التنوع الثقافي والتعدد اللغوي على النطاق العالمي، لأن في اعتماد هذا القرار حفاظاً على الذاتية الثقافية للشعوب واحتراماً للغتها القومية، وهذا ما يتنافى مع استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في سيطرة لغتها كما سيطرت عسكرياً على العالم، وفرضت حق القوة في جميع الميادين على المجتمعات الأخرى، ومن لم يكن معها في منهجها فهو ضدها.

ثالثاً: اللغة العربية والهوية القومية

إذا كانت بعض الأمم تقوم على وحدة الهدف السياسي، أو على وحدة الأرض أو الأصل والعادات والتاريخ المشترك فإن قوميتنا تتجلى أكثر ما تتجلى في وحدة اللغة، فاللغة هي رمز للهوية القومية والذاتية الثقافية، وهي رمز للكيان القومي وعنوان للشخصية.

ولئن كانت الثقافة هوية وانتماء فإن الانتماء ما هو إلا وليد لعملية التفاعل الاجتماعي التي تبدأ مع اللحظة الأولى من حياة الإنسان، وتكون اللغة من أهم رموز التفاعل الاجتماعي والتواصل مع الآخرين، إذ إن لغتنا القومية ليست رموزاً جافة، وإنما هي دقات مشاعر وحزم من العواطف والمعاني السامية، تتغلغل في حنايا النفس، فتستثير العقل، وتغذي الوجدان، وتسمو بالروح إلى آفاق الحق والخير والجمال، وتصهر أفراد المجتمع في بوتقة اللقاء الفكري والمشاركة الوجدانية والتعاطف النبيل.

ولما كانت اللغة أداة الثقافة والطابع الخاص الذي يميز شعباً عن غيره كانت لها المكانة الكبيرة لدى الأمم الحية، وإلى هذا أشار "René Maheur" المدير السابق لليونسكو إذ يقول "إن الأمة التي لا تؤمن بنفسها لا وجود لها، وذلك أنه لا يكفي أن يكون لها سفراء ورئيس دولة وعلم وموظفو جمارك... إلخ، فإذا لم يكن لشعبها طابع خاص به يعبر عن نفسه وخصائصه ومميزاته وطرائقه الخاصة في الحياة فلا وجود له، واستقلاله استقلال سطحي لا يدوم. إن الطريقة الوحيدة لأي شعب من الشعوب لأن يعبر عن وجوده هي الثقافة والوعي بالطابع الخاص الذي يميزه عن

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

غيره، واللغة هي أداة هذه الثقافة ووسيلتها⁽¹⁰⁾.

ويلخص ألبرت "Allpart" الدور الاجتماعي للغة في أنها:

- تجعل للمعارف والفكر البشرية قيمة اجتماعية بسبب استخدام المجتمع اللغة للدلالة على معارفه وأفكاره.

- تحتفظ بالتراث الثقافي والتقاليد الاجتماعية جيلاً بعد جيل

- تساعد الفرد على تكيف سلوكه وميوله حتى يناسب هذا السلوك تقاليد المجتمع وسلوكه.

- تزود الفرد بأدوات للتفكير⁽¹¹⁾.

ومن الواضح أن لغتنا العربية وحدث بين العرب في مختلف الحقب. وما تزال الرابط الذي يربط بين أبناء الأمة فيوحد مشاعرهم ويجمع أفكارهم في بوتقة اللقاء والنفاهم، كما أنها مستودع لتراث أمتنا والمحافظة على هويتنا من الضياع، وعلى شخصيتنا من الذوبان.

ولهذا كانت لغتنا العربية محط سهام أعداء الأمة على مرّ العصور، إذ أرادوا إبعادها عن أن تتبوأ مكانتها في الحياة، لأن التاريخ يعلمنا أنه ما وجدت أمة من الأمم إلا كانت لها لغتها الخاصة بها، وأن فقدانها لهذه اللغة يؤدي بها لا محالة إلى فقدان وعيها وإنيته وذاتيتها، لأن المحتل يحرص دائماً على فصل ضحاياه عن ماضيهم بقطع وسيلة الاتصال التي هي صدى أسلافهم والقوة الطبيعية الحية لأمتهم، إذ إن اللغة المكتوبة هي الإسمنت الذي يضمن تماسك الوحدة الوطنية، وهي العروة الوثقى التي تربط بين الأحياء وتصل بالأموات، ويكتب بها سجل الأمم⁽¹²⁾.

ولقد باءت محاولات المستعمرين في القرن العشرين في فرض لغتهم الأجنبية على بلادنا بالإخفاق، وعندما حصلت بلداننا على استقلالها، وتبوأّت اللغة العربية مكانتها عادوا مجدداً إلى وصم لغتنا العربية بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر، وأن على أبناء العربية حتى يلحقوا بركب العصر أن يتخلوا عن الأحرف العربية ويستبدلوا بها الأحرف اللاتينية وأن يكتبوا بالعامية لأن ثمة صعوبة في تعلم العربية الفصيحة وعجزاً عن تأدية الأغراض العلمية، ولقد ظهرت هذه

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

الدعوة على يد المستشرق الألماني "سبيتا"، والمهندس البريطاني "ويلكوكس" والمستشرق البريطاني القاضي "ويلمور" والمستشرق الفرنسي "ماسينيون"⁽¹³⁾.

وقد حمل نفر من أبناء العروبة ألوية هذه الدعوة في مصر ولبنان، وممن حملوها سلامة موسى وعبد العزيز فهمي وأنيس فريحة وغيرهم. وفي الوقت نفسه كان ثمة مدافعون عن العربية من المستشرقين والمفكرين العرب، ومفندون لتلك الدعوة والكشف عن خطورة مراميها، إذ إن الهدف من هذه الدعوة يتمثل في إبعاد العرب عن حضارتهم وتراثهم، لأن هذا التراث الغني والضخم مكتوب بالعربية الفصيحة، وهؤلاء الداعون يرومون خلق فجوة بين ماضي هذه الأمة وحاضرها لأن هذا الماضي عامل حفز ودفع إلى الأمام، كما أن الهدف من العامية يتمثل في تثبيت التجزئة والانفصال بين البلدان العربية نظراً لاختلاف لهجة كل قطر عن الآخر، حتى أن العامية تختلف بين محافظة وأخرى في القطر الواحد، فهي عامل تفريق على حين أن الفصيحة عامل توحيد، وحدت بين العرب قديماً بطريق القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم آية لنبوته وتأيداً لدعوته ودستوراً لأمته، ولولا ذلك الكتاب العربي المبين لكان العرب بدداً.

ولقد أكسب القرآن الكريم اللغة عذوبة في اللفظ، ورقة في التراكيب، ودقة في الأداء، وقوة في المنطق وثروة في المعاني، ووسّع دائرة اللغة باستخدام ألفاظ جديدة.

وواكبت اللغة العربية مسيرة أمتنا، فكانت تقوى بقوتها وتضعف بضعفها، ذلك لأن اللغة العربية مرافقة للأحياء الذي يتكلمون، وقد اتسمت العربية بسمات متعددة إن في حروفها أو في مفرداتها أو في إعرابها أو في دقة تعبيرها أو في إيجازها، ولقد قال المستشرق الأمريكي "وليم باول": "إن اللغة العربية من اللين والمرونة ما يمكنها من التكيف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تنقهر فيما مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، وهي ستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي"⁽¹⁴⁾.

بيد أنه من الملاحظ أن ثمة تسبباً لغوياً على نطاق الساحة القومية، وأن هناك ضعفاً في الأداء اللغوي للطلبة في مراحل التعليم العام وفي التعليم الجامعي، يضاف إلى ذلك كله محاصرة العامية للفصيحة في الاستخدام في مرافق الحياة وفي الأنشطة الإذاعية والتلفزيونية وعلى واجهات المحال وفي اللافتات والإعلانات والمسرحيات وغيرها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى محاصرة اللغات الأجنبية للعربية في التعليم الجامعي في أغلب جامعات الوطن العربي، والاستهانة باستخدام العربية في المحافل الدولية على الرغم من اعتمادها في هذه المحافل، وما أجمل مقولة أحد المستشرقين: "ما رأيت لغة في العالم أغنى من اللغة العربية الفصيحة، وما رأيت لغة في العالم مظلومة من أبناءها مثل العربية الفصيحة".!

رابعاً: من أساليب تعزيز الانتماء للهوية القومية

لما كانت اللغة العربية الفصيحة عاملاً أساسياً موحداً بين أبناء الأمة كان الواجب القومي يفرض على أبناء العربية الالتزام بهذه اللغة في جميع المواقف، لأن ذلك حفاظاً على ذاتيتهم الثقافية في ظلال عولمة تروم إخماء الثقافات الأخرى غير عابئة بالتعددية اللغوية والتنوع الثقافي ولقد كانت لغتنا العربية لغة عالمية في فترة من فترات تاريخ البشرية على النحو الذي هي عليه حالياً اللغة الإنجليزية، وأسهمت هذه اللغة في مسيرة الحضارة الإنسانية إذ إنها نقلت عن اللغات الأخرى واستوعبت وتمثلت ثم أسبغت الطابع العربي على ما نقلته وأضافت وأبدعت وابتكرت، وقدمت خلاصة ذلك كله إلى أوروبا، وها هو ذا "جاك شيراك" رئيس الجمهورية الفرنسية يقول في كلمة افتتاحية له في مؤتمر اليونسكو عام 2001: "ما الفلسفة؟ وما الأدب؟ وما الشعر؟ وما الرياضيات؟ لولا الثقافة العربية التي اطلعت على الثقافات الأخرى، ثم قدمت للآخرين ثقافتها وخلاصة ما اطلعت عليه، وتجاوزت حدودها في الوقت الذي كانت فيه أوروبا منغلقة على نفسها".

وما دام للغة العربية إسهامها في مسيرة الحضارة البشرية وما دامت لها ذاتيتها القومية كان على أبنائها الحفاظ على هذه الرابطة التي تجمع بينهم أسوة بالأمم الحية وعنايتها بلغتها، وفيما يأتي عدد من الأساليب التي يجدر بنا نحن أبناء العربية اتباعها تعزيزاً لهويتنا القومية وذاتيتنا الثقافية.

1. دعم مسيرة التعريب

- من بديهيات القول أن التعريب ضرورة قومية وتربوية وأمنية وإبداعية فهو:
- من الجانب القومي ضرورة قومية لأن اللغة مقوم أساسي من مقومات الوحدة
- من الجانب التربوي ضرورة حياتية وعلمية لأن المرء يفهم بلغته الأم أكثر مما يفهم بأي لغة أخرى.
- من جانب الأمن الثقافي ضرورة لإيقاظ الوعي بالغزو الفكري والتبعية الأجنبية المتزايدة.
- من جانب الإبداع والابتكار ضرورة للانتقال من استهلاك الأشياء إلى صنعها وبالتالي إلى منحها الطابع العربي والاسم العربي⁽¹⁵⁾.
- ومن يطلع على خريطة التعريب في وطننا العربي يجد أن ثمة انحساراً في مسيرته في بعض الجامعات العربية، إذ غدا التدريس فيها بالإنجليزية في الوقت الذي كان فيه الأمريكان يدرسون في الجامعة الأمريكية في بيروت إبان افتتاحها باللغة العربية!
- وما زالت أصوات تنطلق في هذه الجامعات تشكك في قدرة اللغة العربية على تدريس العلوم الطبية والهندسية وغيرها من العلوم بهذه اللغة، على الرغم من أن تجربة التعريب في الجامعات السورية عبر قرن كامل ماثلة أمام الأنظار، وقد أثبتت نجاحها بكل كفاية، ويحوز المتخرجون فيها الدرجات الأولى في بعض الجامعات الأجنبية.
- وعلى الرغم من أن الأمم الحية تعتمد إلى تدريس مناحي الفكر كله في مختلف ميادين المعرفة بلغتها القومية، فما هي ذا دول أوروبا كبرها وصغيرها، عريقها في العلوم وحديثها فيه،

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

تدرس بلغتها القومية رغم بداية بعضها في التقدم العلمي، ورغم قلة الكتب العلمية المؤلفة بلغتها. وعلى الرغم من أن التجربة الفيتنامية ماثلة أمام الأنظار في قوة الانتماء إلى اللغة الأم إذ أصدر "هوشي مينة" القائد الفيتنامي أمره بالفتنة الشاملة، وكانت الفرنسية للمجتمع الفيتنامي قد دامت أكثر من ثمانين سنة، وقد طلب أساتذة كلية الطب في هانوي مقابلته ليخبروه بأن فتنة الدراسات الطبية عملية مستحيلة بسبب جهل أساتذة كلية الطب وطلبتها باللغة الفيتنامية، وطلبوا إليه العدول عن قراره أو إهمال تطبيق الفتنة على كلية الطب، واستمع القائد الفيتنامي لهم ساعات ثم حسم الموقف في نهاية المقابلة قائلاً: "يسمح لكم بالتدريس باللغة الفرنسية بصورة استثنائية هذه السنة فقط، مع ضرورة تعلمكم وطلبتكم اللغة الفيتنامية الوطنية خلال أشهر الدراسة التسعة، على أن تجري الامتحانات وفي سائر المستويات في نهاية السنة باللغة الفيتنامية، ثم تستأنف الدراسة في السنة المقبلة باللغة الفيتنامية"⁽¹⁶⁾.

على الرغم من ذلك كله ما يزال بعض أعضاء الهيئة التدريسية في بعض جامعات وطننا العربي مصرراً على قناعته بتدريس المواد العلمية باللغة الأجنبية، ويبين لنا الدكتور عبد الصبور شاهين هذه الحال قائلاً: "تبرز مأساة اللغة العربية بوضوح إذا ما رأينا أن العلوم التي تقوم عليها الحضارة الحديثة كالهندسة والطب والصيدلة والطبيعة والرياضيات كلها تدرس باللغة الإنجليزية في جامعاتنا، لا لأن اللغة العربية عاجزة عن تمثيل حقائقها ومصطلحاتها تمثيلاً ما، بل لأن هيئات التدريس في هذه المجالات هي العاجزة عن استعمال اللغة العربية أداة لنقل المعارف الحديثة ومتابعة ما ينشر في الخارج بفكر ولسان عربيين.

ولقد حضرت أخيراً مناقشة لرسالة في عالم الطفيليات يقول الدكتور شاهين، لنيل درجة الدكتوراه كانت نموذجاً للمأساة التي نعيشها نحن في الوطن العربي، ومعبرة عن التمزق العميق في أعلى مستويات البحث العلمي الحضاري: الرسالة محررة بالإنجليزية، وقدمت الطالبة ملخصاً عنها بالإنجليزية أيضاً، وبدأت المناقشة فتحدث المشرف بالعربية، وناقش أحد الأعضاء الطالبة بالإنجليزية، وناقش العضو الآخر الطالبة بالعربية، وكانت الطالبة ترد وتناقش بالإنجليزية

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

وبالعربية في لغة مختلطة كاختلاط الرفق في الثوم المهلهل، وذلك في كلية الطب بإحدى الجامعات المصرية العريقة، ولو أن هذا الموضوع كان مطروحاً بجامعة دمشق لكتب بالعربية ولنوقش بالعربية دون أدنى صعوبة في الأداء أو في المصطلحات".

ويتابع الدكتور شاهين: "لنقلها بصراحة، إن اللغة العربية غير عاجزة، وإنما العجز في بعض بنيتها سواء أكان العجز من النوع الثقافي المتمثل في ضعف إلمام أساتذة القاهرة باللغة العربية ومصطلحاتها، أم كان من النوع النفسي إذا افترضنا فيهم القدرة على استعمال اللغة، ولكنهم يحجمون عن خوض التجربة لفقر في الإحساس بالكرامة القومية، ذلك الإحساس الذي يدفع الجندي الأمين إلى اقتحام الأهوال، وقد كان خليقاً أن يدفع هؤلاء الأساتذة إلى صنع المحال"⁽¹⁷⁾.

ولقد تناول الموضوع نفسه الدكتور كمال يوسف الحاج في كتابه: "في فلسفة اللغة" عندما يقول: "لا أبالغ إذا قلت إن معظم مشكلاتنا الاجتماعية سببه التنازل عن واحدنا الأحد، عن تاريخنا الواحد، عن لساننا الواحد، عن أرضنا الواحدة، عن تراثنا الواحد، عن إرادتنا الواحدة. وليس في العالم شعب يريد إدخال عفاف على عفافه، إن كل أمة عزيزة الجانب، أبية الخلق، ثابتة الإرادة، تقدم لغتها على لغة سواها، ولا تتناول أشياء الآخرين إلا من بعد أشياءها القومية، أي من وراء حدودها الوطنية"⁽¹⁸⁾.

ولا يقتصر التعريب على التدريس في الجامعات بالعربية وإنما يشمل سيرورة اللغة العربية وانتشارها في جميع مرافق الحياة، على واجهات المحال التجارية واللافتات، والإعلانات والمعاملات وفي المؤتمرات والندوات التي تقام على الأرض العربية، وفي المحافل الدولية حيث تعتمد فيها العربية... إلخ.

يضاف إلى ذلك كله تعزيز الترجمة في اللغة العربية من اللغات الأخرى، وفي ذلك إغناء للثقافة العربية، إذ إن نسبة ما يترجم من اللغات الأخرى إلى العربية نسبة ضئيلة جداً.

2. الانفتاح على اللغات الأخرى والثقافات الأخرى

إن الالتزام باللغة القومية في التدريس وفي الأنشطة الثقافية وفي مختلف مرافق الحياة لا يحول دون الانفتاح على الثقافات الأخرى وتعلم اللغات الأجنبية في الوقت نفسه انسجماً مع طبيعة أمتنا وطابع قوميتنا، فهي قومية إنسانية لا تعرف التزمت وضيق الأفق، وهذا هو منهج أمتنا ماضياً، وهو منهجها حاضراً ومستقبلاً، ولا سيما أننا نعيش في ظلال عالم انفتحت فيه الحضارات على بعضها، وثمة تتاقف وتبادل ثقافي على النطاق العالمي، غدا فيه العالم قرية كونية صغيرة.

وفي إتقان اللغات الأجنبية إلى جانب اللغة القومية دعم للتعريب وارتقاء بمسيرته، ولقد كان رجالات التعريب الأوائل قدوة ومثالاً في إتقانهم لتخصصهم من جهة وللغتهم العربية من جهة ثانية وللغة الأجنبية من جهة ثالثة، وهذا ما أدى إلى إسهامهم الفعال في حركة التعريب.

ولئن كانت اللغة الإنجليزية هي الأكثر شيوعاً وانتشاراً على الصعيد العالمي فهذا لا يحول دون تعرف ثقافات الأمم الأخرى ولغاتها في الشرق والغرب، وفي ذلك إغناء لتقافتنا العربية ودعم لها.

3. الحرص على نقاء اللغة وسلامتها

ويتمثل هذا الحرص في العملية التعليمية في المدارس والمعاهد والجامعات، كما يتمثل في الأنشطة الإعلامية في الكلمة المسموعة والمرئية والمكتوبة، مسلسلات تلفزيونية ومسرحية وسينمائية وحوارات وندوات، إذ ينبغي أن يحال دون استخدام العامية في هذه المناشط كافة، كما يحال دون استخدامها في اللافتات والإعلانات في الساحات، وعلى واجهات المحال، وإن يصار في الوقت نفسه إلى استبعاد الأخطاء المرتكبة في اللغة الفصيحة، وإن يكون ثمة حرص كبير على نقاء هذه اللغة وخلوها من الأخطاء في كل ما تقع عليه عين القارئ، وفي كل ما يتسمع إليه، وفي كل ما يعبر عنه شفاهياً كان أو كتابياً.

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

ومن جهة أخرى لا بدّ من استخدام العربية الفصحى في تسميات المحال التجارية وما يستخدم على واجهاتها، إذ ليس ثمة مسوغ لاستخدام "سوبر ماركت" و"سيتي مول" و"سلام شوبنج سنتر للمحجبات" و"سنتر أبو علي"... إلخ، ما دامت البدائل بالعربية موجودة

ومرة أخرى لنتعظ من تجارب الآخرين ففي فرنسا تشن حملة واسعة للدفاع عن اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية ضدّ تسرب اللغة الإنجليزية والثقافة والأمريكية إلى فرنسا، وقد أعلن وزير الثقافة الفرنسي أن الإنجليزية والثقافة الأمريكية تولفان خطراً يهدد اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية، وكان ذلك إثر انتخاب "ميتران" رئيساً للجمهورية الفرنسية عام 1981، كما أعلن وزير البحث العلمي الفرنسي آنذاك أن وزارته لن تدعم أي مؤتمر أو لقاء دولي تكون أعماله بلغة أجنبية على أرض فرنسا، وفي فرنسا لجنة عليا للغة الفرنسية أقامت إحدى جمعياتها دعاوي ضدّ شركات فرنسية استخدمت كلمات إنجليزية في إعلاناتها، فأدانته وفرضت عليها غرامات مالية لأنها اعتدت على لغة البلاد وفضلت عليها لغة أجنبية! (19).

4. الالتزام بالعربية في المحافل الدولية حيث تعتمد العربية

من المؤلم حقاً أن يتحدث بعض أبناء العربية في المحافل الدولية باللغة الأجنبية ولا يتحدثون بلغتهم العربية على الرغم من اعتمادها لغة عالمية رسمية بين اللغات الست المعتمدة في الأمم المتحدة والمنظمات التابعة كالـيونسكو واليونسيف وغيرهما، وليس ثمة مسوغ لهذا التصرف، إذ من بديهيات الأمور أن يعتز المرء بلغته الأم، بلغته الوطنية، وأن يكون مزهواً باستخدامها والتعبير بواسطتها عن أفكاره ومشاعره وآرائه، ويتساءل أحدها كيف نطلب من الآخرين أن يحترمونا ونحن لم نحترم أنفسنا ولا ذاتيتنا الثقافية ولا لغتنا، وقديماً قال زهير بن أبي سلمى: "ومن لم يكرم نفسه لا يكرم"

5. ربط المغتربين بلغتهم القومية

ثمة شريحة كبيرة من أبناء الأمة العربية تعيش في خارج الوطن العربي، وتعد هذه الشريحة من المغتربين ثروة قومية بما لديها من الإمكانيات الفكرية والثقافية والمادية وفي مختلف الجوانب، ويمكن الاستفادة أياً فائدة من هذه الثروة القومية فهم امتداد لذويهم المقيمين على أرض الوطن العربي، وهم سفراء لأمتهم في بلاد الاغتراب، والممثلون لثقافتهم وحضارتها، والمناصرون لقضاياها، والمدافعون عن حقوقها، وإذا كان عليهم واجب تجاه الأمة فإن على بلدانهم مسؤولية توطيد العلاقة بهم وتعرف قضاياهم ومشكلاتهم ومدهم بأفانين الثقافة القومية وضروبها وألوانها ليظلوا على صلة وثيقة بقضايا أمتهم.

ومن الواضح أن اللغة القومية هي الرابطة التي تربطهم بثقافة أمتهم وهي الرابطة التي تجعل أبناءهم وأحفادهم مرتبطين بالوطن والآباء والأجداد، فتعليم العربية لهؤلاء واجب على دولنا، وتعلم لغة الآباء والأجداد واجب مقدس على هذه الشريحة المهاجرة وتعليمها للأبناء حتى تبقى الجسور ممتدة بين الماضي والحاضر وبين الحاضر والمستقبل.

ومن هنا كان افتتاح المراكز الثقافية العربية في بلدان المهجر حيث توجد الجاليات العربية من الأهمية بمكان، ربطاً للمغتربين بأمتهم ولغتها العربية، وتعريفاً للآخرين بثقافتنا العربية في الوقت نفسه.

6. نشر روائع الثقافة العربية وقيمها الإنسانية

من الملاحظ أن ثمة تعتيماً وتشويهاً لثقافتنا العربية، ولما كانت لغتنا مستودعاً لتراث أمتنا كان علينا واجب نقل الجوانب المضيئة والمشرقة من تراثنا إلى الآخرين وتعريفهم بإبداعات حضارتنا ومساهماتها في مسيرة الحضارة الإنسانية، فأمتنا ذات بعد حضاري ممتد في أعماق التاريخ، اخترعت الأبجدية وقدمتها للعالم ونشرت المعرفة والعدالة والقيم الروحية والإنسانية، واحترمت الثقافات الأخرى وقدرت أصحابها، وكان معيارها "قيمة كل امرئ ما يحسن"، "ولا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى"، و"خير الناس أنفعهم للناس".

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

ومن هنا كان ثمة تلازم بين قوميتنا وإنسانيتها، فهي قومية إنسانية ، تكره العنصرية والاستعلاء والعدوان، وتروم السلام، وتقف إلى جانب المستضعفين في كل مكان، وتحترم الإنسان أنى كان، وتريد الخير للناس كافة.

7. حسن الاختيار لما يقدم للناشئة

ولئن كان من سبل دعم الهوية القومية نشر روائع الثقافة العربية وقيمها الإنسانية وتعريف الآخرين من أبناء الثقافات الأخرى بها، فإن من السبل أيضاً وفي الوقت نفسه حسن اختيار ما نقدمه لأجيالنا وناشئتنا، حتى ينشأ الناشئ من أبناء أمتنا معتزاً بتراث أمته وبماضيها المجيد وإبداعاتها في مختلف الجوانب الثقافية، وبإسهاماتها في مسيرة الحضارة البشرية، وبقيمها الإنسانية ونزعتها الغيرية، ذلك لأن الجوانب المضيئة من تاريخ أمتنا تكوّن حافزاً يدفع إلى الأمام لاستئناف المسيرة ولمواصلة ما قدمته الأمة من قبل للآخرين على يد أبنائها المعاصرين، ألم يقل شاعرنا:

خيرُ الناسِ ذو حسبٍ قديمٍ أقام لنفسه حسباً جديداً
وشرُّ العالمين ذوو خمولٍ إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

8. سلامة اللغة العربية في تطويرها

من الواضح أنه لا يمكن الوقوف في وجه تطور اللغة، ولا يمكن الحؤول دون تطويرها، لأن اللغة أقوى من أي سدود تقف في طريقها، إذ إن المحافظة على سلامة اللغة لا تنفي أن اللغة في تطور دائم، ولا سلامة للغة إلا في هذا التطور، فإذا كان نريد للغتنا العربية السلامة فلا تكون السلامة في الجمود، ولكن في الاحتفاظ بأصول اللغة وقواعدها ونظامها ثم في تعبيرها عن حاجات العصر ومتطلباته، "والذين يريدون المحافظة على اللغة، فيرفضون كل جديد مثلهم كمثّل الذي يريد أن يحافظ على جمال الأزهار وطيب رائحتها بوضعها في خزائن حديدية، فتؤدي تلك المحافظة إلى ذبولها، والمحافظة الصحيحة على الكائنات الحية لا تكون إلا بتطويرها وجعلها مطابقة للبيئة التي تعيش فيها"(20).

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

والحفاظ على لغتنا ينبغي ألا يدفعنا إلى التعصب والتزمت ضد كل تطور، فأكمل اللغات وأرقاها ما واكب روح العصر، واستوعب متطلباته، ولغتنا العربية واكبت وستبقى مواكبة روح العصر ما دام فيها من عناصر البقاء والخلود ما يعصمها عن الجمود والتحجر، وما دام القرآن الكريم ينبوع هذه اللغة ومرجعها الأول.

بيد أن محاولات التيسير التي حمل لواءها بعض الباحثين لا بدّ من أن تحافظ على أصول اللغة وقواعدها، إذ إن لكل لغة في العالم قواعدها ومعاييرها، والخروج على القواعد لا يعد تطويراً لها ولا حفاظاً عليها.

9. إتقان أساسيات اللغة

حبذا لو كان من معايير الترقية في مختلف الميادين إتقان أساسيات اللغة، إذ من المعيب أن يعد المرء مثقفاً وهو لا يعرف أساسيات لغته، على أن يطبق هذا المعيار في الترقية بالنسبة إلى المعلمين وأعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات، وعلى العاملين في مختلف مرافق المجتمع، وفي جميع التخصصات.

ومرة أخرى لنتعظ من تجارب الآخرين فلقد أصدر المجلس القومي لمدرسي اللغة الإنجليزية في بريطانيا قراراً أوجب على كل مدرس أن يعد نفسه أولاً لتدريس اللغة الأم حتى لو كان مدرساً للتاريخ أو الكيمياء أو الاجتماع أو غير ذلك من فروع المعرفة.

10. الكشف عن زيف الاتهامات الموجهة ضد اللغة العربية

ثمة اتهامات متعددة يوجهها المتحاملون على الأمة العربية ولغتها، إذ يصف بعضهم لغتنا بالقصور تارة، وبعدم مواكبة روح العصر تارة أخرى، وبالصعوبة تارة ثالثة، وبخلو الأدب العربي من ومضات الوجدان تارة رابعة، وبالعُمومية في مفرداتها تارة خامسة... إلخ.

وهذه الاتهامات كافة عارية عن الصحة، هدفها محاربة هذه الرابطة التي ما تزال توحد بين أبناء الأمة، وعلى أبناء الأمة الغياري على لغتهم أن يكشفوا عن زيف هذه الاتهامات، وأن يقدموا

الأدلة على غنى لغتنا وتميز السمات التي تتحلى بها.

11. الاهتمام بالصناعات الثقافية ذات الطابع العربي

من الملاحظ أن أغلب اللعب التي يلعب بها أطفالنا إنما هي مستوردة من الخارج، وأن ثمة غياباً كبيراً للإنتاج المحلي العربي لأفلام الأطفال ولا سيما الرسوم المتحركة التي يتلهف أطفالنا لرؤيتها، إذ إن أفلام الرسوم المتحركة المتوافرة بالعربية مترجمة في الأعم الأغلب، ومن الملاحظ أيضاً أن مضمون هذه البرامج لا يقتصر على تمجيد العنف والنزعة إلى العدوان والعنصرية والاستعلاء واستثارة الشهوات وتنمية التفكير الخرافي المجانف للأسلوب العلمي، وسيرورة قيم الاستهلاك، وإنما يتجاوز ذلك إلى تقديم الصور المشوهة عن الوطن العربي، وربما كان فيلم "علاء الدين" أنموذجاً صارخاً لهذا التقديم المشوه، ففي 28 مارس 1993 وزعت جوائز الأوسكار في الولايات المتحدة الأمريكية، ورشح فيلم "علاء الدين" للرسوم المتحركة من إنتاج "والت ديزني" لعدة جوائز نال مناه جائزتين لأفضل موسيقى ولأجمل أغنية بعنوان "علم جديد". وهذا الفيلم يبدأ أغنية تصف بلاد علاء الدين على النحو الآتي:

"أنا قادم من أرض بعيدة

من مكان بعيد

حيث تجوب قوافل الجمال

وحيث يقطعون أذنبيك إذا لم يعجبهم وجهك،

وهذا عمل بربري ولكنه بيتي".

ولكن يلاحظ من خلال هذه الأغنية التعصب والاستعلاء وتشويه الحقائق وتزوير التاريخ⁽²¹⁾.

ولا بد من إيجاد البديل لأطفالنا والاهتمام بالصناعات الثقافية للصغار والكبار، ولكم هو مفيد أن يكون هناك مؤسسة للتمويل وصندوق عربي لدعم هذه الصناعة على المستوى القومي، لأن إنتاج الوطن العربي لهذه الصناعات الثقافية إنما هو ضرورة قومية، وتوفير هذه الصناعات وعلى الصعيد القومي هو توفير لجانب هام من الأمن الثقافي العربي ورفض عملي للتبعية ودعم

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

كبير للتنمية الثقافية العربية في داخل الوطن العربي وخارجه، ذلك لأن الأمن الثقافي العربي كالأمن الغذائي لا يمكن ضمانه إلا بامتلاك الأدوات والأجهزة المتحكمة في إنتاج الثقافة ونشرها، ولئن كانت كل الصناعات الثقافية أساسية ومهمة فإن التركيز على الإلكتروني المتطور منها بات أكثر شأناً وخطراً بالنسبة لمستقبل الوطن العربي.

المراجع

- (1) الدكتور محمود أحمد السيد - في طرائق تدريس اللغة العربي - جامعة دمشق - الطبعة الثالثة 1988 - ص 10.
- (2) الدكتور محمد أحمد السيد - تعليم اللغة بين الواقع والطموح - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق 1988 - ص 262.
- (3) الدكتور محي الدين صابر - قضايا الثقافة العربية المعاصرة - دار العربي للكتاب 1983 - ص 120.
- (4) أبو خلدون ساطع الحصري - محاضرات في نشوء الفكرة القومية - مطبعة الرسالة - القاهرة 1951.
- (5) مولود قاسم نايت بلقاسم - إنية وأصالة - الجزائر - منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية - مطبعة البعث - قسنطينة 1975 - ص 72.
- (6) أبو خلدون ساطع الحصري - ما هي القومية؟ - أبحاث ودراسات في ضوء الأحداث والنظريات - بيروت - دار العلم للملايين - ط 2 - 1963 - ص 54 و 60.
- (7) -Pierre Clarac - L'enseignement du français - Presses universitaires de France - Paris 1998.
- (8) عثمان السعدي - العبرنة الشاملة والتحكم بالتكنولوجيا المعاصرة في الكيان الإسرائيلي - جامعة الكويت - كلية التربية - قسم أصول التربية - ص 5.
- (9) مولود قاسم نايت بلقاسم - المرجع الخامس - ص 74.
- (10) عثمان السعدي - المرجع الثامن - ص 6.
- (11) الدكتور عبد العزيز عبد المجيد - اللغة العربية - الجزء الأول - دار المعارف بمصر - 1969 - ص 19.
- (12) المرجع الخامس - ص 68.
- (13) الدكتور محمد أحمد السيد - شؤون لغوية - دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان - 1989 - ص 14.
- (14) الدكتور محمد أحمد السيد - اللغة العربية وروح العصر - مجلة التعريب - السنة الثالثة عشرة - العدد الخامس والعشرون 2003 - ص 14.
- (15) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - الخطة الشاملة للثقافة العربية - تونس - 1992.
- (16) المرجع الثامن - ص 6.

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

- (17) الدكتور عبد الصبور شاهين - ديوجين مصباح الفكر - العدد الرابع والثلاثون - السنة العاشرة، ص10.
- (18) الدكتور كمال يوسف الحاج - في فلسفة اللغة - دار النهار - بيروت - 1976 - ص 311.
- (19) الدكتور محمود أحمد السيد - مقالات في الثقافة - وزارة الثقافة السورية - 2004 - ص 83.
- (20) الدكتور محمود كامل حسين - اللغة العربية المعاصرة - دار المعارف بمصر - القاهرة 1976 - ص4.
- (21) الدكتور محمود أحمد السيد - في قضايا الثقافة - الطبعة الأولى - دمشق 2002 - ص 40.

التحريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

تدريس العلوم في ظل تحديات العولمة

بين التعريب والتغريب

أ.د. علي الطاهر شرف الدين

ممثل علوم الأساس بالهيئة العليا للتعريب

أستاذ الطبيعيات بكلية العلوم

مدير معهد الخرطوم للعلوم الطبيعية

الخرطوم - السودان

المقدمة

يجتاز المجتمع الإنساني مرحلة من تاريخه مفعمة بالتفاعلات، تختل فيها موازين القوى ويسودها التدافع بين الحضارات. وتتفاقم التناقضات بين مصالح الدول القوية في بسط هيمنتها على من سواها من ناحية، ودفاع الدول الضعيفة عن أمنها وسيادتها التي ظل يهددها تمدد النفوذ الخارجي عليها في كل المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ويتعرض العالم الإسلامي، والعربي على وجه الخصوص إلى قدر كبير من المهددات التي لا تقف عند حد نهب ثرواته والسيطرة على موارده الطبيعية بل وتستهدف هويته الحضارية. ولقد تعاضمت صور التهديد من خلال التوجهات والاطروحات الداعية إلى ما بات يعرف بالعولمة وما يصاحبها من وسائل وآليات تحقيقها المختلفة والمتعددة في شتى المجالات. ولقد أتيح لهذه التوجهات أن تقوى وتتسع دائرتها بالاستفادة من التطور العلمي المتسارع وتطبيقاته المتمثلة في وسائل الاتصال الحديثة وتوافر المعلومات. وتبلورت ملامح هذه الهيمنة في توظيف الآلة

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

الإعلامية لنشر الثقافة والرؤى الغربية في سائر ضروب المعرفة من خلال وسائلها المقروءة والمسموعة والمرئية لاسيما عن طريق قنوات البث الفضائي وشبكة الاتصالات الدولية.

إن المجتمع البشري يمر بمرحلة تحول حثيث، وعلى العرب والمسلمين أن ينتبهوا لما قد يفضي إليه هذا التحول من استلاب ثقافي يبلغ مداه عندما يُصار إلى التقليل من شأن اللغة العربية والنأي بها، عن أن تتبوأ مكانتها التي شرفها الله تعالى بها بجعلها وعاءً لرسالته الخاتمة لبنى الإنسان.

إن مؤامرة كبيرة تحاك اليوم ضد الحضارة الإسلامية والعربية لصالح المشروع الصهيوني الصليبي الغربي تحت مسميات إشاعة الحرية وإقامة "الديمقراطية" وإعادة تشكيل الشرق الأوسط الكبير، ومن خلال الحملة الداعية إلى محاربة ما يسمى "بالإرهاب" (وفق المعايير الأمريكية) التي انساق وراءها بلا وعي عدد من حكومات العرب والمسلمين. ويأتي في خضم هذه المحاربة الدعوة إلى تطوير المناهج الدراسية في بلادنا وتوجيهها لتلبي أهداف غاية في الخطورة على أرتنا الحضاري وتراثنا العلمي. وفي سياق هذه الدعوة تبرز هنا وهناك آراء تخذيلية ترمي إلى تثبيط الجهود الهادفة إلى إثراء المعرفة وإتاحتها باللغة العربية.

لهذا فإن دفع هذه الجهود بإعمال التعريب في ما ندرسه من علوم ومعارف إنما يكون بمنزلة التزييق الواقعي من مخاطر هذه المؤامرة والكابح القوي لتيارات العولمة العارمة. ومن هنا تزداد أهمية الدعوة إلى تأصيل المعرفة، أي وصلها بأصلها؛ والتعريب أهم وجوه هذا التأصيل.

التأصيل والتعريب

كما أسلفنا، فإن تداعيات الأوضاع في عالمنا العربي والإسلامي تحت وطأة السطوة الغربية الإعلامية والثقافية ظلت تفرز جملة من مخاطر تستدعي تكثيف الجهود الفكرية والعملية للتصدي لها بوعي ورشد. وذلك بوضع العلوم في إطارها القويم من خلال عمل تأصيلي نافذ يُعتبر التعريب أقوى دعائمه.

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

وكما ذكرنا سابقاً فالتعريب يمثل وجهاً أساساً في التأصيل المعرفي، والأخذ به يمثل مطلباً تعليمياً، وضرورة تربوية، ودعوة إلى الاعتماد على الذات واستنهاضاً للأمة وتفعيلاً لطاقت أبنائها، وتوكيداً لهويتها الوطنية وعزتها القومية وترسيخاً لانتماؤها الحضاري.

ولما كانت اللغة، مسموعة أو مقروءة، هي أداة المعرفة والعلم والثقافة، فإن التأصيل يُعنى بأن تحافظ الأمة عليها من التبدل والتشويه بدخيل الألفاظ والعبارات والأفكار والمسميات، وأن تظل هذه اللغة هي الوسيط المقبول للخطاب والتلقي. كما أنه من مرامي التأصيل أن تكون المعارف موصولة بتراث الأمة ومنطلقاتها الفكرية، مستحصبة إسهاماتها العلمية، ومصبوغة بطابعها الحضاري، ومصهورة في لغتها. واللغة العربية هي وعاء الحضارة الإسلامية ومحتوى تراثها العلمي وهي لغة التنزيل الذي جاء (بلسان عربي مبين) [الشعراء: 195]، والذي إنجست منه فيوض الحكمة وتدفقت منه ينابيع المعرفة التي انداحت آثارها عبر الأجيال هدى ونوراً. وهي التي جُبِلَ العرب على التفكير من خلالها، وتكيفت عليها رؤاهم، وتشربت بها عقولهم، وخالجت أساليبها نفوسهم، وتناغم معها وجدانهم. لذلك فإن اتخاذ اللغة العربية وسيطاً للخطاب العلمي هو من صميم مقتضيات التأصيل. ومن خلال اللغة العربية ولا سيما الفصيحة، تتجانس - لدى الأفراد عبر كل الشعوب الناطقة بها - أساليب التعبير، وتتوحد رؤاهم إزاء فهم مختلف قضايا المعرفة والإبداع العلمي.

ومن هذا تبرز أهمية التعريب ودواعيه والتأكيد على ضرورة المضي في دعم السياسة الرامية لإنفاذه في جامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية.

أهمية التعريب ودواعيه

اللغة، أي لغة، إنما تمثل أسلوباً خاصاً في التفكير، ومن يدرج على تلقي العلم من خلال لغة أجنبية، لا يملك التفكير بالعربية، ولذلك يفقد أصالته وحرية في أعمال عقله. فالعربي الذي يفكر

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

وفق نمط أجنبي دون أن يستلهم واقعه أو تراثه الحضاري، هو - من حيث محصوله العلمي - أجنبي في ثياب عربية.

ولا ريب أن الحقائق العلمية لا يتغير جوهرها في أي بيئة حضارية، إلا أن الإبداع العلمي يتلون بتلون القدرة على الابتكار عند المبدعين. وهذه القدرة تتخذ شكلاً مغايراً في كل مناخ حضاري، واللغة العربية فن خاص في الإبداع، وللعقل العربي نمط خاص في التفكير، يجب أن يكون لهما دور رائد في إثراء التراث العلمي الإنساني.

والحقيقة نقول إن الإنسان إنما يكون أكثر اكتساباً للعلم وأسهل استيعاباً للأفكار، إذا ما تلقاه بلغته التي تربي عليها، فهو أبرع في التعبير الدقيق بها وأقدر على التفكير الأصيل إذا ما استخدمها. وواقع معظم جامعاتنا العربية يحرم الدارسين من التلقي بلغتهم العربية، ويحول بينهم وبين مدرسيهم وأساتذتهم من تبادل الفكر والرأي، حيث يبقى التدريس تلقيناً والاستيعاب استحقاقاً، فتؤاد الفكرة ويُقتل الإبداع وتخدم جذوة الحماس عند ذوي الطموح العلمي.

وجامعاتنا التي تتخذ لغة أجنبية للتدريس، إنما تغلق نفسها عن مجتمعتها وتسجن علماءها في أبراج عاجية، لا يملكون منها توصيل أفكارهم لمن دونهم في العلم، فلا يكاد الواحد منهم يتحدث في أمر من الأمور بالعربية إلا وشابها بعجمة غريبة. وهكذا ينقطع حبل الوصل بين الجامعة والمجتمع فلا تعود منارة للعلم ولا نبراساً للفكر ولا مركزاً للإشعاع الثقافي.

واللغة التي يحال بينها وبين العلم فلا تُتخذ وسيطاً لتدريسه، يصيبها العقم ويعتريها التخلف ويعقدها العجز عن المواكبة، فينضب معينها من المصطلحات ويتسلل إليها غريب العبارات ودخيل المفردات. فتفقد أصالتها ويهتز بناؤها. واللغة العربية لولا رصيدها التاريخي الزاخر بالمعرفة الذي اكتسبته أيام ازدهارها وإعجازاتها، لكانت أعجز من تلاحق التطور السريع في عالم البحث والاكتشاف.

والآن - لكيما تؤدي لغتنا رسالتها - يجب ألا نُعزل عن مسار العلم الحديث. ويجب أن

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

تتلازم الكلمة العربية مع الفكرة العلمية في مدرسة عربية متميزة، لتبقى العربية لغة حية متجددة العطاء مواكبة عجلة التقدم.

وهنا نوجز دواعي تعريب العلوم وأهميته في الآتي، من حيث إنه:

1. تيسير للمدرس في تدقيق التعبير وللدارس في الفهم والتفكير
 2. كسب للوقت في التلقي والتدريس إذا ما قورنت العربية باستخدام لغة أجنبية.
 3. رابط متين بين العالم وطالب العلم وبين الجامعة والمجتمع.
 4. ذو قيمة تربوية، فهو دعوة للاعتماد على الذات والثقة بالنفس ولشحذ العقول واستنفار الهمم.
 5. كسب اقتصادي، فالكتاب المنتج محلياً المؤلف باللغة العربية عموماً أقل تكلفة من المستورد المكتوب بلغة أخرى، والاستيعاب بالعربية أسرع منه بغيرها.
 6. تأكيد للهوية الوطنية وترسيخ للعزة القومية وانعتاق حضاري من رقة التبعية للأجنبي.
 7. ربط بالأصول واستنهاض للأمة
 8. تجديد للحبوية العلمية للغة العربية، لتستوعب الحاضر وتستشرف المستقبل في عالم الفكر والإطلاع والكشف والإبداع.
 9. إثراء للمعرفة الإنسانية بمساهمة العلماء العرب، وتيسير لمهام هذه المساهمة.
 10. إبراز للشخصية العلمية العربية المستقلة، والمدرسة العلمية العربية المتميزة.
 11. تحقيق لشعار الوحدة العربية بين العاملين في الحقل العلمي وبين المؤسسات العلمية العربية.
 12. تحقيق التجانس الثقافي في كل بلد عربي تتعدد فيه اللهجات واللغات المحلية.
- وهنا بعد اقتناعنا بأهمية التعريب في جامعاتنا العربية يجب أن نتعرف على المصاعب التي تواجه إنفاذه وما يتعلق بها من مشاكل.

مشاكل التعريب وقضاياها

يكتنف تعريب العلوم صعوبات ومشاكل تتفاوت من حيث حجمها وطبيعتها من بلد عربي إلى آخر، ويمكن أن نوجزها في أربع قضايا أساسية:

1. غياب قرار وطني حاسم لتنفيذ التعريب في عدد من الجامعات العربية.
2. قلة التنسيق وضعف التعاون بين المؤسسات العلمية العربية
3. ضعف الحماسة وعدم الرغبة في التعريب لدى كثير من المشتغلين بالعلوم
4. قصور الإمكانيات المادية والفنية في بعض البلدان العربية.

هذه المشاكل رغم اختلاف وجوها، إلا إنها وليدة حالة التبعية الثقافية للغرب التي ما زالت تلازم مؤسساتنا التعليمية والعلمية، والتي لم تتعق منها دولنا اعتناقاً بئناً. لذلك لم يصدر هناك قرار حاسم بشأن التعريب في مستوى السلطة العليا في عدد من الدول العربية، بالرغم من الاقتناع النظري به ورغم التوصيات المتتالية التي خرجت بها المؤتمرات المكرسة لهذه القضية والقاضية بضرورة التعريب.

وروح التبعية هذه، والاطمئنان المفرط في اعتماد اللغة الأجنبية وسيطاً للتعليم، عامل أساس في تثبيط كل محاولة نحو إنجاز مهام التعريب. ومرد ذلك إلى أن المختصين في العلوم من العرب الذين تتلمذوا في الجامعات الغربية، لا يكادون يستشعرون أهمية هذه القضية أو يتحمسون لها. ومنهم ممن يتهيب مجرد دخول التجربة، لأن في ذلك خروجاً على ما ألفه من ارتباط وثيق باللغة الأجنبية عن طريق دراسته أو كتابة بحوثه بها، لاسيما وأنها تتيح له فرصاً أوسع لنشر إنتاجه العلمي على نطاق عالمي، مما يفتح له باب الترقي الوظيفي. هذا بالإضافة إلى حالة الانبهار المفرط بالثقافة الغربية ولغتها عند بعضهم.

وهناك جانب من مشاكل التعريب يعود إلى حالة الشتات والفرقة التي ظلت تلازم عالماً العربي، فما يزال التعاون المثمر بين المؤسسات العلمية العربية غائباً، وما يزال تبادل الخبرات

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

محدوداً، وما يزال التنسيق على مستوى الوطن العربي قاصراً. ورغم وجود مؤسسة قومية من شأنها أن ترعى قضية التعريب - هي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - إلا أن كل دولة عربية - من التي تهتم بأمر التعريب - تتفرد في معالجتها له من حيث ترجمة المصطلحات واستخدام الرموز واشتقاق المفردات... إلخ. وما تزال جامعات المشرق العربي أكثر ارتباطاً باللغة الإنجليزية، كما لا تزال جامعات المغرب العربي أكثر ارتباطاً بالفرنسية عنها بالعربية في تدريس العلوم، وما يزال اتحاد الجامعات العربية ضعيف التأثير في دفع عملية التعريب بين عضويته.

وهناك مشاكل عملية في طريق تعريب وتدريس العلوم الطبيعية، فإذا تجاوزنا منها ما يتعلق بعدم توفير الإمكانيات المادية في بعض الدول العربية، فإنه تبقى مشاكل ذات طبيعة فنية تتعلق بالآتي:

1. تعريب النص
2. تعريب الأصل
3. تعريب المصطلح
4. تعريب الرمز

وهذه قضايا تستوجب مزيداً من البحث كما تستلزم مزيداً من التعاون والتنسيق بين المسؤولين عن التعريب في الدول العربية. بيد أن تناول هذه القضايا يجب ألا يقتصر على مجرد المعالجة الفنية في معزل عن مفهوم التأصيل. ذلك أن كثيراً من الجهود التي بذلت في التعريب على الرغم من استيفائها الجانب الفني إلا أن من بذلوها لم يكونوا منعقلين تماماً من ريقّة التعريب.

التعريب والتعريب

إن النفوذ الثقافي قد بلغ مدى عظيماً من خلال وسائل التعليم والإعلام، وبجعل اللغة الإنجليزية وسيطاً للخطاب العلمي بدرجة كبيرة في كل الدول العربية، وبدرجة أقل، كذلك اللغة الفرنسية في المغرب العربي، حتى باتت المؤتمرات واللقاءات العربية العلمية التي تتعقد في

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

جامعاتنا - في أغلب الأحيان - تتخذ الإنجليزية لغة لمداولاتها. ولا يزال كثير من العلميين العرب غير قادرين على تبادل أفكارهم إلا من خلال لغة أجنبية. وفي هذا شاهد على مدى الصعوبة التي سيلاقها الساعون لتحقيق وحدة عربية علمية في ظل هذه التبعية الثقافية للغرب. وتبلغ هذه التبعية حد الانهزامية الفكرية عندما يتوخى بعض ممثلي الدول العربية إلقاء خطاباتهم من منابر منظمة الأمم المتحدة بالإنجليزية أو الفرنسية على الرغم من أن العربية واحدة من اللغات الرسمية لهذه المنظمة.

لهذا يجب أن نحزم بأن التعريب إذا ما استقر أمره في نظامنا التعليمي سيكون واحداً من العوامل الأساسية لترسيخ الترابط والتواصل بين أفراد الأسرة العلمية في العالم العربي. وفي ذلك تقريب بين أفكارهم وبين همومهم، وهو ما ننشده لتطورنا الحضاري.

إن تعاملنا مع التعريب طالما جعلنا نواجه مشاكل يملها وقوعنا رداً من الزمان تحت تأثير الحضارة الأوربية. فالترجمات العربية للمؤلفات الغربية التي تتجز في إطار التعريب - ولكن في ظل التأثر بالثقافة الأوربية، وفي غمرة الانبهار الشديد بالتقدم الغربي - لا شك أنها تخرج حاملة في ثناياها التصورات والمسميات الغربية، وعندئذ ينقلب التعريب تغريباً!

وتتبلور مظاهر هذا التغريب التي يجب أن ينأى بها التعريب عما ندرسه في جامعاتنا، في عدد من الوجوه من حيث علاقة التعريب بالقضايا التالية:

آ. قضية الاعتقاد الديني

يلزم هنا أن نقر حقيقة أن لا تعارض بين الحقيقة الدينية والحقيقية الكونية، فهما وجهان للمعرفة، يمثلان تكاملاً بديعاً بين رسالة الوحي ورسالة العقل. وهذه وتلك من آلاء الله على بني الإنسان. فالدين يحدثنا عن الأسباب والمقاصد، من حدوث ظواهر في الحياة والوجود وفي الكون والطبيعة؛ والعلم الطبيعي يفسر لنا كيف تحدث ظواهر الطبيعة، ويصف لنا كيف تجري سنن الكون ونواميسه، ويشرح لنا كيف تسير الحياة.

ولكن حضارة الغرب توهمت تناقضاً بين الدين والعلم، وتصادماً بين الإيمان والعقل، بسبب ما لاقاه علماء الطبيعة في أوروبا من عنف الكنيسة ورجال الدين في عصور التخلف، ويجب ألا يؤخذ ذلك على الدين. فليس من رسالة الدين - أي دين سماوي - ما يصادم العقل. بل إن الدين يدعو إلى التفكير في خلق الكون والتدبر في ناموس الوجود. بل إن التدبر والتفكير يمثلان صورة من صور العبادة المطلوبة. لذلك فإن علماءنا في الماضي لم يفصلوا بين المعرفة الدينية والمعرفة العقلية، بل تلازم في نفوسهم الدين والإيمان مع العقل والبرهان، فامتزجت في كتاباتهم النصوص الدينية مع الحجج العقلية، وتعايقت تفاسير الآيات مع نتائج النظريات في تناغم بديع يعضد بعضها بعضاً لإثراء المعرفة وتجلية الحقيقة. ولقد فهم هؤلاء أن الله إنما أنعم على الإنسان بنعمة العقل لكي يعي سنن الكون ويكتشف قوانينه ويسخرها لإعمار الحياة بالخير والنماء في ظل هداية الوحي وتوجيهه.

لهذا يجب أن ندرك مغزى هذا التكامل البديع بين شطري المعرفة المنقول وحيماً والمكتسب عقلاً. هذا التكامل الذي يزيل التنازع في نفس الدارس فلا يجد إلا انسجاماً بين ما يدرسه في مادة الدين وما يدرسه في مواد دراسية أخرى، فلا يعتريه انفصام في المعرفة ولا تباين في الرؤى. وهذا ما ينبغي أن يؤكد عليه في مناهجنا الدراسية المعربة.

ب. قضية الأخلاق

الهدف من الخطاب العلمي المعرب - سواء أكان مترجماً عن لغة أخرى أو مؤلفاً بالعربية - يجب ألا يقتصر على مجرد إتاحة المعرفة للمتلقي أو الدارس أو الباحث بل يجب أن يهدف كذلك إلى حسن الاستفادة من هذه المعرفة لمصلحة الإنسان درءاً للضرر عنه وجلباً للخير له. ذلك لأن كثيراً من تطبيقات العلوم الحديثة - مع ما فيها من خير في تيسير حياة الناس - قد تجنح إلى إفساد هذه الحياة إذا لم تُحكم بضابط أخلاقي. لهذا فإن ما ننقله من معارف إلى العربية يستوجب أن يُنقى مما قد يخالطه من رؤى وأفكار تصطدم بالعقيدة الإسلامية كما لا تتفق ومكارم الأخلاق، لا سيما في ما قد تقضي إليه البحوث العلمية من نتائج يساء توظيفها في

معزل عن المثل وقيم الفضيلة.

ج. القضية التربوية

من مظاهر التعريب، ذلك الشعور المخذل بأن مفاتيح العلم والاكتشاف بأيدي غيرنا ويكوننا (عالمًا ثالثًا) متخلفًا، قَدَره أن يظل تابعاً للغرب مقلداً لحضارته. هذا الإحساس يخمد في جيلنا الناشئ جذوة الطموح نحو التقدم.

فلا بد أن ننعق من هذا الشعور عند وضع مناهج التدريس المُعرَّبة، وإن نتوخى فيها ما يدفع الدارسين إلى ارتياد مجالات البحث والإبداع وأن نزرع فيهم الثقة بالنفس والتطلع للتفوق والنبوغ العلمي. فاستشعار أفراد الأمة مقدرتهم على التطور ضروري جداً، وهو من أسس التربية السوية.

د. قضية التصور

يجب أن نُسبغ مناهجنا في تدريس العلوم بروانا الذاتية وفق تصوراتنا النابعة من تكويننا الثقافي والتربوي. فلا يجوز أن ننقل الحقائق العلمية بتصورات فلسفية دخيلة وبترجمة حرفية لما يكتبه غيرنا دون تمحيص أو تدقيق إذ ليس كل ما يلمع ذهباً.

إن تصورنا للوجود والحياة والكون والطبيعة يتكامل كما تتكامل القوانين التي تحكم كل هذه. فليس من أعراف حضارتنا أن نتحدث عن قوانين الطبيعة معزولة عن سائر القوانين الأخرى ودون ربط ذلك بمفهوم الحق والباطل، وبعوامل الخير والشر والإصلاح والإفساد. فالأوفق ألا نقف - مثلاً - عند حد وصف القانون الذي تستحيل به المادة إلى طاقة، بل يحسن أن يلحق ذلك ما يترتب على تطبيق هذا القانون من خير وإصلاح بحسن استغلال الطاقة الناتجة، أو ما يؤدي إليه سوء التعامل معها من الدمار والتلوث البيئي وغير ذلك من الإفساد.

كما يجب أن ننبين - وفق تصورنا الذاتي - وجه الحق من الباطل إزاء ما يستتبط من مثل هذا القانون من آراء فلسفية متباينة.

إن هذا الفهم الشمولي ينطلق من تصور متكامل فيه ضروب المعرفة ويحقق مبدأ ترابط العلوم

المختلفة.

هـ. قضية التراث الحضاري

حرى بنا أن نتوخى - عند تعريب مناهج التدريس - أن تكون موصولة بأصولها مستصعبة تراثنا ومبرزة لإسهامات حضارتنا في العلوم. وينبغي ألا تكون المادة التي ندرسها في جامعاتنا مجرد نقل حرفي عن المؤلفات الأجنبية، فلا يجوز أن نغفل في مناهجنا المعربة عن المساهمات العظيمة للعلماء العرب والمسلمين في شتى ضروب المعرفة في العلوم الإنسانية والطبيعية والمهنية.

إن الاهتمام بعلماء حضارتنا العربية ومفكرها وتخليد أسمائهم، يقتضيه الإنصاف والأمانة العلمية. وليس مبعث ذلك العصبية الجوفاء أو المباهاة الفارغة، ولكن من أجل إثبات فضلهم ومن أجل التعرف على أسلوبهم العلمي في استنباط الحقائق من واقع تصور شامل للحياة والطبيعة والكون والوجود، ذلك التصور الذي تميزت به حضارتنا في الماضي ويجب ألا يمسح بفعل التعريب.

ويجدر بنا توضيح أن وصف حضارتنا بأنها عربية - في سياق حديثنا عن التعريب - يجب أن يفهم في إطار كونها الحضارة التي تأسست وقامت على اللغة العربية، لغة القرآن، وتشربت بتصورات الإسلام، واسترشدت بهدية منذ أن أنزلت "أقرأ" فانبثقت منها مناهل المعرفة وتفجرت بها ينابيع الحكمة فانداحت آثارها على البسيطة وعبر الأجيال.

و. قضية توطين المعرفة

مسؤولية وزارة التعليم في كل بلد يمكن إيجازها في المهام التالية: إنتاج المعرفة عن طريق العملية التعليمية، وتطويرها بإعمال البحث العلمي في مجالاتها المختلفة، وإتاحتها عن طريق نشرها للمتلقي وللدارس.

وكما أشرنا، أن هذه المهام يجب إنجازها باللغة العربية التي جبل أفراد المجتمع على التحدث والتفكير من خلالها. فهي الوسيط الأقوم لنقل العلوم وترقيتها وتحديثها في إطار التأصيل. هذا الإطار التأصيلي يستلزم ربط العلوم وتطبيقاتها بواقع المجتمع وحياة الناس ومعالجة مشكلاتهم، مما يفضي إلى تواصل المعارف وتراكمها وتوارثها بين الأجيال. وهذا يعني توطين المعرفة وجعلها فاعلة في إرساء دعائم النهضة الشاملة للأمة.

ز. قضية الأمة ورسالتها

كما أسلفنا، فإن الله عز وجل قد جعل اللغة العربية وسيطاً لنقل رسالته الخالدة إلى البشرية. وجعل المؤمنين بهذه الرسالة جملتها للناس كافة، فهم خير أمة أخرجت لهم، وهم الشهداء عليهم. لذلك فإن النهوض بهذه اللغة نهوض بهذه الرسالة، وإعزازها إعزاز للإسلام وتوكيد للهوية الحضارية السامية للأمة.

معالجة هذه القضايا تشكل المحاور الأساسية في عملية التعريب التي لم تجد بعد اهتماماً كافياً في كثير من الدول العربية. إذ لا يزال التعريب فيها يحتاج إلى بذل جهود أكبر وعزيمة أقوى.

حول التعريب في الجامعات العربية

كانت الدعوة للتعريب في القرن الميلادي الماضي نتاجاً طبيعياً لاستقلال دول عربية من الاحتلال الأوروبي. أما في الدول التي لم تكن تحت السيطرة الأوروبية المباشرة فإن جهوداً كبيرة قد بذلت لترجمة العلوم خاصة من اللغتين الإنجليزية والفرنسية لملاحقة التقدم المعرفي المطرد في بلاد الغرب.

إلا أن تسارع الإنتاج العلمي وتطوره ونشره بشكل حثيث في تلك البلاد مع ضعف إمكانيات اللحاق به في الدول العربية قد أحدث فجوة يتزايد حجمها كلما ضعفت الجهود الرامية لإنفاذ سياسة التعريب. هذه السياسة غالباً ما جاء إقرارها في إطار توجهات وطنية وعقائدية عروبية أو

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

إسلامية. لهذا فإن قوة الإرادة للاضطلاع بمهام التعريب تتفاوت من دولة عربية إلى أخرى، وفي كل بلد عربي من مؤسسة تعليمية لأخرى، ومن فترة زمنية سابقة إلى لاحقة، وذلك مع تقلبات الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية لكل بلد، ومع ضعف الإمكانيات المتاحة للتعريب فيها. فالتحديات الماثلة التي تواجه الأمة العربية إنما تستهدف - فيما تستهدف - لغتها وثقافتها. وبالإضافة لهذه التحديات فإن حالة التفرق التي تسود العالم العربي ظلت ذات أثر سالب على كل تعاون عربي يعزز مكانة هذه الأمة. وفوق ذلك كله فإن التعريب في كل الدول العربية لم ينتهج منهجاً قوياً من حيث أنه لم يستصحب البعد التأسيلي للمعرفة مما فصلناه آنفاً في جملة من القضايا الجوهرية المهمة. وهذا أمر يجدر بالساعين إلى تعريب العلوم وضعه في الحسبان لدى صياغة مناهج التعليم العربية.

هذا مجمل ما عليه حال التعريب وتجاريه في الدول العربية. ويحسن هنا أن نورد مثلاً لإحدى هذه التجارب بما أنجز في السودان.

تجربة التعريب في السودان

بدأ تعريب المقررات الدراسية في المرحلة الثانوية في جمهورية السودان بقرار سياسي شجاع بعد أقل من عشر سنوات من استقلال السودان. ولكن في التعليم الجامعي لم يبدأ التفكير في التعريب إلا قبل نحو ثلاثة عقود خلت عندما بذلت جهود مقدرة في جامعة الخرطوم، كبرى الجامعات السودانية وأعرقها، في إطار وضع خطط للقيام بتنفيذ التعريب. ولكن هذه الخطط لم تجد الاهتمام والجدية في تنفيذها إلا في بداية العقد الأخير من القرن الميلادي المنصرم عندما أقرت الدولة سياسة التعريب وجعلتها واحدة من أهم سياساتها التعليمية، وأنشأت الهيئة العليا للتعريب للإشراف على تطبيق هذه السياسة في الجامعات السودانية ومتابعة تنفيذها. ولقد قامت هذه السياسة على دراسات وافية وقوية، واتخذت من التدرج وسيلة لتطبيقها في الجامعات. وتحسبت لكل المثالب التي قد تتجم من إنفاذ هذه السياسة إزاء الانتقال من اللغة الإنكليزية إلى

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

العربية. فقد تضمنت سياسة التعريب قراراً لتدريس اللغتين العربية والإنجليزية بدرجة مكثفة ومتقدمة لضمان أن يتخرج الدارسون بكفاءة عالية في نقل المعرفة للمجتمع المحلي بلغة عربية صحيحة، وأن يكونوا قادرين على مواكبة التطور العلمي دون عزلة أو انقطاع عن المجتمع العلمي الخارجي.

ولقد نجحت الهيئة العليا للتعريب فيما بذلته من جهود لإرساء سياسة التعريب وجعلها واقعاً في الجامعات السودانية، فأنجزت تأسيس مكتبة مرجعية مكتملة لإعانة الباحثين والمؤلفين والمترجمين، كما أصدرت عدداً من المعاجم في فروع العلوم المختلفة لحاجة الدارسين ومؤلفي الكتب المنهجية، التي تتابع تأليفها بجهود علمية سودانية خالصة. ويرجى أن تتزايد وتيرة الإنتاج العلمي بالعربية كل عام.

أدى تطبيق التعريب بالسودان إلى ترقية مستوى الاستيعاب لدى الدارسين ومستوى الأداء لدى المدرسين، مع اقتصاد ملحوظ في زمن التدريس. ومع ذلك فإن ثمة مشكلات بعضها متعلق بالإمكانات وبعضها الآخر يتمثل في عدم التزام عدد من الأساتذة بالجامعات بالتدريس بالعربية لأسباب مختلفة أشرنا إلى بعضها آنفاً.

خاتمة

وأخيراً يجدر بنا تأكيد أن التعريب عودة للأصول، وفي الوقت ذاته، تطوير للعلوم وإثرائها، ودفع للعلميين في البلدان العربية إلى مجالات التفوق والنبوغ، لبناء نهضة متميزة تزاوج بين الأصالة والمعاصرة؛ وأن ينظر لقضية التعريب بحسبانها أمراً حيوياً، وقيمة حضارية، وضرورة تربوية، تنفتح عنها المقدرات الكامنة في عقول الباحثين. وهو أمر يهم العرب جميعهم، فلا بد أن تتضافر الجهود في سبيل تحقيقه في مجال العلوم المختلفة وإنفاذه في كل الجامعات العربية. وأن يلقى ذلك دعماً ملحوظاً في اتحاد الجامعات العربية والرابطات العلمية العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

المراجع

- رؤية تربوية حول تأصيل وترشيد مناهج العلوم بمؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي السودانية: علي الطاهر. من أوراق مؤتمر التعليم العالي والبحث العلمي - 14 رجب 1410 هـ (10 فبراير 1990م).
- حول تأصيل مناهج العلوم بالجامعات السودانية: علي الطاهر - مجلة أبحاث الإيمان السنة الأولى - العدد الأول - رجب 1413 هـ (يناير 1993) الخرطوم.
- تأصيل المعرفة؛ أسسه وأهدافه: علي الطاهر - مجلة التأصيل - إدارة تأصيل المعرفة - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - العدد 6 - يناير 1998م السودان.
- تأصيل العلوم الطبيعية بين مستلزمات النهضة وتحديات العولمة - علي الطاهر - مجلة التعليم العالي والبحث العلمي - الإدارة العامة للبحث العلمي ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي العدد الثالث 2004م.
- حول تعريب العلوم الطبيعية في الجامعات العربية. علي الطاهر - من أوراق المؤتمر العربي لتدريس الطبيعيات - جامعة القاهرة - مصر - يناير 1990م.
- تعريب مناهج العلوم في الجامعات العربية: علي الطاهر - مجلة الدراسات الاستراتيجية العدد 6 أبريل - مايو 1996م - الخرطوم - السودان.
- أخلاقيات البحث العلمي. علي الطاهر - مجلة أبحاث الإيمان المركز العالمي لأبحاث الإيمان - العدد 11 - يناير 2000م الخرطوم - السودان.
- موجز تاريخ العلوم والمعارف في الحضارة القديمة والحضارة العربية الإسلامية - طه بافر - مركز إحياء التراث العلمي العربي - جامعة بغداد - العراق 1980م.
- التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة - أحمد فؤاد باشا - جامعة القاهرة - الطبعة الأولى 1403م.
- إسهامات المسلمين والعرب في العلوم الطبيعية والكونية - محجوب الحسين - جامعة أفريقيا العالمية 1425 هـ الخرطوم.
- موسوعة نوابغ العرب والمسلمين في العلوم الرياضية: علي بن عبد الله النّفاع - مكتبة التوبة - الرياض - المملكة العربية السعودية - الطبعة الثاني 418 هـ.

تعليم اللغة العربية وفق الطريقة التواصلية

رؤية في اتجاه التطوير

أ.د. سام عمار

عميد كلية التربية بجامعة دمشق

الأمين العام لجمعية كليات التربية

ومعاهدها في الجامعات العربية

انطلق هذا البحث من مشكلة: "إخفاق طرائق التدريس المعتمدة، في مساعدة الطلاب على امتلاك كفاءة لغوية متقنة تتيح لهم استعمال الفصحى استعمالاً سليماً في مواقف التواصل اليومي على الصعيدين الشفوي والكتابي".

ولمعالجة هذه المشكلة، يسعى البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما خصائص هذه الطريقة التواصلية التي ندعو إلى استعمالها في التدريس بديلاً عن الطرائق الشائعة أو المعتمدة؟

2. ما الأسس التي تقوم عليها هذه الطريقة؟

3. ما مقومات الكفاءة التواصلية التي نسعى، عبر اعتماد الطريقة التواصلية في التدريس، إلى إكسابها للمتعلّم العربي؟

4. كيف يمكن أن نيسر استعمال اللغة العربية الفصحى لتكون أداة لخطاب عربي تواصلية، شفوي وكتابي، دون تقعر أو صعوبة أسلوب؟

وفي سبيل ذلك عرض الباحث خصائص هذه الطريقة الجديدة ومزاياها، وفصل الحديث عن

الأسس التي تقوم عليها وهي التمييز بين الكفاءة اللغوية والكفاءة التواصلية وبين تعليم اللغة وتعليم التواصل باللغة؛ والنظر إلى اللغة على أنها مهارات لا فروع؛ والتمييز في استخدام اللغة بين نوعين من النشاط اللغوي: الوصفي التقني والتواصلية؛ والتمييز في المهارات اللغوية بين مهارات مركبة. ثم تناول الباحث كيفية استثمار الطريقة التواصلية في تكوين كفاءة تواصلية لدى المتعلم العربي تمكنه من استخدام اللغة العربية الفصحى في خطابه الشفوي والمكتوب عندما يتواصل مع الآخرين. ومن أجل ذلك حلّ وضع اللغة العربية في استعمال المعاصر، فحدد مستوياتها وأشكالها، وحل الكفاءة التواصلية في اللغة العربية بالاستناد إلى أشكالها المستعملة أو الممكنة الاستعمال في الخطاب التواصلية، ثم حدد الشكل اللغوي الأكثر ملاءمة لاكتساب الكفاءة التواصلية. وخلص إلى تقديمه "نموذج تطبيقي: منهج في تعليم اللغة العربية للكبار يتبنى الطريقة التواصلية".

وبذلك انتقل من حيز التنظير إلى حيز الإنجاز الفعلي التطبيقي الذي هو نهاية البحث.

1. مقدمة

بين علم النفس وعلم اللغة علاقة قوية وارتباط دقيق، فكلاهما يدرس السلوك الإنساني، مع تركيز علم اللغة على نوع معين من السلوك وقد سار تطورهما سيراً متوازياً فبموازاة علم النفس السلوكي ظهرت النظرية البنائية الوصفية في علم اللغة، وبموازاة علم النفس المعرفي ظهرت النظرية التوليدية التحليلية في علم اللغة، ولقد جاء بها شومسكي. وقد تأثر كل من العلمين بالآخر، فقد تركت مجموعة من علماء النفس بصمات قوية على نظريات علم اللغة، ومن هؤلاء سكرن واوغود وميلر. كما ترك مجموعة من اللغويين سوسير وورف وشومسكي أثراً كبيراً في الفكر النفسي. ونجم عن تبادل التأثير والتأثير طرائق مختلفة في تعليم اللغات، فنتيجة التفاعل بين علم النفس السلوكي وعلم اللغة البنائي ظهرت الطريقة السمعية الشفوية والطريقة الكلية التركيبية السمعية البصرية في تعليم اللغات، ونتيجة التفاعل بين علم النفس والمعرفي وعلم اللغة التوليدية التحليلية، ظهرت الطريقة التواصلية في تعليم اللغات. إن طرائق التدريس تعد ترجمة للأفكار

وتطبيقاً لنتائج البحوث النظرية ويمكن النظر إليه باعتبارها نظريات تحت التعريب.

2. مشكلة البحث

لقد شهدت الساحة العلمية في الربع الأخير من القرن الماضي علاقة واضحة بين العلوم النظرية وطرائق التدريس. ففي السبعينات والثمانينات بدأ الاهتمام بقضايا مثل العلاقات الإنسانية وأهمية العمل الجماعي واستعمال الوسائل المختلفة لمساعدة النفس على التعامل مع ضغوط الحياة اليومية. وقد شهدت هذه الفترة بحثاً مماثلاً من علماء اللغة للإجابة عن أسئلة عميقة حول طبيعة الاتصال الإنساني والكفاءة التواصلية لدى الأفراد وإيجاد تفسيرات لعمليات التعايش اللغوي. وتبدو استجابة ميدان تعليم اللغات واضحة للتيارات النظرية وذلك بظهور طرائق تدريس تركز على أهمية نظرة المتعلم لنفسه، وعلى أهمية التعلم التعاوني بين الطلاب، كما تركز على أهمية تطوير أساليب النجاح الشخصي وعلى العملية التواصلية في تعليم اللغة. وقد أصبح مصطلح تدريس اللغة لأغراض اتصالية مقولة مشهورة اليوم ومتداولة بين معلمي اللغة. ولا شك في أن أعظم تحد يواجه تعليم اللغة عموماً، ولغتنا العربية على وجه الخصوص، هو الابتعاد عن مجرد تعليم القواعد والتعريفات والأمثلة وسواها من المعلومات عن اللغة، إلى مستوى أعمق يركز على تعليم الطلاب مهارات التواصل اللغوي وممارسة هذا التواصل بطريقة عفوية فعلية وذات معنى في حياتهم.

ولقد أثبت تعليمنا اللغة العربية حتى اللحظة الراهنة، عجزه عن إعداد متعلمين قادرين على استخدام اللغة العربية الفصحى بكفاءة عالية، في خطابهم الكتابي والشفوي. والمشكلة على الصعيد الشفوي أقسى وأعمق؛ لأن الشكل المستخدم في التواصل الشفوي هو العامي في معظم الأحوال. والشكل العامي يسقط الإعراب الذي هو سمة الفصحى وعنوان تميزها.

لقد علمتنا كتب النحو أن قواعد اللغة استخلصت من متونها، عبر معايشة أبنائها ممن لم يعتبر اللحن أسنتهم. وحين بدأ اللحن يفسد السليقة تداعى علماء اللغة إلى تدوين قواعدها. لقد

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

كانت الفصحى إذن معين النحو، استقيت منها قواعده. وسمة النحو الإعراب، والإعراب أبرز سمات الفصحى. وإهمال الإعراب يؤدي بنا إلى العامية أو العاميات.

واستعمال الفصحى، موسومة بجمال إعرابها وجلاله، غداً، بتأثير عوامل متعددة لسنا في معرض ذكرها، مقتصرين على مواقف الخطاب المكتوب وبعض المواقف الرسمية للخطاب الشفوي (الخطب والمناسبات والاجتماعات الرسمية الندوات والمؤتمرات وبعض المقابلات ولقاءات الإعلامية... إلخ، لذا أضيف إليها راجياً وآملاً: المواقف التعليمية/التعليمية). وما عدا ذلك من مواقف الحياة تستعمل فيه العامية أو العاميات على اختلاف مستوياتها، سنعالجه هذه المستويات في الفقرة (1.6) من هذا البحث.

وفي الفصحى نميز شكلين: تراثي، دونت به مصادر اللغة ومتونها في عصور ازدهارها، وهو نادر الاستعمال الآن إن لم يكن معدومه، على الصعيد الشفوي على الأقل؛ ومعاصر أو حديث، مستعمل الآن على أوسع نطاق في مواقف الكتابة والتأليف والإعلام والمواقف الرسمية والتعليمية. هذا ما نرجوه على الأقل، وإن كان استعمال في مواقف الخطاب الشفوي أكثر انزلاقاً نحو العامية تبعاً لما تظهره لنا الملاحظة المباشرة. وليست المواقف التعليمية/التعليمية في أحسن حال، وإن كان درس اللغة العربية أوفر حظاً من سواه.

ولنسلم إذن أن الطالب، في ظروف مثالية لاستخدام اللغة العربية في المدرسة (الواقع يثبت خلاف ذلك) يعيش، وإن كنا أكثر تفاؤلاً قلنا: يتفاعل مع اللغة الفصحى كل أسبوع مدة تتراوح بين 4 ساعات و8 ساعات في المرحلة الثانوية، ولا تزيد على 6 ساعات في المرحلة الابتدائية. وفيما تبقى من الدروس لا نعتقد أننا نجانب الصواب إن قلنا: إن الطالب يعيش الفصحى على مستويات متباعدة تتعلق بمدى إتقان مدرسي المواد الأخرى لها، وهذا الإتقان ينزلق في أسوأ حالته إلى العامية.

نخلص من التحليل السابق إلى أن العامية تزاحم الفصحى، حتى ضمن نطاق الدوام المدرسي. وإذا كانت قواعد اللغة لا تتقن ولا تتمثل ولا تستوعب إلا باستعمال المكثف للفصحى

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

إلى درجة الاستبطان، أدركنا مدى الحاجة إلى تعميم استعمال الفصحى في مواقف التواصل اليومي، وتوفير السبل الكفيلة بذلك.

إن تعليم اللغة العربية في مدارسنا يواجه، بين مشكلات متعددة، مشكلة إخفاق طرائق التدريس المعتمدة، في مساعدة الطلاب على امتلاك كفاءة لغوية متقنة تتيح لهم استعمال الفصحى استعمالاً سليماً في مواقف التواصل اليومي على الصعدين الشفوي والكتابي.

إن الطريقة الجديدة المقترحة بديلاً للطرائق المعتمدة أثبتت جدواها في تعليم اللغات؛ لأنها انطلقت في التعليم، من حاجات المتعلمين اللغوية في مواقف التواصل الفعلي، ومن الوظائف التي ينبغي أن يؤديها الاستعمال اللغوي اليومي شفويّاً وكتابياً، على أن يُعلّم من قواعد اللغة وأساليب استعمالها ذلك القدر الذي يلبي تلك الحاجات والوظائف. وقد أخذت اسمها من الوظيفة التي تؤديها وهي التواصل المثمر في مختلف مواقف الحياة، فسميت: **الطريقة التواصلية**. أما الكفاءة التي تسعى هذه الطريقة إلى ترسيخها لدى المتعلمين فهي **الكفاءة التواصلية** في مقابل **الكفاءة اللغوية** المطلوب إتقانها عادة لدى الحديث عن تعلّم اللغة وسيكون لنا حديث عن هاتين الكفاءتين في هذا البحث.

ولقد سميت الطريقة التواصلية أحياناً **بالمعرفية**؛ لأنها تستند في أسسها النفسية إلى النظريات المعرفية، وسميت أحياناً **بالوظيفية** أو **الفكرية**؛ لأنها تنطلق في التعلّم من الوظيفة أو الفكرة.

وأخذت هذه الطريقة بعداً **اجتماعياً** واضحاً يقوم على دور اللغة في المجتمع أولاً، وعلى نظريات تعلّم تأخذ بالاعتبار المتعلم، لا بصفته فرداً يخضع للمؤثرات الخارجية فحسب، بل بصفته إنساناً له قدراته الذاتية التي لا بد من إثارتها بكل ما فيها من طاقات.

3. هدف البحث وأسئلته

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

يهدف البحث الحالي إلى الإجابة على الأسئلة الآتية:

1. ما خصائص هذه الطريقة التواصلية التي ندعو إلى استعمالها في التدريس بديلاً عن الطرائق الشائعة أو المعتمدة؟
2. ما الأسس التي تقوم عليها هذه الطريقة؟
3. ما مقومات الكفاءة التواصلية التي نسعى، عبر اعتماد الطريقة التواصلية في التدريس، إلى إكسابها للمتعلم العربي؟
4. كيف يمكن أن نيسر استعمال اللغة العربية الفصحى لتكون أداة لخطاب عربي تواصلية، شفوي وكتابي، دون تقعر أو صعوبة أسلوب؟

4. خصائص الطريقة التواصلية

إن ما يميز هذه الطريقة عن سواها جملة أمور هي:

1. تقوم هذه الطريقة على المبادرة بالمعاني التي من أجلها تستخدم اللغة. ومادة التعليم على هذا الأساس يجب أن تبنى على:

آ. **الفكر والوظائف:** التي يود مستعمل اللغة التعبير عنها، والتي تشكل الحاجات الضرورية له في مواقف الاتصال اليومي. فمن هذه الفكر ما هو عام يصلح للاستعمال في ميادين مختلفة ويطلق عليه **الفكر الخاصة**، كالساعة والمتر والحرارة. أما الوظيفة فليس المقصود بها الدور الذي يمكن أن تقوم به الكلمة في الجملة من فاعل أو مفعول أو سواهما، بل ما نريد أن نحققه من الاتصال لغوياً مع الآخرين في حالة معينة وظرف معين. فالجملة التالية: "إن المطر يسقط بغزارة" تؤدي وظائف مختلفة إذا ما استعملت في سياقات مختلفة:

- فهي تعني لدى من يقف أمام نافذة بيته متأملاً الطبيعة: **الوصف**.
- وإن رد بها صبي على والده الذي طلب إليه، يضع له رسالة مستعجلة في البريد فهي تعني: **الرفض أو المماطلة في التنفيذ**

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

- وإن استعملها صديق سرته زيارة صديق له، وهو يستعد للذهاب فإنها تعني: الرغبة في بقاء الصديق الزائر وقتاً أطول.

- وإن خاطب بها أحد الواقفين تحت واقية المطر في موقف للحافلات زميله الذي قرر عدم الانتظار وهو لا يحمل مظلته، فهي تعني: النصيحة.

ب. التراكيب اللغوية: التي تخدم تلك الفكر وتؤدي تلك الوظائف.

2. تنتظر الطريقة التواصلية إلى اللغة بصفاتها وسيلة فاعلة للاتصال والتواصل، فنحن نتعلم اللغة لنستعملها في التعامل مع الناس وفي قضاء الحاجات، أي لتحقيق أهداف محددة. إن تعليم اللغة وفق هذه الطريقة ينطلق من حاجات المتعلمين الضرورية التي تحدد في ضوءها أهداف التعلم، ويعتبر المتعلم فيها محور العملية التعليمية

3. إن تدرج التعلم وفق هذه الطريقة لا يأخذ بالاعتبار صعوبة المادة المتعلمة وتواتر مفرداتها، وإنما يتم بناء على ما تقتضيه حاجات المتعلمين أيًا كانت صعوبة التراكيب وأيًا كان تواتر المفردات.

4. إنها تعتمد على استخدام اللغة عملياً، وهذا يعني أنها تعلم من اللغة ما يبدو ضرورياً للتواصل في مختلف مواقف الحياة العملية. فكل كلام يجب ا، يتم في إطار زمني ومكاني بين متخاطبين من مستوى اجتماعي واحد أو من مستويات مختلفة، وذلك يستدعي أنماطاً لغوية مختلفة تناسب هذه الحالات وهؤلاء المتخاطبين.

5. تهتم هذه الطريقة بالنشاطات التي تخلق مواقف حقيقية لاستخدام اللغة، مثل توجيه الأسئلة وتسجيل المعلومات واستعادتها، وتبادل المعلومات والأفكار والذكريات، والتعبير عن المشاعر بطريقة أو بأخرى. وتتاح الفرصة فيها للتعلم كي يمارس دور المشارك والمراقب والمستمع، ويفهم المعلومات والتجارب والمشاعر ويؤديها ويمثلها، ويحل المشكلات، ويسهم في المناقشة والاستشارة وإصدار التعليمات والمجادلة والتنظيم والإعلان... إلخ (خرما وعجاج، 1988، ص 189).

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

6. ولتحقيق ذلك يمكن اللجوء إلى مختلف الوسائل السمعية منها والبصرية كالشرائط المسجلة والصور والرسوم واللوحات الجدارية والبطاقات.
- وتحرص هذه الطريقة على استعمال الوثائق الحقيقية مثل المقطوعات من القصائد والصحف والإعلانات المكالمات الهاتفية المسجلة، والصور الحقيقية والجدول وبطاقات الأعياد والأفراح والأتراح، والبرامج التلفزيونية والإذاعية... إلخ).
7. تُعنى هذه الطريقة بمهارات اللغة الأربع الرئيسية: الاستماع والحديث والقراءة والكتابة وبالمهارات المتقاطعة أو المركبة.
8. هناك خمسة معايير لاختيار وتنظيم محتوى المادة التعليمية في الطريقة التواصلية، هي (خرما وعجاج، 1988، ص 188).
- أ. التركيز على المعرفة والنواحي الوجدانية للمتعلم.
- ب. عرض المادة **حزونيا**، لا خطياً تتابعياً، ليتمكن ذلك المتعلم من تنمية معارفه وقدراته على استخدام اللغة فعلياً، وعملياً وتواصلياً، لا نظرياً في شكل قوالب جامدة.
- ج. تقسيم وحدات التعلم إلى **نشاطات عملية** لا إلى تمارين لغوية.
- د. قيام عملية التعلم على أساس **تفاوضي** بين متعلم وآخر أو آخرين، أو بين المتعلم والمعلم، أو بين المتعلم والكتاب أو المادة التعليمية
9. إن هذه الطريقة **مرنة** تتيح للمتعلم أن يقوم بأدوار كثيرة. ففيها متسع للعمل المكثف، وللعمل العام حول النقاط العامة من الدرس. وهناك عمل فردي يؤديه المتعلم في الفصل وهناك عمل ثنائي وآخر جماعي. وهناك وقت للعمل التعاوني وآخر للتوجيه والإرشاد. وهناك مراعاة للفروق الفردية في التعلم وإعطاء كل متعلم فرصة ليتعلم وفق جهده وإمكاناته (خرما وعجاج، 1988، ص 189).

5. الأسس التي تقوم عليها لطريقة التواصلية في تعليم اللغة

تستند الطريقة التواصلية في تعليم اللغة إلى عدد من الأسس تجعلها أكثر ملاءمة لتعليم يلبي حاجات التواصل اليومية على الصعيدين الشفوي والكتابي، وتجعلها أكثر عملية، وأكثر ارتباطاً بالواقع والحياة، وهي:

1.5 التمييز بين الكفاءة اللغوية والكفاءة التواصلية*

الكفاءة اللغوية من المنظور الشومسكي هي: المعرفة الضمنية التي يمتلكها كل متحدث/مستمع للغة ما، عن هذه اللغة وتتيح له أن ينتج ويفهم عدداً لا محدوداً من جمل هذه اللغة. ولكن الكفاءة من هذا المنظور مسألة افتراضية، وشومسكي يصف من يتمتع بهذه الكفاءة بأنه متحدث/مستمع مثالي. إن النصل الحرفي لشومسكي هو التالي: "إن الموضوع الأول للنظرية اللغوية متحدث/مستمع مثالي، منتمٍ إلى جماعة لغوية متجانسة كلياً، يعرف بشكل كامل لغته، ولا يتأثر، حينما يطبق في أداء فعلي معرفته عن اللغة، بشروط غير ملائمة نحوياً، من مثل انحصار الذاكرة، والشرود، وانتقال الاهتمام أو الانتباه، والغلط العابر أو المميز" (هيمز، 1984). إن هذا النموذج المثالي ينطبق في اعتقادي على ما نسميه نحن العرب **بالذي لا يلحن**، إنه شخص يتقن لغته إتقاناً تاماً، ولا يلحن، بمعنى أنه لا يقع في أية هفوة أو غلط، أياً كانت الظروف التي يعبر فيها. وكفاءة هذا النموذج المثالي تتجلى في أدائه الشفوي والكتابي، والأداء بالاستناد إلى مفهوم الشومسكي هو: تحقيق اللغة، تنفيذها فعلياً، نقلها على حيز الاستعمال الشفوي أو الكتابي. ولكن الأداء أيضاً على **وجهين: تواصلية**، يتجلى في استعمال اللغة للتعامل مع الآخرين للتفاهم وقضاء الحاجات، و**غير تواصلية**، يتجلى في وصف اللغة والحديث عنها والبحث في قواعدها ونظامها. ومن البديهي أن يركز تعليم اللغات على الجانب الأول: التواصلية، لأنه الهدف من استعمال اللغة، أنا الثاني فهو لا يخص إلا فئة قليلة من

* استوحينا في الفقرات 1.5، 1.5.5، 2.5.5، كتابنا: اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية (راجع قائمة المراجع).

المتخصصين المتعمقين في دراستها واكتشاف قوانينها وطبيعة عملها.

وعلى أساس من هدف استعمال اللغة وسيلة للتواصل بدأ الحديث، وتأثير من النظرية التحويلية، عن **الكفاءة التواصلية**، فما المقصود بهذه الكفاءة؟ لقد جاء في **معجم تعليم اللغات** حول هذه الكفاءة أنها: "مفهوم يمثل معارضة وتوسيعاً للمفهوم الشومسكي للكفاءة. إن هايمز (1984) يحدد تحت عبارة كفاءة التواصل، المعرفة (العملية لا الظاهرة بالضرورة) للقواعد النفسية والثقافية والاجتماعية التي توجه استعمال الكلام في إطار اجتماعي. إن عملية الاستخدام الاجتماعي للغة (التي درسها برنشتاين Berenstin على سبيل المثال) تتكون في جزء منها من اكتساب المترج لهذه الكفاءة التواصلية التي **تكمل بالضرورة** الكفاءة النحوية للشخص المتكلم. إن الكفاءة التواصلية تقتضي امتلاك الأنظمة والتغيرات اللغوية الاجتماعية ومعايير الانتقال من نظام أو تغير إلى آخر: إنها تتطلب أيضاً معرفة عملية فيما يخص الأعراف التعبيرية المستعملة في جماعة معينة" (Galisson, 1976, p 106).

إن الكفاءة التواصلية تعني باختصار امتلاك قدر معين من قواعد معنية (قواعد متمثلة بالطبع، أي مستبطنة) تمكن مستعمل هذه اللغة (سواء أكان من أبنائها أم من غيرهم) من الاتصال المثمر مع أبنائها، فهماً وإفهاماً بما يتفق مع الأعراف التعبيرية السائدة في الجماعة اللغوية.

إن الأداء اللغوي يتجلى إذن في جانب كبير منه عبر **الكفاءة التواصلية**، وإذا كان من المفترض أن أبناء اللغة يكتسبون هذه الكفاءة في مرحلة مبكرة من تعلمهم لغتهم الأم، فإن ذلك ينطبق، فيما يخص لغتنا العربية، على التواصل بالعامية، وهو تواصل يفترض أن يكون محصوراً (وهذا خيار من فرض عليه الخيار) في الحياة العامة وغير الرسمية. أما ضمن مؤسساتنا التعليمية، سواء أكانت مدارس أم جامعات، فإن التواصل ينبغي أن يتم باللغة الفصحى: لغتنا الرسمية والقومية معاً. ولكن الواقع يثبت خلال ذلك في حالات كثيرة، على الصعيد الشفوي بالطبع، ولسنا هنا في معرض الحديث عن الشواهد.

نخلص إذن إلى أن التواصل باللغة الفصحى يكاد يقتصر على مواقف محدودة، محصورة في الجانب المكتوب منها (أي ما يتعلق بالقراءة والكتابة) أما الجانب الشفوي (أي الاستماع والتحدث) فهو في معظم الحالات يتم بالعامية. ولكننا نلاحظ أن تلاميذنا وطلابنا، حتى على المستوى المكتوب الضيق لا يعبرون إجمالاً في أدائهم عن كفاءة لغوية متقنة في المفهوم الشومسكي المثالي، ولا حتى الواقعي. لنسلم إذاً بأن هذا النموذج المثالي (وهو مصدر النحو العلمي)، غير موجود في واقعنا، فنحن جميعاً (أعني بذلك الأساتذة والمتخصصين وعلى المستوى الجامعي بالذات) لا نمثل النموذج المثالي، وإنما نمثل نموذجاً واقعياً، معرضاً لأن يقع في زلة لسان أو سهو أو شرود أو بلبلة ذاكرة، ولكنه ينتبه إلى أنه واقع في ذلك ويصحح نفسه مباشرة في غالب الأحيان. وهذا معيار الإتقان الواقعي للكفاءة اللغوية في رأيي. ولكن تلاميذنا في المدارس الإعدادية والثانوية، بل طلبتنا على المستوى الجامعي، وفي أقسام اللغة العربية بالذات، لا يعبرون عن حدٍ أدنى من الإتقان الواقعي للكفاءة اللغوية. وهذه الظاهرة عامة تنتشر حيث ينتشر تعليم اللغة العربية. وهذا أحد الأسباب الهامة التي تدعونا إلى تطويل طرائق تعليم اللغة العربية وأساليب تقويمها.

2.5 التمييز بين تعليم اللغة وتعليم التواصل باللغة

تميز الطريقة التواصلية بين تعليم اللغة تقليدي يقدم قواعدها ونصوصها في إطار علمي مدرسي بعيد عن الواقع والحياة ومشكلاتها، ويرسخ الطابع النظري للتعليم، الذي يقوم على حشو الأذهان بالمعارف دون إتاحة الفرصة للمتعلم لاستعمالها في مواقف الحياة اليومية، فنتحول بالنتيجة إلى مخزون معرض للنسيان عموماً بعد أداء الامتحان؛ وتعليم تواصلية للغة يركز على القدر الذي يحتاج إليه المعلم منها للتواصل في مواقف الحياة اليومية تواصلًا مثمرًا على الصعيدين الشفوي والكتابي. إنه تعليم يسعى إلى إكساب المتعلم كفاءة تواصلية من خلال استعمال اللغة في مواقف واقعية حية، تلبّي حاجات التخاطب اللغوي ومتطلبات أداء الوظائف اللغوية التي تقتضيها هذه المواقف. وبذلك نتحول المكتسبات اللغوية والمتعلمة إلى أداة حية

تستعمل باستمرار، وتوظف في خدمة أنشطة الحياة المختلفة.

إن الطريقة التواصلية تتجاوز المعلم الذي ظل يشكل في الطرائق التقليدية محور العملية التعليمية، لتتمركز حول المتعلم وتجعل من أنشطته وحاجاته هدفها وغايتها. أنا الوظائف التي تسعة الطريقة التواصلية إلى إكساب المتعلم مهارات التواصل اللغوي فيها فتتوزع تحت أربعة محاور هي التالية (Ammar et al, 1986):

1.2.5 طلب المعلومات أو إعطاؤها:

1. تعريف الأشخاص والأشياء أو التعريف بهم.
2. الحديث والرواية والوصف والسر
3. تصحيح المعلومات
4. السؤال عن...

2.2.5 التعبير عن الأفكار وتأويل المواقف

1. التعبير عن الموافقة وعدم الموافقة
2. الإنكار
3. قبول دعوة أو عرض أو رفضها
4. الاستفهام عن قبول دعوة أو عرض أو رفضها
5. عرض القيام بعمل أو خدمة
6. إقرار المتكلم أنه تذكر أو نسي شيئاً أو شخصاً
7. الاستفهام عن كون الشخص الآخر قد تذكر أمراً أو شخصاً
8. الاستفهام عن كون أمر ما معتبراً من الممكن أو من المستحيل
9. التعبير عن القدرة على القيام بأمر ما أو العجز
10. الاستفهام عن القدرة على القيام بأمر ما أو العجز عنه
11. التعبير عن كون أمر ما معتبراً نتيجة منطقية (استنتاج)

12. الاستفهام عن كون أمر ما معتبراً نتيجة منطقية (استنتاج)
13. التعبير عن مقدرا التأكد أو عدم التأكد من أمر ما
14. التعبير عما يجب أو عما لا يجب على الآخرين
15. السماح بالقيام بشيء أو بطلبه
16. الاستفهام عن إمكان السماح للآخرين بأن يقوموا بأمر ما
17. الإقرار أن السماح غير متاح مؤقتاً

3.2.5 التعبير عن العواطف والمشاعر وتأويلها

1. التعبير عن السرور والإقبال على أمر ما (المتكلم يقوم بالعمل بكل سرور)
2. التعبير عن العكس (المتكلم لا يجب أن يقوم بما قام به)
3. الاستفهام عن السرور والإقبال على أمر ما
4. التعبير عن المفاجأة (المتكلم فوجئ بأمر ما)
5. التعبير عن الأمل والرجاء
6. التعبير عن الرضا وعدم الرضا
7. التعبير عن الخيبة
8. التعبير عن الخوف والقلق أو عدم الاطمئنان (البال مشغول)
9. التعبير عن الألم والحزن أو الفرح أو الغضب أو الاستياء
10. التعبير عن التعجب
11. التعبير عن التفضيل (تفضيل أمر أو شخص على أمر أو شخص آخر)
12. الاستفهام عن التفضيل (تفضيل أمر أو شخص على أمر أو شخص آخر)
13. التعبير عن الاعتراف بالجميل (الامتنان)
14. التعبير عن مشاركة الآخرين في آلامهم أو عدم ارتياحهم أو غضبهم
15. التعبير عن مشاركة الآخرين في فرحهم أو حزنهم

4.2.5 العلاقات الاجتماعية

1. الترحيب بالآخرين
2. لقاء الناس
3. تعريب شخص بآخر (شخص يعرف المتكلم بشكل آخر)
4. الاعتذار من الجماعة والذهاب
5. لفت النظر والانتباه
6. اللوم
7. العقاب
8. فهم عبارات التحذير والتعبير عنها
9. التحية بأنواعها وتباين أوقاتها

3.5 النظر إلى اللغة على أنها مهارات لا فروع

ما زال كثير من العاملين في ميدان تعليم اللغة العربية يتحدثون عن فروع اللغة العربية، فيجعلون القراءة والتعبير والنحو والأدب: شعره ونثره والإملاء والخط فروعاً لها، وكأن اللغة في تصورهم شجرة تمتد فروعها في كل اتجاه. والتمكن من هذه الفروع يشكل في رأيهم تمكناً من اللغة في كليتهما.

ولكن التطورات المذهلة التي تحققت في ميدان علم اللغة الحديث غيّرت إلى حد بعيد المفاهيم التي كانت سائدة في ميدان تعليم اللغات، وأهم هذه التطورات:

1. إرساء قواعد علم اللغة الحديث في مطلع القرن العشرين على يد فرديناند دو سوسير الذي وضع أسس النظرية البنيوية، وميز لأول مرة في اللغة بين **اللسان** (وهو كل نظام نوعي من العلاقات المنطوقة يستخدم لنقل رسائل بشرية)؛ و**الكلام** (وهو التنفيذ الفعلي للسان، تحقيقه عملياً وواقعياً، نقله من حيز القاعدة النظرية إلى حيز الفعل والتطبيق العملي).
2. القفزة الرائعة التي أنجزها في النصف الثاني منه ناعوم شومسكي الذي أرسى قواعد نظرية

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

النحو التوليدي والتحويلي، ومميز في اللغة بين الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي، على النحو الذي بيناه في الفقرة (1.5).

3. ما آثاره هذا التمييز من دراسات معمقة حول الكفاءة التواصلية.

4. ما رافق ذلك كله من تطور في مجال علم اللغة التطبيقي، وهو فرع من علم اللغة يجعل من تعليم اللغات ميداناً واسعاً لتطبيقاته.

لقد أصبح العاملون في الميدان ينظرون إلى اللغة، أية لغة، لا بصفاتها مجموعة من الفروع مستقل بعضها عن بعض، بل بصفاتها جملة متكاملة من المهارات يؤدي اكتسابها وإتقانها إلى تكوّن الكفاءة اللغوية (competence) أو الملكة أو القدرة كما يرغب بعضهم في ترجمة المصطلح عن الإنكليزية.

لقد استوعبت النظرية التواصلية هذه التطورات في مجال تعليم اللغات، وتبينت مفهوم الكفاءة التواصلية (الذي يعد امتداداً وتوسعاً لمفهوم الكفاءة اللغوية)، وسعت إلى تطوير مهارتها وإكسابها إلى مستوى الإتقان.

إن تبني الطريقة التواصلية في تدريس اللغة العربية يفترض إذن الحديث عن مهارات لغوية لا عن فروع. وسيكون لنا حديث مفصل عن هذه المهارات في فقرة تالية.

4.5 التمييز في تعليم اللغة بين نوعين من النشاط اللغوي: الوصفي

التعقدي والتواصل

النشاط اللغوي: هو إنتاج الكلام من حيث هو وسيلة اتصال وسلوك معاً، تؤخذ فيه بالحسبان عوامل نفسية واجتماعية وثقافية وعرقية لا تشملها مفاهيم مقيدة مثل "اللسان" أو "النظام". وهذا النشاط قد يكون وصفيّاً تعقيدياً أو تواصلياً.

1.4.5 النشاط اللغوي الوصفي أو التعقدي

هو ذلك النوع من النشاط اللغوي، الذي يقوم به المتعلم عندما يتأمل في تراكيب اللغة التي

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

يتعلمها بهدف التوصل إلى فهم نظامها وفهم القواعد التي تنظم هذه التراكيب. إنه إذن نشاط وصفي (يصف اللغة) أو تعقدي (يعالج قواعدها)؛ لأنه تأملي هدفه وصف اللغة المتعلمة والتبصر في قواعدها من أجل فهمها واستيعابها وإتقانها.

2.4.5 النشاط اللغوي التواصل

وهو ذلك النوع من النشاط الذي يستعمل فيه المتعلم اللغة لقضاء الحاجات والتواصل مع الآخرين. إنه إذن يرتبط باستخدام اللغة لأغراض نفعية في مواقف الحياة اليومية الواقعية. إنه تواصل لأنه هدفه تعلم استعمال اللغة وممارستها أي التواصل الواقعي المثمر بين الناس.

5.5 التمييز في المهارات اللغوية بين مهارات وصفية تعقيدية ومهارات

تواصلية

تميز منهجية تعليم اللغات في كل لغة حية، أربع مهارات مفردة أو رئيسية. ونميز نحن انطلاقاً من هذه المهارات الرئيسة عدداً من المهارات المركبة التي سنميز فيها بين مهارة مركبة وصفية تعقيدية، ومهارة مركبة تواصلية، تبعاً للنشاط اللغوي المستهدف فيها ولهذه. فما هذه المهارات؟ وكيف يمكن استثمارها في الطريقة التواصلية؟

1.5.5 المهارات الأربعة الرئيسة

لا بد هنا من توضيح معنى المهارة (SKILL) قبل الحديث عن المهارات الرئيسة. إنها بالمعنى العام (استعداد موروث أو مكتسب للقيام بنشاط معين). وبناء على ذلك تكون المهارة اللغوية استعداداً موروثاً أو مكتسباً للقيام بنشاط لغوي معين. إنها مفهوم مستعار من علماء اللغة التطبيقيين الأنكلوزاسكونيين الذين أعطوا للكلمة معنى خاصاً بالتركيز - في استعمال اللغات - على ما يبدو صادراً من القدرة الفيزيولوجية أكثر مما يبدو صادراً عن استعداد فكري. إن مفهوم المهارة لديهم مرتبط بتصور سلوكي للغة يؤكد أهمية تشكيل العادات والحدائق أكثر مما يؤكد أهمية المعرفة. فالمهارة من هذا المنظور إذن عادة متقنة (Galisson et al., 1983 p 506).

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

ومنهجية تعليم اللغات تميز أربع مهارات رئيسية في تعلم لغة ما واستعمالها هي (الاستماع) و(التكلم) و(القراءة) و(الكتابة). إن المهارتين الأوليين تخصان الجانب الشفوي والمهارتين الآخرين تخصان الجانب الكتابي. واثنان منهما (الاستماع والقراءة) تؤمّنان الفهم الشفوي والكتابي. والاثنان الآخران (التكلم والكتابة) تؤمّنان التعبير الشفوي والكتابي.

ويميز بعض المؤلفين تمييزاً قابلاً للنقاش بين (مهارتين سلبيتين) للفهم و(مهارتين فعاليتين) للتعبير. وترتيب اكتساب هذه المهارات الأربع كما بيناه في بداية هذه الفقرة (الفهم الشفوي فالتعبير الشفوي فالفهم الكتابي) يطالب به التعليم الحديث للغات الحية، الذي يعتبر أن الهدف من هذا الاكتساب هو استعمال اللغة بصفاتها أداة تواصل.

ومن المفيد أن نشير أخيراً إلى أن التعليم الحالي للغات يصر على الجمع بين المهارتين الشفويتين والمهارتين الكتابيتين. وسنرمز لمهارتي الفهم الشفوي والتعبير الشفوي بـ (ف ش، ت ش) ولمهارتي التعبير الكتابي بـ (ف ك، ت ك).

ولا بد من التمييز في مهارة الفهم الشفوي بين السماع والاستماع، فمن الممكن أن نسمع أصواتاً ونحن نقرأ أو نتحدث... إلخ، دون أن تجذب انتباهنا، مثال ذلك ما يجري في غرفة الصف (أصوات السيارات في الشارع) في أثناء شرح الدرس (الفهم الشفوي من جانب الطلاب). وحالة السماع هذه ليست ما نعنيه بالفهم الشفوي. إن الفهم الشفوي هو الاستماع الذي يقتضي تركيز الانتباه وتوجيهه نحو الموضوع المراد فهمه.

2.5.5 المهارات المتقاطعة أو المركبة

إن المقصود بالمهارة اللغوية المركبة هو مهارة تتكون من تركيب لمهارتين رئيسيتين أو تأليف بينهما. وهكذا فعملية التأليف والتنسيق الممكن بين المهارات الأربع الرئيسية توصلنا إلى المهارات المركبة الممكنة التالية:

1. (ف ش، ت ش)

2. (ف ش، ف ك)

3. (ف ش، ت ك)

4. (ت ش، ت ك)

5. (ف ك، ت ش)

6. (ف ك، ت ك)

ولكننا نميز في كل من هذه المهارات الست المركبة بين نمطين، أولهما يكون فيه النشاط اللغوي المتصل بالجزء الأول من المهارة المركبة مماثلاً للنشاط المتصل بالجزء الثاني، ولذلك نعتبر النشاط الناتج عن تركيب هذين النشاطين نشاطاً لغوياً وصفيّاً تعديديّاً، لأن هدفه تعلّم اللغة وفهم قواعدها. وثاني النمطين يكون فيه النشاط اللغوي المتصل بالجزء الأول من المهارة مختلفاً عن النشاط اللغوي المتصل بالجزء الثاني في الشكل وقريباً منه في المعنى. ولذلك نعتبر النشاط الناتج عن تركيب هذين النشاطين نشاطاً تواصلياً.

إن المهارة المركبة تشمل إذن نشاطين متتالين، على الرغم من تقاربهما في الزمن، ومرتبطين بنيوياً بالطريقة التي أشرنا إليه. لقد قلصنا عملية التأليف أو التنسيق لنبعد النتائج التي قد تكون مستحيلة من وجهة نظر التتالي في الزمن وهكذا، فالفهم يسبق دائماً التعبير باعتبار أن هذين المصطلحين مأخوذان بالمعنى الواسع. مثال توضيحي:

1. في النمط الأول من المهارة المركبة الأول (ف ش، ت ش) 1 يتماثل النشاطان في الفهم الشفوي والتعبير الشفوي. فنحن هنا أمام نشاط لغوي وصفي نموذجي: التكرار أو تصويب النطق، وهو مهارة يمكن أن يلجأ إليها مدرس اللغة العربية في الصفوف الدنيا. وهدفها التوصل إلى النطق الصحيح للكلمات وإخراج حروفها من مخارجها إخراجاً سليماً. أما في الصفوف العليا فلها هدف مزدوج: تصحيح النطق من جهة، وهو هنا يتناول الكلمة بذاتها؛ ومراعاة قواعد اللغة، وهو هنا يتناول تركيب الجملة في اللغة العربية ووظائف الكلمات فيها.

2. في النمط الثاني (ف ش، ف ك) 2 يختلف النشاطان في الشكل، ولكنهما يتشابهان في المعنى. فنحن هنا تجاه نشاط لغوي تواصلية نموذجي: إعادة الصياغة الشفوية لنقاشات

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

شفوية. إن الموقف التواصلية الذي يمثل هذا النشاط يتم عندما تناقش شفويةً نصوص مكتوبة أو أحداث أو أنشطة مدرسية صفية أو لا صفية بحيث يتم التوصل من خلال المناقشات أو في نهايتها إلى عرض توضيحي أو إجمالي أو تلخيصي. ومثل هذا النشاط يمكن أن ينفذ في المرحلة الثانوية. إنه موقف نواجهه باستمرار في حياتنا العملية، وإتقان المهارة في هذا الموقف يؤهل المتعلم لأنه يحسن التصرف في الاجتماعات والندوات والمحاورات... إلخ.

إننا في النوع الأول من المهارة المركبة إذن أمام نشاط تعليمي/تعلمي صرف يتعلق باللغة ذاتها: تعرف قواعد اللغة ونظامها وبنيتها... إلخ. والتدرب عليه بهدف إتقانه هو من يصطلح عليه تقليدياً بالتمارين **exercice**. أما في النوع الثاني منها فنحن إزاء نشاط لغوي تواصلية يتعلق باستعمال اللغة في موقف تواصلية نصادفه دائماً في حياتنا العملية والعملية. فاللغة تتعلم هنا من أجل تحقيق الهدف الأسمى لها، وهو التواصل المثمر بين الناس، والتدرب من أجل إتقان هذا النوع من المهارة المركبة هو ما تحرص الاتجاهات الحديثة في تعليم اللغات على تسميته بالنشاط (activité).

ونقدم فيما يلي جدولاً بأنواع المهارات المركبة أو المتقاطعة على أساس النشاط اللغوي المستهدف فيها:

النشاط اللغوي / المهارة المركبة	وصفي أو تعديدي	تواصلية
(ف ش، ت ش) 1	التكرار، تصويب النطق	
(ف ش، ت ش) 2		حالات إعادة الصياغة اللغوية للمناقشات في الاجتماعات والدروس؟
(ف ش، ف ك) 1	المتابعة بالعين لنص مقروء (الطلبة وراء المدرس)	

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

الاستماع لمناقشة نص يتابع بالعين مكتوباً: من ذلك مناقشة التقارير والملخصات، وخطط العمل ومشاريع القوانين... إلخ		(ف ش، ف ك) 2
	الإملاء	(ف ش، ت ك) 1
إعادة الصياغة الكتابية: أخذ الملاحظات (الصحفي) والطالب وأمين سر الجلسة.. إلخ		(ف ش، ت ك) 2
	القراءة بصوت مرتفع لما نقوم به (الأستاذ والطالب على السبورة)	(ت ش، ت ك) 1
	القراءة الجهرية	(ف ك، ت ش) 1
- قراءة الأخبار، المدرس على التلفزيون، الخطب المكتوبة - التحدث انطلاقاً من نص مكتوب: المحاضرة للدرس، التدخل في الاجتماعات المؤتمرات والندوات.. إلخ - التحدث انطلاقاً من نص يناقش ويعلق عليه: الاتفاقات، المعاهدات، مشاريع القوانين		(ف ك، ت ش) 2
	النسخ، الخط	(ف ك، ت ك) 1
حالات إعادة الصياغة الكتابية لنص مكتوب: أقوال الصحف، التلخيص، دورية الملخصات، ملخصات الأبحاث والكتب في المجلات... إلخ		(ف ك، ت ك) 2

إن المقام لا يسمح هنا بشرح هذه المهارات واحدة فواحدة. ولذلك سنقتصر على تناول مهارة ثانية فقط. ولتكن مهارة الفهم الشفوي/التعبير الكتابي (ف ش، ت ك). ففي النمط الأول منها (ف ش، ت ك) 1 نجد نشاطاً لغوياً وصفيّاً هو الإملاء، والغاية منه إتقان قواعد الإملاء في اللغة

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

العربية. إن المتعلم يستمع إلى المعلم وهو ينطق الجمل المراد كتابتها إملائياً. وهو في هذه المرحلة من المهارة مدعو إلى فهم ما يقوله المعلم (ف ش). وهو مدعو في المرحلة الثانية إلى كتابة الكلام الذي استمع إليه وفهمه. ومن الطبيعي أن يتفاوت الفهم بين الطلاب وأن تتفاوت لديهم القدرة على التحليل السريع لما يمليه المعلم. وهذا التفاوت في القدرة على التحليل ينتج تفاوتاً في القدرة على التركيب والإنتاج اللغوي عند التعبير الكتابي، أي كتابة ما يمليه المعلم. وهذا هو السبب في حجم الأخطاء وعددها ونوعها لدى المتعلمين. إننا هنا إذن أمام تمرين لغوي وصفي يتناول اللغة ذاتها.

وفي النمط الثاني منها (ف ش، ت ك) 2 نجد أنفسنا أمام نشاط تواصلية مجالاته واسعة جداً، إن في الجو المدرسي أو في الحياة العامة. إنه نشاط إعادة الصياغة الكتابية لما يُسَمَّعُ إليه، وهو نشاط يجد المتعلم نفسه فيه مضطراً إلى أن يدون كتابياً رؤوس أقلام (في التعبير الشائع) أو فكراً موجزة عما يكون المدرس أو المحاضر قد قدمه.

إن إتقان هذه المهارة يتطلب فهماً سريعاً يمكن المتعلمين من استخلاص الفكر الأساس، وكتابتها في سرعة قياسية. وهو يتطلب بالإضافة إلى ذلك نظاماً من الرموز خاصاً بكل طالب يستعمل مكوناته بديلاً عن الكلمات.

والأمر هنا سهل نسبياً لأن الفهم الشفوي والتعبير الكتابي يتمان باللغة الفصحى (وهذا على الأقل ما يجب أن نفترضه في مثل هذه الحالة). إن المتعلم هنا يفهم ويكتب من خلال نظام واحد هو النظام الكتابي للغة العربية. فكيف يكون الأمر لو كان الفهم الشفوي بالعامية والتعبير الكتابي بالفصحى (المعاصرة بالطبع)؟ إن النشاط هنا ليس صفيّاً بالطبع، إنه يتم خارج حجرة الصف، والموقف الذي يستدعي هذا النشاط يواجهه كثيرون، منهم مثلاً الصحفي الذي يجري مقابلة مع رجل مهم في حكومة عربية أو مع مدير مؤسسة أو شركة أو حتى مع الناس العاديين في الشارع إبان حدث هام. ففي أحسن الأحوال سيتم النشاط بنمطها الثاني (ل و 2). والحديث مع العامة سيكون حتماً بالعامية الإقليمية أو القطرية، أو أحياناً وتبعاً للموقف، بالمحلية.

والموقف نفسه يتكرر في الاجتماعات، حيث يكون على أمين سر الجلسة أن يدون بالفصحى المعاصرة ما يدور في الجلسة من نقاشات وحوارات تتم عادة (الأمر مرتبط بالمستوى الثقافي للمجتمعين) بالعامية الإقليمية، وهكذا.

6. اللغة العربية الفصحى والكفاءة التواصلية*

إلى أي مدى نستطيع، بعد هذا الذي قدمناه، أن نستثمر الطريقة التواصلية في تكوين كفاءة تواصلية لدى المتعلم العربي، تمكنه من استخدام اللغة العربية الفصحى في خطابه الشفوي والمكتوب، عندما يتواصل مع الآخرين في المواقف التي تقتضي ذلك؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تقودنا إلى التحليل المباشر.

1.6 تحليل وضع اللغة العربية في الاستعمال المعاصر

أثيرت مسألة الاستعمال المزدوج للعامية والفصحى في الخطاب العربي الشفوي والكتابي منذ أوائل عصر النهضة، وما زالت تثار من حين إلى آخر، فتقوى أصوات داعية إلى استخدام العامية، ثم تخفت أمام الضغط الجارف لدعاة استعمال الفصحى، لغة القرآن الكريم، ووعاء الثقافة العربية وكنوزها عبر القرون، تنقله دائماً غذاء فكرياً وحضارياً للأجيال المتلاحقة. ودعم هذا الاتجاه الموقف الرسمي للدول العربية ومؤسساتها العلمية والتربوية والثقافية. ونحن بالتأكيد من دعاة هذا الاتجاه. ولكن كيف يمكن أن نيسر استعمال الفصحى لتكون أداة لخطاب عربي تواصلية شفوية وكتابية دون تقعر أو صعوبة أسلوب؟

في الإجابة على هذا السؤال، سنحلل وضع اللغة العربية في الاستعمال المعاصر، مستفيدين من كتاب غوبار Gobaed، الذي نشره في باريس عام 1976 بعنوان: التحليل اللغوي الرباعي (l'analyse tetraglossique)، وميز فيه، في كل لغة حية، أية لغة حية، أربعة مستويات هي:

1. المستوى المحلي Le vernaculaire

* استوحينا في هذه الفقرة وتفرعاتها كتابنا: اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية (راجع قائمة المراجع).

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

2. المستوى الناقل Le vehiculaire

3. المستوى المرجعي Le referenciaire

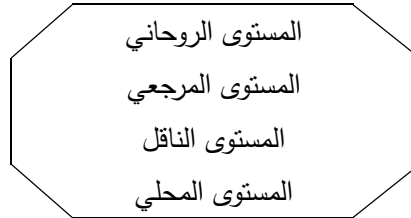
4. المستوى الروحاني Le mystique

فالمستوى الأول (المحلي) يمثل لغة الجماعة العائلية أو الفردية أو القبيلة، إنه على أية حال، لغة ذات استعمال خاص جداً أو محدود جداً. وهو على هذا يأخذ مكانه (إن رمزنا للغة ببناء من أربعة مستويات) في القبو، قاعدة البناء اللغوي الرمزي.

والمستوى الثاني (الناقل) يمثل لغة مشتركة، قاسماً مشتركاً بين الناس، إنه لغة عامة ومحيدة معاً، بها يستقبل الغريب الذي يطرق الباب، وهذا المستوى يأخذ مكانه إذن في الطابق الأرضي.

والمستوى الثالث (المرجعي) هو لغة الثقافة الأدبية، ويستقر في الطابق الأول، في غرفة الاستقبال.

والمستوى الرابع (الروحاني) فهو لغة مقدسة ذات تقاليد مثل اللغة المرجعية ووظيفتها نقل رسالة تهدف إلى إثارة أصداء عاطفية وفكرية وروحانية متعددة في الإنسان، وإلى أن تكون مفهومة بالطبع، ولكن، عند الاقتضاء، بوساطة مستوى لغوي أقرب. إن مكان اللغة الروحانية في أعلى البناء، في العلية. كما في الرسم التالي:



ولكن هذا الرسم الرمزي لا قيمة مطلقة له، فالتعريف والوضع الرمزي للمستويات المختلفة يرتبط بوجهة النظر التي نأخذ بها من جهة، ومن جهة ثانية ليس هناك حاجز بين هذه

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

المستويات المختلفة.

فإن طبقنا هذه المستويات على اللغة العربية، أمكننا أن نمثل المستوى المحلي باللغة العائلية أو القروية أو القبلية، أو، إذا استعملنا المهنة، بلغة جماعة الحرف اليدوية مثلاً. وللغة المحلية بالطبع تراثها الثقافي الخاص الذي لم يؤخذ بعين الاعتبار في هذا الرسم الرمزي.

واللغة المرجعية هي بالتأكيد لغة النصوص القديمة، وهي ما نستطيع أن نطلق عليه فصحي التراث. واللغة الروحانية هي لغة النصوص المقدسة (لغة القرآن الكريم)، وهي أيضاً لغة الأساطير.

وأما اللغة الناقلة فهي بالتأكيد لغة وسائل الإعلام والتعليم ولغة التبادل والتجارة... إلخ، إنها لغة محايدة، واكتساب معرفتها هو الهدف الأول لتعليم اللغات.

ولكن المستوى الناقل في اللغة العربية مزدوج: هناك لغة ناقلّة (ونقل ناقلّة أولى) على المستوى البلدان العربية كلها، مستعملة في وسائل الإعلام وفي الكتابة، وهي اللغة الفصحى المعاصرة، وهناك لغة ناقلّة، (ونقل ناقلّة ثانية) على مستوى بلد عربي بعينه لا تستعمل إلا في الحوار، وهذه اللغة الناقلة الوطنية مختلفة عن الفصحى، ومختلفة أيضاً عن اللغة المحلية ذات الاستعمال المحدود جداً، الذي لا يمتد على نطاق بلد بكامله.

وهذا هو لسوء الحظ مصطلح العامية الغامض والموحي بمفاهيم مؤسفة، الذي كرسه الاستعمال للغة المحلية واللغة الناقلة الثانية معاً. ووجود اللغة الناقلة الثانية يبدو أمراً لا جدال فيه، وإلا فيجب أن نقر، كما يقول ب. هالف (B. Halff) أن الناس في بلد عربي ما يتكلمون جميعاً إما العربية الفصحى، وليس الأمر كذلك؛ وإما لغة محاورهم القبلية أو القروية عند الاقتضاء، التي قد لا تؤدي إلى تفاهم مثمر؛ وإما أنهم يتكلمون جميعاً لغة أخرى. وهذه اللغة الناقلة الثانية لا المحلية هي التي تكون إذن المصطلح المقابل للفصحى في ازدواجية اللغة العربية (diglossie arabe). (Halff, 1982).

أما التحليل المعمق لاستعمال اللغة العربية المعاصر يبين أن هناك مستوى وسطاً بين اللغة الفصحى المعاصرة والعامية، فلا هو فصيح كلياً، ولا هو عامي كلياً. إنه في رأينا شكل هجين يدخل في تركيبه الفصحى المعاصرة والعامية، وهو إذن يقتضي وجود نمطين: أولهما أكثر قرباً من الفصحى ينتج عن إدخال تراكيب من لغة عامية إقليمية وربما محلية معينة، في حديث تصدر جملة عن الفصحى المعاصرة، ولنطلق عليه (ت و1). ومعايير ارتباط هذا النمط (ل و1) بالفصحى المعاصرة هي نحوية بالدرجة الأولى: إن الاستعمال النحوي للجملة يبقى خاضعاً لقواعد الفصحى وإن أهمل قسم كبير من حركات الإعراب، ولم يراع عدد لا بأس به من ضوابط الفصحى المعاصرة. وهذا النمط هو الأكثر استعمالاً بين المثقفين: في الاجتماعات والنقاشات والمؤتمرات، وهو مستعمل أيضاً على نطاق واسع في التعليم.

وثاني النمطين، على خلاف الأول، أكثر قرباً من العامية. وهو ناتج عن إدخال تراكيب في الفصحى المعاصرة، وربما فصحى التراث في حديث يمكن أن تعتبر جملة منتمية إلى عامية معينة. وهذا النمط هو الأكثر استعمالاً على مستوى التخاطب اليومي بين المثقفين.

ولهذا الافتراض الذي قدمناه فائدة تصنيفية دون شك، فهو يربط إجمالاً النمط الأول (ل و1) بالفصحى المعاصرة، والنمط الثاني (ل و2) بالعامية. إنه لا يأخذ بالحسبان وجود لغة وسطى قد تكون شكلاً قائماً بذاته، أي شكلاً من الممكن أن تحدد قواعده ومعجمه كما هي الحال بالنسبة للفصحى المعاصرة والعامية.

فإذا عدنا الآن إلى رسم غويار الرمزي وعدلناه بما ينسجم مع استعمالات اللغة العربية توصلنا إجمالاً إلى الرسم التالي:

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

مستويات اللغة العربية وأشكالها في الاستعمال المعاصر

لغة القرآن (ل ق)/لغة الأساطير	الفصحى	المستوى الروحاني
الفصحى التراث (ف ت)		المستوى المرجعي
الفصحى المعاصرة (ف م)		المستوى الناقل
النمط الأول (ل و1)	الوسطى	
النمط الثاني (ل و2)		
الإقليمية أو القطرية (ع ق)	العامية	المستوى المحلي
المحلية (ع م)		

إننا نجد هنا أن المستوى الناقل، وهو مستوى الاتصال على أوسع نطاق، يضم الفصحى المعاصرة، وهي تستعمل على مستوى الكتابة وحيدة، وتستعمل في التواصل الشفوي ضمن شروط معينة، ويضم كذلك نمطي الوسطى والعامية والإقليمية أو القطرية (نقصد بالإقليم هنا منطقة جغرافية تضم أكثر من قطر واحد). وسنعلق على هذا الجدول بالتفصيل لدى الحديث عن الكفاءة التواصلية لدى متعلم اللغة العربية.

وما يجب أن نؤكد هنا أننا نضرب صفحاً في هذا التوزيع لأشكال اللغة العربية عن تعريف علم اللغة السوسوري للغة بأنها نظام، لأن ذلك قد يضطرننا إلى القول بوجود لغات لا لغة عربية، على اعتبار أن بعضاً من هذه الأشكال يمكن أن يكون نظاماً له قواعده ومفرداته. إن التعريف السوسوري لا يبدو لنا ملائماً لحالة اللغة العربية التي تبدو فريدة من نوعها على صعيد الاستعمال، فهو ضيق ومقيد من جهة، وغير منسجم مع مقومات عربيتنا وأرسخ قواعدها انتمائنا القومي: اللغة العربية الواحدة الأم من جهة ثانية. سنقول إذن: إن هناك لغة عربية واحدة تتكون من أشكال متعددة.

وسنعمد في تأكيد وحدة اللغة العربية على تعريف علم اللغة الاجتماعي للغة، المستند إلى معيار الإخلاص اللغوي (language Loyalty) الذي يلزم بأن يؤخذ في الحسبان شعور الإخلاص اللغوي الذي يدفع أبناء جماعة لغوية واحدة إلى التعلق بلغتهم بصفتها أقوى مقومات هويتهم

القومية.

2.6 الكفاءة التواصلية في اللغة العربية

بعد هذا التحليل المعمق لمستويات اللغة العربية وأشكالها في الاستعمال المعاصر، ولمهارتها الرئيسية والمركبة، نستطيع أن نمثل الكفاءة التواصلية للمتعلم العربي، التي تقوم على تآزر هذه المهارات جميعها، باعتبارها التجسيد الواقعي العملي لها على صعيد الاستعمال، على الشكل التالي: (سنقتصر في الرسم الرمزي على المهارات الرئيسية وحدها، باعتبار أن المهارات المركبة أو المتقاطعة ناجمة عن التآليف الرياضي الممكن بين المهارات الرئيسية كما سبق أن قدمنا).

الكفاءة التواصلية في اللغة العربية

الكتابي		الشفوي		الكفاءة التواصلية عبر النشاط اللغوي
التعبير	الفهم	التعبير	الفهم	
ف ك	ف ك	ت ش	ف ش	شكل اللغة العربية الذي يتم به النشاط اللغوي
+/-	±	+/-	±	التراثية (ف ت)
+	+	+	+	المعاصرة (ف م)
-	-	+	+	النمط الأول (ل و 1)
-	-	+	+	النمط الثاني (ت و 2)
+/-	+/-	+	+	الإقليمية أو القطرية (ع ق)
+/-	+/-	+	+	المحلية (ع م)

الرموز:

+ = نعم، تستعمل

- = لا تستعمل

± = بمقدار أو بآخر تبعاً لمستوى المتعلم أو سهولة النص

+/- = لا، ولكن قد تستعمل أحياناً أو تصادف تبعاً لظروف محددة تذكر في أثناء التعليق على الجدول

لنتناول الجدول بالتعليق سطراً فسطراً:

1. من الواضح أننا حذفنا حقل اللغة القرآنية الذي ذكرناه في جدول سابق عندما كنا نتحدث عن

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

مستويات اللغة، ولكننا الآن نتحدث عن الكفاءة اللغوية من خلال استعمال أشكال اللغة المختلفة. ومن المتعارف عليه أن قواعد اللغة الفصحى التراثية ومعياريها إنما وضعت بالاعتماد على لغة القرآن الكريم وقواعدها. وعلى ذلك تكون اللغة التراثية هي لغة القرآن والحديث والكنوز الثقافية القديمة.

2. في فصحى التراث يتم التعبير الشفوي والفهم الشفوي (بمقدار أو بآخر)، حتى لدى أولئك الذي يتمتعون بمستوى ثقافي عال. فلا يوجد إلا في حالات استثنائية تعبير شفوي (ت ش) بفصحى التراث. وكذلك الأمر بخصوص التعبير الكتابي (ت ك)، إلا ذلك الاستعمال المتعلق بالمعارضة (في الشعر) أو كتابة الشعر على النمط التقليدي (العروض، الموضوعات، المفردات)، ومن هنا جاءت إشارة -/+ في حقل التعبير الكتابي (ت ك). أما الفهم الكتابي فمتوقف على القارئ.

3. وفي الفصحى المعاصرة وضعنا إشارة + في حقل الفهم الشفوي (ف ش) والتعبير الشفوي (ت ش)، على الرغم من أن استعمالها في هذين المجالين محدد بمواقف معينة (المواقف الرسمية، التدريس غالباً... إلخ). ومن الطبيعي أن تكون الفصحى المعاصرة الشكل الأكثر انتشاراً على صعيد الفهم الكتابي والتعبير الكتابي.

4. أما اللغة الوسطى من النمطين الأول (ل 1) والثاني (ل 2) الهجينين فهي منتشرة في أوساط المثقفين، ويلجأ إليها حين يحس المتكلمون بضغط ذي طبيعة (فكرية) أو رسمية: احترام التقاليد الثقافية أو الدينية والجو الجامعي أو المدرسي (الصفوف العليا) والمواقف الرسمية. ففي اللغة الوسطى من النمط الثاني (العامة الإقليمية التي تحوي تراكيب من الفصحى الحديثة) ينتمي المتحدثون عامة إلى الإقليم نفسه أو إلى أقاليم متجاورة: فهناك مستوى مقبول من التفاهم المتبادل بين عامياتهم.

أما في اللغة الوسطى من النوع الأول (الفصحى الحديث التي تحوي تراكيب من العامة) فاللغات العامة متعددة بصفة عامة. ويمكننا أن نتصور مثلاً لاستعمالها ما يتم حينما يجتمع مفكرون عرب في مؤتمر أدبي وسياسي... إلخ أو في جامعة عربية أو مؤسسة دولية كالـيونيسكو

مثلاً.

وبصفة عامة يكون الضغط (الفكري) أو الرسمي على قدر من الشدة في النمط الأول (ل) و1) يستجر استعمالاً سائداً لمستوى من اللغة الفصحى المعاصرة (متساهلاً) (ومن هنا كان غياب علامات الإعراب)، من دون أن يمنع ذلك وجود تراكيب وعبارات تنتمي إلى العامية الإقليمية.

وهكذا، فاللغة الوسطى من النمط الأول يمكن أن تستعمل إذن بين متخاطبين ينتمون إلى أصل إقليمي واحد، ومن ذلك مثلاً ما يجري في الندوات واللقاءات الصحفية أو الإذاعية أو التلفزيونية. ومن ذلك أيضاً ما يجري في التعليم على مختلف مستوياته ولا نستثني من ذلك إلا بعض من يدرّسون اللغة العربية وآدابها. وإذا كنا قد ربطنا هذا النمط بالفصحى المعاصرة فإن بإمكاننا إذن أن نعتبره المستوى الأكثر تساهلاً لها، وبإمكاننا أن نعد كذلك النمط الثاني المستوى الأكثر التصاقاً بالعامية الإقليمية.

5. أما العامية الإقليمية (ع ق) فاستعمالها يقتصر على المجال الشفوي فهماً وتعبيراً. ولكننا وضعنا إشارة +/ - في الحقلين الخاصين بالتعبير والفهم الكتابيين لنشير إلى حالات استعمال خاصة تقتضيها مواقف معينة (كتابة حوارات الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية والمسرحيات والتمثيليات الإذاعية... إلخ باللغة الإقليمية: المصري أو الخليجية أو الشامية... إلخ)، وربما كتبت أيضاً بالعامية المحلية.

إن الكفاءة التواصلية لمتعلم اللغة العربية إذن تقتضي إتقان مهارات متعددة رئيسة ومركبة، إنها كفاءة متعددة الجوانب اقتضتها طبيعة تطور اللغة العربية وظروف الاستعمار والتجزئة والتخلف التي أشرطت بعض جوانب هذا التطور.

3.6 الشكل اللغوي الأكثر ملاءمة لاكتساب الكفاءة التواصلية

ما الشكل اللغوي الذي يمنح متعلم اللغة العربية أوسع الإمكانيات وأوفر الجهود من أجل تواصل مثمر على الصعيدين الشفوي والكتابي بهذه اللغة؟. وتعبير آخر كيف يستطيع متعلم اللغة العربية أن يبلغ الكفاءة التواصلية ما دام أمامه هذه الأشكال المتعددة الممكنة الاستعمال في حالات ومواقف تواصلية مختلفة؟

إن عودة سريعة إلى الجدول السابق تبين لنا أن فصحي التراث ليست مؤهلة للقيام بدور اللغة الناقلة على المستويين الشفوي والكتابي، لأنها شكل لا نصادفه، بصفة عامة، إلا مكتوباً. والعامية في شكلها الإقليمي أو المحلي غير مؤهلة حتماً للقيام بدور أداة التواصل على الصعيدين المذكورين، فهما شكلان مستعملان بخاصة على المستوى الشفوي حصراً. ولا يمكن أن يقوم بهذا الدور النمط الثاني من الوسطى المعاصرة (ل و2)؛ لأنه أقرب إلى العامية الإقليمية منه إلى الفصحى.

لم يبق إذن إلا مرشح وحيد للقيام بهذا الدور هو اللغة الفصحى المعاصرة: اللغة الناقلة، لغة الاتصال العام على الصعيدين الشفوي والكتابي فهماً وتعبيراً. لقد فرضت نفسها واقعياً وإن زاحمتها العامية في كثير من المواقف.

يجب إذن التمسك بها وتوسيع رقعة استعمالها على الصعيد الشفوي سواء أكان ذلك على صعيد التعليم في مستوياته كافة أم على صعيد التخاطب اليومي (وضمن ظروف ملائمة). ولذلك قد يكون ضرورياً الإصرار عليها (مع مراعاة قواعدها) على المستوى الكتابي، وممكناً قبول النموذج الأول من اللغة الوسطى (ل و1) على المستوى الشفوي عند الاقتضاء، ولكن درس اللغة العربية ومدرس اللغة العربية لا يدخلان في هذا التعميم.

7. خاتمة

بعد هذا التحليل المعمق والموسع للوضع اللغوي في الاستعمال المعاصر، وهذا العرض لخصائص الطريقة التواصلية ومركزاتها، ولسبل توظيفها واستثمارها في تطوير تعليم اللغة العربية، وتطوير استخدام شكلها الفصيح الجميل في التواصل الشفوي والكتابي حيثما كان ذلك ممكناً؛ ليصبح أداة دارجة سهلة المنال عفوية في التعبير عن الحاجات والمشاعر والآراء، ولا سيما في المواقف التي تتطلب ذلك، نرجو أن نكون قد وفقنا في إثارة الاهتمام بهذه المسألة الهامة التي تتطلب في رأينا تضافر جهود الباحثين المخلصين للغتهم العربية، من أجل تعليمها وترسيخ استعمال شكلها الفصيح المعاصر على أوسع نطاق.

ومن أجل ذلك لا بد من الانتقال من مستوى التنظير إلى مستوى التنفيذ. إن خطوة جريئة في هذا الاتجاه قد بدأت في العام 2003 في وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية حيث تبني كاتب هذا البحث مع فريق صغير، الطريقة التواصلية في تعليم الكبار. يعكف الفريق الآن على تأليف منهاج لتعليم الكبار على ثلاثة مستويات، اسمه: تعلم العربية. وقد أنجز منه حتى الآن المستويان الأول والثاني، وهما تحت الطبع، أما المستوى الثالث فسينجز بإذن الله في العام 2005.

المراجع

- Ammar S., Boudroi M., Crettien, J. F, Dichy j. (1986) Projet d'elaboration de L'ensemble de supports pedagogiques: “**Les Jours et les Nuits**”, Juillet. Doc. Non publié.
- Baalbaki R. (1990): **Dictionary of Linguistic terms**, Beyrouth.
- Dichy J. (1989): L'aspect en arabe: theorie et pratique, in: **les Langues Modernes**, No.3, Paris.
- Fishman J. (1966): **Language loyalty in the united States**, Mouton, Lahay. Et **La sociolinguistique**, labo. Nathan, Bruxelles, Paris.
- Halff B. (1982): Données sociolinguistiques et enseignement de L'arabe en France, in **Analyses Theorie**, No Special: Pédagogie de l'arabe, Paris.
- Hymes, D. H. (1984): **Vers la competence de communication**. Paris, Hatier – CREDIF.
- Galisson R., Coste D. et alt. (1983) **Dictionnaire de didactique des langues**, Hachette, Paris.
- Gobard, H. (1976): **L'analyse tetraglossique**, Paris.
- Nasr, Raja (1983): **The teaching of the Arabic to adults in Europ**, 14eme AIMAV Seminar, AIMAV, Bruxelles. M.L.d.
- خرما، نايف وحجاج، علي (1988): **اللغات الأجنبية: تعليمها وتعلمها**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
- عمار، سام (2002): **اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية**، مؤسسة الرسالة، بيروت.

تحديات مستمرة تواجه الترجمة إلى اللغة العربية

أحمد محمد جواد محسن

لا شك أن الأعمال التي تقوم بها المؤسسات المختصة، لإنجاح عملية الترجمة إلى اللغة العربية، كبيرة ومتنوعة، تتجلى بالمؤتمرات والندوات والقرارات والتوصيات وإعداد المعاجم والمطبوعات وغيرها، والتي غدت معروفة للجميع. غير أن صعوبات وإعاقات هذه الترجمة أصبحت معروفة أيضاً، تُعاد وتكرر في كل محفل ومناسبة، نذكر منها: عدم تنفيذ العديد من القرارات والتأخر في ترجمة المصطلحات الأجنبية الجديدة وعدم توحيد المصطلحات المترجمة. ومما يذكر أن المطالبة بتوحيد المصطلحات ليست جديدة، فقد بدأت منذ عام 1945 في المعاهدة الثقافية التي وافق عليها مجلس جامعة الدول العربية، التي نصت في المادة الحادية عشرة منها على وجوب توحيد المصطلحات، كما نص ميثاق الوحدة الثقافية الذي وافق عليه مجلس جامعة الدول العربية عام 1964 على السعي لتوحيد المصطلحات العلمية والحضارية ودعم حركة التعريب⁽¹⁾. ورغم كل الجهود في هذه الفترة الزمنية، فإن عملية التوحيد لم تصل إلى هدفها. أضف إلى ذلك أن هناك تحديات أخرى متجددة، منها الإدخال المستمر لمصطلحات أجنبية إلى اللغة العربية التي يمكن إيجاد مقابل لها وكذلك الموقف غير الواضح من عملية التركيب. هذه التحديات نحاول مناقشتها في هذه الدراسة.

استخدام مصطلحات أجنبية رغم أن لها مقابلات عربية

بدايةً لا بد من الاعتراف، أن هناك مصطلحات أجنبية عديدة لا يمكن بسهولة إيجاد مقابل

عربي لها، لذا يُلجأ لاستخدامها نفسها بحروف عربية، مثل: متر، غرام، بلهارزيا، دكتوراه، توبولوجيا، وغيرها خاصة العلمية والطبية. غير أن الأمر المثير وغير المقبول، هو أن يلجأ المرء إلى إدخال مصطلحات أجنبية دون ضرورة ملحة بل إن قسماً منها لها مقابل وقسماً آخر يمكن إيجاد مقابل له إذا تضافرت الجهود. ومن الأسباب التي تُذكر بشكل متواصل لتبرير إدخال ألفاظ أجنبية هي: عدم وجود مقابل للكلمة الأجنبية، لم يتم الاتفاق على مقابل دقيق وبسيط، يُفضل الاحتفاظ بالكلمة الأجنبية تجنباً للتباس والتداخل مع مفاهيم أخرى، الكلمة الأجنبية أصبحت عالمية. سندعم ذلك بالأمثلة مع ما يقوله الكتاب والمترجمين عن سبب إدخالهم كلمات أجنبية: فالكلمة الإنكليزية Chaos تكتب كايوس لأنه، لم يتم الاتفاق على مقابل عربي دقيق لمصطلح علم الكايوس، مثل "علم الشواش" و"علم الفوضى" .. لذلك لا بأس من تعريب المصطلح واستعمال لفظة الكايوس والكايوسي⁽²⁾. والكلمة Charisma تكتب كارزما حيث يترجم بعض الباحثين العرب كلمة Charisma على أنها "شخصية ملهمة" ويترجمها آخرون على أنها "شخصية ساحرة"، ويسبب الظلال والإيحاءات الدلالية المرتبطة في العربية بمفاهيم "الإلهام" و"السحر"، سنقوم خلال هذا الكتاب بعملية نقل حرفية.. لهذا المصطلح، حيث إننا لم نتمكن من القيام بالترجمة.. المناسبة له. ويمكن أن نقترح ترجمات أخرى لهذا المصطلح مثل "الشخصية الأسرة" و"الشخصية المستحوذة على الانتباه"، وما شابه ذلك، ولكننا نظل أيضاً في حاجة إلى مصطلح دقيق وبسيط⁽³⁾. والكلمة Empirical تكتب امبيريقية، نقصر على تعريبها لنحتفظ بمصطلح التجريبية كمقابل للمصطلح Experimental⁽⁴⁾. والكلمة Axiomatique تكتب اكسيوماتيک، يعرب بعض المؤلفين العرب المعاصرين كلمة اكسيوماتيک تارة بـ "المنهاج الاستدلالي" وتارة بـ "منظومة الأوليات" أو نسق البديهيات... إلخ. ونحن نفضل الاحتفاظ بالكلمة الأجنبية معربة دفعاً لكل التباس، فضلاً عن أنها أصبحت مصطلحاً عالمياً⁽⁵⁾. ومن الكلمات الأخرى heuristic وتعرب هورستيكا لأنه: استبقيت اللفظة الإنكليزية نفسها، وفي هذا حصر لفائدة البحث على من يعرفون الإنكليزية، ولكن حصر لا حيلة لي منه⁽⁶⁾. ولابد أن نشير هنا إلى أن هذا المصطلح المعرب لم يستخدمه أحد سوى المترجم فحسب، وقد اختفى الآن. وعوضاً عنه يكتب بصور

متعددة مثل: موجه مساعد على الكشف، علم الحدسيات، مساعد على الاكتشاف. والحقيقة أن هذا المصطلح يستخدم في طرق تدريس الرياضيات بمعنى "أسلوب الحل" أو "خطوات الحل". أيضاً الكلمة *Pedagogie* تكتب، بيداغوجيا، وذلك لعدم وجود مقابل لهذا المفهوم في اللغة العربية ويضاف إلى ذلك أنه لمن الصعوبة بمكان أن نجد له مفردة عربية تعبر عنه فلا يمكن لنا على سبيل المثال أن نستخدم كلمة تربية في تعريب البيداغوجيا لأن هذا يؤدي إلى تداخل هذا المفهوم مع مفهوم التربية المقابل لكلمة *Education*. وهذا ينسحب على مختلف المفردات التقليدية مثل: النظرية التربوية وعلم التربية⁽⁷⁾. ومصطلح *Quantum* عرب إلى الكوانتم، فقد وضع مجمع اللغة العربية مصطلح "الكمومية" ترجمة لمصطلح "الكوانتم". ولكن ينذر استعمال "الكمومية"، ويشيع في الكتابات العربية مقابل لا يحمل أي قدر من الصواب هو "الكم" منقول عن "فيزياء الكوانتم"، فيزياء الكم في حين أن الكم *Quantity* أي تكميم. طبعاً "الكمومية" هو المصطلح الذي ينبغي استعماله، لكن لأنه غير مألوف فسوف تقتصر على تعريب المصطلح فنقول: "الكوانتم"⁽⁸⁾. وفي الواقع، أنه من الصعوبة الاقتناع بهذه الأسباب، التي دعت المترجمين لإدخال مصطلحات أجنبية. كيف نقنع، والشكوى بعدم وجود مقابل للمصطلح الأجنبي باللغة العربية، صادرة من أساتذة متخصصين ولهم باع طويل في البحث والمعرفة! فمن يا ترى يستطيع أن يقوم بهذا العمل؟ ثم ليس من الضروري أن نعبر عن المصطلح الواحد بمفردة عربية واحدة، فإذا كانت ثمة صعوبة في ذلك، يمكن البحث عن كلمتين عربيتين مناسبتين. ومن الطبيعي أن لا يكون اتفاق كامل على ترجمة واحدة، ولكن ضرر ذلك (إن كان ثمة ضرر) أقل بكثير جداً من إدخال كلمات أجنبية إلى اللغة العربية. ومن الممكن تيسير الأمر، وذلك بكتابة المقابلات العربية الأخرى للمصطلح الأجنبي، سواء بين قوسين أو في الهامش، على أن تكتب الكلمة الأصلية باللغة الأجنبية، ويفضل أن نضيف تعريفاً لها إذا تطلب الأمر. مثلاً الكلمة السابقة "بيداغوجيا" يمكن أن تترجم إلى "فن التعليم"، وهو مصطلح يتعلق بمبادئ منهجية ومهنة التعليم والتدريب⁽⁹⁾. ولذا لم يعد هناك التباس وإشكاليات صعبة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لم كل هذا التخوف من وقوع الالتباس والتداخل لدى القارئ، وافترض أنه غير قادر على فهم هذا

المصطلح أو ذاك، وبالتالي التشكيك بقدراته المعرفية، فالفارئ اليوم تتوفر له كل الإمكانيات من قواميس ومكتبات وغيرها من الوسائل الحديثة. أضف إلى ذلك الحجة التي ترى أن المصطلح أصبح عالمياً أيضاً صعب قبولها، لأن هناك العديد من المصطلحات أصبحت (وربما ستصبح) عالمية، فهل هذا يعني إننا نعريبها جميعاً. غير أن المشكلة ليست في عالمية المصطلح، وإنما هي إننا تأخرنا كثيراً في البحث عن الترجمة المناسبة للمصطلح الذي انتشر بسرعة وتداوله عامة الناس بأصله الأجنبي. ولنأخذ مثلاً على ذلك، المصطلح الشائع الآن هو "الانترنت"، حيث يكتب بهذه الصورة في كل الكتب والمجلات والصحف ويتكلم به الناس جميعاً، علماً أن أصله الإنكليزي Internet وسواء كان اختصاراً للعبارة: International Network أو العبارة Interconnected Networks فإنه يمكن ترجمتها بسهولة إلى "الشبكة العالمية" أو "الشبكات المتصلة ببعضها". ومن المؤسف جداً أن نجد كلمات عديدة أجنبية بالرغم أن لها مقابلات عربية مثل: سيكولوجية، سكيما، ايكولوجية، انطولوجي، ديناميا، السكولائية، الكود، سيمانر، الاثنية، الاستاتي، انطولوجي، السوسيولوجية، الانثروبولوجية، الانثوجرافية، وغيرها تتكرر في المؤلفات والترجمة العربية وغيرها. ولكن سبب لجوء المعربين إلى مثل هذه الكلمات، كما يقول إبراهيم السامرائي هو: أن المعربين في عصرنا لم تستثرهم حماسة في هذا الأمر، إنهم يسرعون إلى الكلمة الاعجمية التي بهم حاجة إليها فيحملونها بالالف واللام على أنها نظيرة للكلام العربي. إنهم يقولون: السوسيولوجيا، ولم يقولوا علم الاجتماع. والانثروبولوجيا، ولم يقولوا علم الإنسان أو علم السلالات الإنسانية، ومثل هذا الانثولوجيا. وهم يقولون الفونولوجيا. وهوعلم يتصل بالأصوات ووظائف العناصر الصوتية⁽¹⁰⁾. كما أن أ.د.محمود السيد لا يرى أي سبب يدعو لاستخدام كلمات أجنبية فيقول: كما أنه ليس ثمة مسوغ لاستخدام كلمات "الديموغرافية، والبسيكولوجية، والسوسيولوجية، والميتودولوجية" مادامت البدائل العربية لهذه الكلمات موجودة "السكانية، والنفسية، والاجتماعية، والمنهجية"⁽¹¹⁾.

سنتوقف عند إحدى الكلمات الأجنبية وهي الاثني "ethnic"، ويمكن ترجمتها إلى عرقي، وهي من العرق أو الجنس، حيث يقول ابن منظور: وعرق كل شيء، أصله، والجمع أعراق وعروق

(12). وتستخدم هذه العبارة كدلالة على نسب الانسان، كما يقول امرؤ القيس (13):

إلى عرق الثرى وشجّت عروقي وهذا الموتُ يسلبني شبابي

والأمر الغريب الآخر، هو أن بعض الكتاب والمترجمين يستخدمون الكلمة الأجنبية، على الرغم من أنه يذكر ترجمتها في سياق الكلام أو يضعها بين قوسين، أو يضعها في الهامش، يشعر المرء كأن هناك خوفاً أو تشككاً في الكلمة المترجمة. على سبيل المثال: استخدمت كلمة انثروبولوجيا على الرغم من كتابة المعنى اللفظي لهذا المصطلح وهو "علم الانسان" (14). أو توضع الكلمة المعربة بين قوسين: السكولائية "المدرسية". أو توضع الكلمة الأجنبية بين قوسين: أنثوديموغرافية "أقلية عرقية/سكانية" (15) وكذلك الامبيريقية "التجريبية الخاصة" (16). أو توضع في الهامش مثل: كود "تعريب ل Cod ويقال أيضاً راموز... (17)، وأحياناً توضع الترجمة بعد المصطلح الأجنبي المعرب وأصله: تكنولوجيا النانو Nano Technology الآلات الجزيئية (18). وأحياناً أخرى يُذكر الاسم الأجنبي ثم تعريف له دون ذكر الترجمة مثل: الميثولوجيا "فالميثولوجيا بكل ما تعنيه من صور وحكايات خرافية ورموز وشخصيات أسطورية.. (19). ومانرمي إليه هو عدم تحميل اللغة العربية وأثقالها بمزيد من المصطلحات الأجنبية، ففيها الكثير. غير أن الأمر المؤسف والمحزن هو أنه عندما تجتمع مصطلحات أجنبية عديدة في دراسة واحدة، تؤثر في النفس تأثيراً سلبياً. مثال على ذلك: كان عدد المصطلحات الأجنبية في إحدى الدراسات (20) لا يقل عن أربعة عشر مصطلحاً، يتكرر كل منها أكثر من مرة في هذه الدراسة التي لا يتجاوز عدد صفحاتها ثماني عشرة، سنذكر هذه المصطلحات: السوسيوأنثروبولوجية، سوسيوثقافي، السوسولوجي، إستمولوجية، السوسيوينائي، السوسيوتاريخي، الديمغرافي، السوسولوجية، السيكلوجية، أيديولوجية، الديناميكية، الميكانيزمات، ديداكتيكية، بيداغوجي. أضف إلى ذلك هناك من يقوم باشتقاق الكلمة المعربة، فيزيد من عدد الكلمات المعربة، على سبيل المثال: الانثروبولوجيا ومنها انثروبولوجيون (21)، وسستام (System) ومنها السستم، المستمة، السستامات (22)، وكود (Cod) ومنها تكود، المكود (23)، والسكيمات وسكيماتهم

وسكيما⁽²⁴⁾.

التركيب

إن التركيب في اللغة هو جمع كلمتين أو أكثر، في تكوين واحد جديد له معنى خاص به، مثلاً: "أرضي شوكي"، "وحيد القرن"، "آلة كاتبة"، "جامعة الدول العربية" وغيرها. وقد ورد تعريف المركب "Compound" في قاموس اكسفورد: أنه كلمة واحدة تُشكّل من إضافة كلمة أخرى إلى كلمة رئيسية وتكتب بصورة كلمة واحدة: nightdress أو كلمتين تفصل بينهما شرطة صغيرة: night-time أو على صورة كلمتين منفصلتين night life. لذلك لم يكن ثمة اتفاق عام عن كيفية كتابة المركب⁽²⁵⁾. أما السبب الذي يدعو لإنشاء مثل هذه المركبات فهو استعمال أجزاء المركب معاً بصورة مستمرة، لوجود روابط بينها، مثل: "المسجد الحرام" و"لسان المزمار". هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تواجه ترجمة المركبات إلى اللغة العربية اختلافات واختلاطات، تخص التركيب المزدوج والتركيب المزدوج المختصر (النحت) والتركيب من كلمتين أحدهما عربية والأخرى أجنبية، والتقديم والتأخير في جزئي المركب. ومما يُذكر أن العرب قد عرفوا التركيب واستعملوه ولكن في نطاق محدود.

التركيب المزدوج

ويُقصد بالتركيب المزدوج، عملية جمع كلمتين " في أغلب الأحيان " مستقلتين في تكوين واحد، على أن تصبح الكلمات متصلتين أو ملتصقتين (أي يُدمج آخر الكلمة الأولى مع أول الكلمة الثانية) بشرط المحافظة على حروفها، مع إمكانية فصل إحداها عن الأخرى. وقد وردت كلمات على هذا النحو في القرآن الكريم، مثل: يومئذ (من يوم وإذ) وقد تكررت كثيراً، كما في قوله تعالى من سورة المرسلات الآية 15: [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ]. ومن الكلمات المركبة التي ذكرها العرب هي: حبذا (من حبّ وذا الإشارية)، كقول الضحاك في الأمالي⁽²⁶⁾:

يقولون مَجْنُونٌ بِسَمَاءٍ مَوْلَعٍ أَلَا حَبْذَا جِئْنَا بِنَا وَوُلُوعٍ

وكذلك: ربما (من ربٍّ وما) كما روى أبو عبد الله في الأمالي أيضاً⁽²⁷⁾.

وَنَصْدُرُ عَنْ أَمْرِ الْعَافِ وَرُبُّمَا نَقَعْنَا غَلِيلَ النَّفْسِ بِالرَّشْفَا

ومن الكلمات الحديثة: رأسمالية (رأس ومال)، برمائي (بر وماء).

ولكن وإن نجحت هذه المركبات المحدودة، ينبغي ألا ننعيم ذلك ونلجأ إلى التركيب المزجي إلا عند الضرورة، لأن استعمال التركيب المزجي قد يُبعد المركب عن أصله، ومن الممكن أن يختلط بغيره، حيث يصبح التعرف على مضمونه أمراً صعباً، كما هو مبين في الأمثلة التالية: الفوقمادي⁽²⁸⁾ (فوق ومادي)، العرقمركزية⁽²⁹⁾ (العرق والمركزية)، الفوقنجمي⁽³⁰⁾ (فوق والنجم)، النفسجسمية (النفس والجسم) والجسمنفسية⁽³¹⁾ (الجسم والنفس)، النفسفسلجية⁽³²⁾ (النفس والفسلجية)، بعددكتوراني (متعلق بما بعد شهادة الدكتوراه Postdoctral)⁽³³⁾، لا نظن أن ثمة حاجة لمثل هذه المركبات المعقدة، الناجمة من لصق الكلمتين، بل عوضاً عنها يمكن استعمال المركب الوصفي أو الإضافي أو الإسنادي.

التركيب المزجي المختصر

إن التركيب المزجي المختصر، أو النحت، لكلمتين أو أكثر هو جمعها في تكوين واحد بعد اختصار حروف من كل هذه المكونات أو بعض منها، وهذا الاختصار قد يكون متساوياً أو لا يكون متساوياً. وقد استعمل العرب النحت ولكن بصورة محدودة أيضاً، نذكر منها كما وردت في كتاب الأمالي: حوّل الرجل وحوّل، إذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وبسمل الرجل إذا قال: باسم الله، وهيل الرجل إذا قال: لا إله إلا الله، وحيل الرجل إذا قال: حيّ على الصلاة. ثم وردت هذه الاختصارات في أبيات من الشعر كقول ابن الإعرابي في البسملّة:

لَقَدْ بَسَمَلْتُ لَيْلَى عِدَاةَ لَقِيْتُهَا فَيَا بَابِي ذَاكَ الْغَزَالُ الْمُبْسَمِلُ

أو قول الشاعر في حيل:

أَقُولُ لَهَا وَدَمْعُ الْعَيْنِ جَارٍ أَلَمْ يَحِزْنُكَ حَيْعَلَةُ الْمُنَادِي⁽³⁴⁾

التعريب..... العدد الثامن والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2005

وهناك تراكيب أخرى كقولهم: (رجل عيشمسي) منسوب إلى اسمين هما: عبد وشمس، و(طلبق) قال: (أطال الله بقاءه) وغيرها ⁽³⁵⁾. كما توجد أمثلة أخرى لازالت مستعملة مثل: هرول (هرب وولى)، دحرج (دحره فجرى)، جلمود (جلد جمد)، فذلكة (فذلك العددة كذا وكذا) ⁽³⁶⁾.

ومن الأسباب التي دعت العرب للجوء إلى الاختصار هي وجود التراكيب الطويلة وكثرة ورودها في كلامهم واستعمالها في محاوراتهم طلباً لسهولة التعبير وإيجازه ⁽³⁷⁾. والملاحظ الآن هو اختفاء بعض هذه التراكيب تقريباً، وعوضاً عنها أخذ النحت يتدفق علينا من اللغات الأجنبية، لذلك انقسم العلماء إلى مؤيد، ومعارض، ومؤيد بحدود وشروط معينة وعند الضرورة ⁽³⁸⁾. كما أن مجمع اللغة العربية في القاهرة قد أجاز استعمال النحت عند الضرورة وفي حدود المفهومية، في إحدى قراراته: يجوز (النحت) عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية. فنقول في كهربائي مغنطيسي، كهزمغنطيسي وفي كهربائي ضوئي، كهروضوئي.. ويفترض في الألفاظ المنحوتة أن تبقى ضمن حدود المفهومية. (أما النحت في مثل نزوره (من نزع الورق)، وزهرج (من أزال الهيدروجين)، وحرصم (من حرر الصمغ) فإنه لا يفي بالغرض لمجانبته حدود المفهومية). كذلك ننصح بعدم نحت ألفاظ غير مستحبة مثل كهريطيسي (من كهربائي مغنطيسي) ⁽³⁹⁾. وفي الواقع إن شرطي المفهومية والضرورة قد فتحا الباب لنحت كلمات يراها أصحابها ضرورية ومفهومة، بينما يراها آخرون غير ضرورية وغير مفهومة. نذكر على سبيل المثال التراكيب غير الواضحة، غير المفهومة التالية: الاجتماعية ⁽⁴⁰⁾ (من الاجتماعية السياسية)، القروسطية ⁽⁴¹⁾ (من القرون الوسطى)، علخط ⁽⁴²⁾ (من على - الخط on - line)، المسرنمون ⁽⁴³⁾ (أي السائرون وهم نيام Sleep Walkers)، الانسلالات ⁽⁴⁴⁾ (جمع إنساله، نحت من إنسان - آلي)، زمكان ⁽⁴⁵⁾ (من زمان - مكان Space - time)، بيساري ⁽⁴⁶⁾ (بين السيارات Inter Plant aire)، كهروطيسي ⁽⁴⁷⁾ (كهربائي ومغنطيسي)، الاجتماعية ⁽⁴⁸⁾ (الوعي الاجتماعي)، مكمتر ⁽⁴⁹⁾ (مزود كمبيوتر)، تلفزيوتر (تلفزيون وكمبيوتر) وكمبفزيون (كمبيوتر وتلفزيون) ⁽⁵⁰⁾، شبموصل (شبه موصل) ⁽⁵¹⁾، النقرة (نقل الحروف) ⁽⁵²⁾.

ما الضرر من فصل كل من الكلمات السابقة واستعمال كلمتين تربطهما علاقة ما، على أن

يتم كتابة الكلمة الأجنبية بجانبها لتوضح أن الكلمتين هما كلمة مركبة. وإذا كانت بعض الاختصارات قد نجحت مثل: إلخ (إلى آخره)، فإنه ليست هناك ضرورة ملحة لاستخدام مثل هذه الأساليب. لذلك يفضل الابتعاد عن النحت، لأسباب كما ذكرها أحمد مطلوب وهي:

1. أن كثيراً من الكلمات المنحوتة لا يستسيغها الذوق ولا تتسجم مع البنية العربية.
2. أن كثيراً من الكلمات المنحوتة غامضة، وصيغة التركيب أو ضح من النحت.
3. أن كثيراً من الكلمات المنحوتة لم يحذف منها إلا حرف واحد، وقد أدى هذا الحذف إلى الغموض.

يضاف إلى ذلك أن العربية لغة اشتقاقية وليست تركيبية كاللغات الآرية والهندية والأوربية، ولذلك لم يلجأ إليه القدماء في وضع المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية واستغنوا عنه بالاشتقاق الذي هو أهم خصائص اللغة العربية. والنحت بعد ذلك آخر وسيلة يلجأ إليها، ففي العربية من وسائل نموها الشيء الكثير غير هذه الوسيلة البعيدة عن طبيعة اللغة وسنن تطورها⁽⁵³⁾. لذلك يمكن القول: أن النحت يحتاج إلى ذوق سليم خاصة، فكثيراً ما تكون ترجمة الكلمة (أو الكلمات) الأعجمية بكلمتين عربيتين أو أكثر، أصلح وأدل على المعنى من نحت كلمة يمجهها الذوق ويستغل في المعنى⁽⁵⁴⁾. ومن التراكيب المزجية الغربية نذكر المركبات التالية حيث تم اختصارها حرفياً كما في الأصل الأجنبي: الهمبوليتيك (الأنس - سياسي)، الهموايكونوميك (الانس - إقتصادي)، الهموكومونيك (الانس - اتصالي)⁽⁵⁵⁾.

وهناك نوع من النحت أو الاختصار، غريب أيضاً يتصل بترجمة مصطلح أجنبي، إلى معنى آخر لا يدل عليه، وأما أخذ الحروف الأخيرة المتشابهة من عدة مفاهيم تدل عليه. فالمصطلح *ana* اختير مقابل له (يات) وهي الكتب المنتهية بهذه الحروف كما يقول المترجم: اخترنا هذا المصطلح لجريانه في العربية من دون أن يكون له هذا المعنى تماماً، ومن دون أن يكون له وضع النوع الأدبي. فهناك المفضليات للمفضل الضبي، وهناك الشوقيات لأحمد شوقي، هناك الاسرائيليات في القرآن الكريم، وليس للجمع في الحالات الثلاث معنى واحد، لكن الثابت في كل ذلك هو فكرة جمع مواد مختلفة (قصائد، قصص) في إطار مستقل لم يكن لها من قبل⁽⁵⁶⁾. وإذا

التعريب..... العدد الثامن والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2005

عدنا إلى قواميس الترجمة كقاموس المورد نجد أن *ana* تعني:

1. من كلّ بمقدار متساو (تستعمل في الصفات الطبية)،

2. أ: مجموعة من أقوال شخص ما.

ب: مجموعة حكايات أو معلومات طريفة عن شخص أو موطن⁽⁵⁷⁾. لذلك يمكن أن تدل

الكلمات التالية على معنى المصطلح السابق: مقتطفات، ملخصات، مختارات، منتخبات.

وهذه مفهومة لدينا أفضل من نحت كلمة غامضة.

ولا بد الإشارة إلى أن الاختصارات في اللغات الأخرى، على سبيل المثال الإنكليزية، تتم في ثلاث حالات. الأولى، أن يكون الاختصار في العنصر الأول من التركيب فقط. مثلاً *Socio* هي اختصاراً إلى *Society* أو *Sociology* والتركيب منها يكتب مع أي مصطلح آخر كـ *Socioeconomic*. وكذلك *electro* هي اختصاراً إلى *electricity* والتركيب منها يكتب مثل *electromagnetic*. لذلك فإن العنصر الثاني لم يطرأ عليه أي اختصار. والحالة الثانية، وهي أقل شيوعاً، أن يجري اختصار كل عنصر من عناصر التركيب، مثلاً التركيب الذي ذكر سابقاً *Internet* (إنترنت) حيث أخذ من المقطع الأول الحروف *inter* ومن المقطع الثاني الحروف *.net*. أما الحالة الثالثة، فهي أخذ الحرف الأول من عنصر (أحياناً حرفين من بعضها) وتكون مصطلحاً جديداً مثل: UNESCO (يونسكو) هو اختصار إلى:

United Nations Educational & Scientific and Cultural Organization

لا بد أن نشير هنا أنه ليس دائماً يستخدم الغربيون المختصرات الأوائلية أو يهملون حروف العطف كما في الكلمة السابقة، مثلاً مصطلح *Radar* (رادار) هو من *radio detection and ranging* فقد أخذ من الكلمة الأولى حرفين *ra* وكذلك الحرف الأول من حرف العطف *and*. ولكن لماذا تتجح طريقة المختصرات في اللغات اللاتينية ولا تتجح في اللغة العربية، ربما يعود السبب، إلى أن الكلمات المختصرة لا تتشابه مع الكلمات الأخرى في لغاتهم ولا يحدث تداخل، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن كل الاختصارات لديهم، مثبتة في الكتب والقواميس وغيرها ومتفق عليها، يمكن الرجوع لها عند الحاجة. أما في العربية، إضافة إلى التأخر في إيجاد

التعريب..... العدد الثامن والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2005

الاختصارات، فإنه يُحدث تشابهاً (خاصة إذا مزجت حروف الاختصارات) مع كلمات أخرى في قواميس اللغة. ويرغم ذلك فقد نجحت بعض الاختصارات خاصة العلمية، مثل (كم) (تعني كيلومتر)، ص.ب. (صندوق بريد) وغيرها. والمشكلة أننا نقع ما بين حالتين إذا لم نستطع إيجاد بدائل عربية مختصرة للتركييب الطويلة. فسنضطر لاعتماد المختصرات الأجنبية.

في نهاية هذه الفقرة، يمكن القول إنه ليس من الضروري أن يقابل التركيب المختصر الاجنبي بمثله، بل المطلوب هو التعبير عن المعنى بما يناسبه من ألفاظ وتركيب غير مختصرة أضف إلى ذلك ينبغي أن لا تغرق اللغة العربية بمنحوتات غريبة، مختلفة، لأن عملية التركيب المزجي المختصر (النحت)، كما يقول محمد حسن عبد العزيز: لا تخضع لقاعدة أو ضابطة. ولهذا اجتهد كل ناحت في ابتداع ما يراه فتعددت الوجوه وخضعت النظرة الفردية أو الذاتية (58). وهناك أمثلة على مصطلحات أجنبية مركبة، تُرجمت إلى العربية بكلمة واحدة، مثلاً air port (وهي تتألف من كلمتين) أصبحت في العربية: مطار. وكذلك Geometry (من Geo و metry أي قياس الأرض) أصبحت هندسة (من الفارسية).

تركيب كلمتين احدهما عربية وأخرى أجنبية.

من المعروف أن هناك مصطلحات أجنبية عديدة مركبة من كلمتين (كما ذكرنا سابقاً)، يتم نقلها للعربية إما عن طريق إيجاد مقابل عربي لكلا الكلمتين وإما تعريبها عند الضرورة. غير أن هناك من يسلك طريقاً آخر غريباً يجمع بين هذين الطريقين، ذلك بإيجاد لفظ مركب من كلمتين إحدهما عربية والأخرى أجنبية بحروف عربية، مما يزيد من مشكلة إدخال ألفاظ غريبة للعربية، من أمثلة ذلك: الميتارياضيات⁽⁵⁹⁾ (meta mathematics)، الميتامعرفة⁽⁶⁰⁾، ميتانقد، وميتالغة⁽⁶¹⁾، الابستمهجية (من الجمع بين الابستمولوجية والمنهجية) ⁽⁶²⁾، فيسيونفسي⁽⁶³⁾، السوسيوتقافية⁽⁶⁴⁾، السوسيو - سياسي⁽⁶⁵⁾، البيوجزيئية والالكتروحيوية والبيوكيمياء⁽⁶⁶⁾، الماكروالكوني والجيوا - اقتصادية والجيوا - سياسية والتكنومتقف وتكنو - حيوية واقتصاد المايكروالميكروالمادي والجيولوجية⁽⁶⁷⁾.

حقاً إنه أمر مؤسف جداً أن يلجأ المرء الى صياغة تركيبات هجينة غير مقبولة مهما كانت

الحجج والمبررات، أضف إلى ذلك هل أن ترجمتها بحاجة لعناء وجهد كبيرين؟ لا نظن ذلك! أما هذا التهجين فقد يصح في النباتات والحيوانات وغيرها، والذي ينجم عن تزواج نوعين مختلفين، أما في اللغة فقد يؤدي إلى هُجنة، كما يقول ابن منظور: الهُجنة في الكلام: ما يلزمك منه العيب. تقول لا تفعل كذا فيكون عليك هُجنة. وقالوا: إن للعلم نكداً وآفة وهُجنة، يعنون بالهُجنة ههنا الإضاعة... وتهجين الأمر: تقبيحه⁽⁶⁸⁾. وبهذا المعنى يقول نابغة بني شيبان:

هَجَّنَ أقوالهم ما قُلْتُ من حَسَنِ عندَ المقامةِ إنْ قامُوا وإنْ جَلَسُوا
وهجن أقوالهم: قبحها⁽⁶⁹⁾.

التقديم والتأخير في المركب اللفظي

إن المركب اللفظي كما ذكرنا، يتكون من كلمة رئيسية (جذع) يضاف لها كلمة أو لواصق (لواحق وسوابق) غير أن هذه الإضافة تجري في اللغة الانكليزية، على سبيل المثال، في ترتيب ونسق معين معروف. أما عند ترجمة هذه المركبات إلى اللغة العربية، نجد اختلافاً من حيث التقديم والتأخير، تارة نرى الكلمة الرئيسية في المقدمة وتارة في المؤخرة، فلا قاعدة واحدة ثابتة دائماً - فمثلاً electromagnetic تترجم الى مغنطيسي كهربائي والى كهربائي مغنطيسي (أوكهرومغنطيسي)، electrochemical تصبح كيميائي كهربائي وكذلك كهربائي كيميائي. بينما نجد المركب Photoelectric يترجم بترتيب واحد في غالب الاحيان وهوكهربائي ضوئي (أوكهروضوئي)، كذلك المركب Co-author يترجم مؤلف مشارك. ومصطلح الرياضيات Cosine يترجم الى جيب تمام (ويختصر الى جتا) والى تجب (بعكس الترتيب). Postgraduate تترجم الى (دراسات عليا) والى (بعد الشهادة الجامعية) metamathematics تترجم الى (ما بعد الرياضيات) (أو ما وراء الرياضيات) في معظم الأحيان. غير أن هذه الترجمة يكتنفها الغموض وتحتاج لمراجعة، لانه ينبغي أولاً معرفة ما المقصود بالرياضيات، ثانياً إن "ما بعد الرياضيات" تعطي انطباعاً كأن للرياضيات نهاية معينة أي أنها قد اكتملت. وان بعد هي ضد "قبل"، كما هو معروف، كما جاء في قوله تعالى من سورة غافر، الآية 5: [كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من

بعدهم]. وكما في قول امرؤ القيس:

سموتُ إليها بَعْدَما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال (70)

والشيء ذاته ينطبق على (ما وراء الرياضيات) فهي تمثل مرحلة مبهمة، كما ان "وراء" تعني "خلف" كما في سورة النساء من الآية 102 [وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم] وقد تأتي بمعنى بعد كما في سورة هود الآية 71 [وأمراته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب] وتأتي أيضاً بمعنى أمام كما في سورة إبراهيم الآية 16 [من وراءه جهنم ويسقى من ماء صديد]. أما البادئة meta (إغريقية الأصل) فنجدها في قاموس المورد بمعنى: ما بعد، أسمى، أعلى، تحول، تغير، ما وراء، أكثر شمولاً، متطورة أكثر. (71) وهي قد تختلط مع بادئة أخرى هي Post. ولكن إذا بحثنا عن تعريف لمصطلح metamathematics فنجد أنه في معجم الرياضيات يترجم إلى "ما وراء" وهو: الدراسة والتحليل المنطقي للتفكير والمبادئ والقواعد التي تحكم استخدام وتركيب الرموز الرياضية، والأعداد، الخ، بما في ذلك أصول التركيب وعلم الدلالات اللغوية كذلك التي تدرس في المنطق التوافقي وعما إذا كانت منظومات الموضوعات مستقلة أو متوائمة أو تامة. ويقدر ما يعتبر المنطق الحدسي وصفاً لأفضل تطبيقات البرهان الرياضي، فإنه محاولة ما وراء رياضية (72). لذلك لابد من البحث عن ترجمة أخرى يمكن أن تفي بهذا التعريف، فنجد أنها وردت في قاموس المغنى الكبير: "الرياضيات المتجاوزة" (73) ويمكن أن نقترح ترجمة أخرى وهي "الرياضيات المتعالية" أي المتعالية عن الحس والتجربة، الذي يتعامل مع الرموز المجردة، أي دراسة الرياضيات ذاتها وأحد أهدافه الرئيسية هو تحديد طبيعة التفكير الاستدلالي في الرياضيات. ومن المفارقات الغريبة أن هذا المصطلح ليس متداولاً في كتب الرياضيات التعليمية وربما لا يعرفه طلبة الرياضيات، لكنه معروف في كتب الفلسفة والمنطق.

الخلاصة

أولاً: لا يمكن ان ندعي، اننا قد وضعنا حلولاً لمشكلات وتحديات مستمرة مزمنة تواجه الترجمة إلى اللغة العربية، لكننا على الأقل أشرنا لجوانب مختلفة منها. ومن هذا المنطلق يمكن القول إن ثمة توجهات أساسية يمكن ان تساعد في تقليل حجم هذه التحديات منها: أولاً ينبغي ان تتكامل الجهود الفردية مع ما تقوم به مجامع اللغة العربية والمؤسسات الأخرى المختصة. ثانياً الابتعاد عن التركيب المزجي والتركيب المزجي المختصر (النحت). ثالثاً ان التعدد في المرادفات العربية أفضل من إدخال ألفاظ أجنبية وتركيبات غريبة معقدة ، لأن التعدد قد يؤثر في المهتمين في الحقل الذي يتضمنه المصطلح العربي ،بينما إدخال ألفاظ أجنبية بشكل واسع يؤثر في سلامة اللغة العربية ويغرقها في مثل هذه الألفاظ. وإذا كان هناك من يقول إن العرب الأوائل قد أدخلوا بعض المصطلحات الأجنبية، فكان ذلك من موقع قوة لأنهم أصحاب دول وحضارة قوية كما أن عدد المصطلحات التي دخلت كان صغيراً بالنسبة للعدد الكبير الآن، أضف إلى ذلك أننا في موقع ضعف علمي وأخذ هذه المصطلحات يعني زيادة في التبعية للغرب. رابعاً ليس من الضروري التقيد الحرفي بترجمة المصطلحات الأجنبية، إن كان ثمة صعوبة في إيجاد مقابل لها، أي يمكن أن تقابل المفردة الأجنبية، مفردتين عربيتين وبالعكس أيضاً. كذلك ليس من الضروري أن نمزج أو نختصر كما في الأصل الأجنبي. خامساً لا بد لمجامع اللغة العربية والمؤسسات الأخرى مراقبة ما يكتب وينشر فيما يخص إدخال مصطلحات أجنبية ومركبات غريبة، والتنبيه عليها، وبالوقت ذاته متابعة المصطلحات الجديدة الوافدة وإيجاد مقابلات لها قبل شيوع الأجنبي وانتشاره.

التعريب..... العدد الثامن والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2005

المصادر

- (1) مسارع حسن الراوي، من مقدمة المعجم الموحد لمصطلحات الرياضيات والفلك، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1990، ص5.
- (2) كارل ر. بوير، اسطورة الاطار، ترجمة يمنى طريف الخولي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 292، 2003، ص258.
- (3) دين كيث سايمنتن، العبقرية والإبداع والقيادة، ترجمة شاكر عبد الحميد، الكويت، المجلس الوطني...، العدد 176، 1993، ص 179.
- (4) كارل ر. بوير، اسطورة الاطار، مصدر سابق، ص272.
- (5) محمد عابد الجابري، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، ج1، بيروت، دار الطليعة، 1982، ص 75.
- (6) جورج بوليا، البحث عن الحل، ترجمة أحمد سليم سعيدان، ط2، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965، ص 29.
- (7) د. علي أسعد وطفة، مفهوم التربية بين إشكاليات البناء ومقتضيات التعريب، مجلة التعريب، العدد25، دمشق، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2003، ص 178.
- (8) د. يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، الكويت، المجلس الوطني...، العدد 264، 2000، ص 179.
- (9) عادل عبد الكريم ياسين، فضاء المعرفة، الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 1984، ص 62.
- (10) د. ابراهيم السامرائي، معجم ودراسة في العربية المعاصرة، بيروت، مكتبة لبنان، 2000، ص101.
- (11) أ.د. محمود السيد، المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج3، المجلد 75، 2000، ص 68.
- (12) ابن منظور، لسان العرب، ط6، بيروت، دار صادر، 1997، ص 241.
- (13) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، القاهرة، دار المعارف بمصر، 1976، ص259.
- (14) بهاء الدين عبد الله الزهوري، الانثروبولوجية الثقافية، مجلة المعرفة، العدد 336، دمشق، وزارة الثقافة، 1991، ص56.
- (15) خليل أحمد خليل، الطائفية قوة انقسام واحتراب، دراسات عربية، العدد 1، السنة 27، بيروت، دار الطليعة، 1990، ص68.
- (16) د. يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، مصدر سابق، ص381.

التعريب..... العدد الثامن والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2005

- (17) ماكس بيروترز، ضرورة العلم، ترجمة وائل أتابسي وبسام معصراني، الكويت المجلس الوطني...، العدد 245، 1999، ص245.
- (18) ميتشيو كاكو، رؤى مستقبلية، ترجمة سعد الدين خرفان، الكويت، المجلس الوطني...، العدد 270، 2001، ص342.
- (19) عبد المجيد بوقرية، المضمون الاجتماعي لعقيدة التوحيد في الإسلام، دراسات عربية، العدد 5، السنة 25، بيروت دار الطليعة، 1989، ص25.
- (20) مصطفى محسن، حول الابعاد السوسيوأنثروبولوجية...، المستقبل العربي، العدد 214، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1996، ص 52.
- (21) مايكل كارنيزس، لماذا ينفرد الانسان بالثقافة؟، ترجمة شوقي جلال، الكويت، المجلس الوطني...، العدد 229، 1998، ص29.
- (22) أ.ي. إيلين وإ.ب. فرالوف، البحث العلمي والصراع الفلسفي في البيولوجيا، بيروت، دار الفارابي، 1982، ص27.
- (23) ماكس بيروترز، ضرورة العلم، مصدر سابق، ص245.
- (24) جون ت. بروبير، مدارس من أجل التفكير، ترجمة كهيلابوز، دمشق، وزارة الثقافة، 2002، ص 226.
- (25) A.S. Hornby, Oxford Advanced Learner's Dictionary, London, Oxford University Press, 1982, P.xv.
- (26) أبو علي اسماعيل القالي، الأمالي، ج2، بيروت، دار الحكمة، دون تاريخ، ص59.
- (27) المصدر السابق، ص 81.
- (28) أ.ي. إيلين، البحث العلمي والصراع الفلسفي، مصدر سابق، ص7.
- (29) علي زيعور، هو امات وتطورات محفة وعاطفيات حول الفلسفة الوسيطية، دراسة عربية، العدد 11/10، السنة 26، بيروت، دار الطليعة، 1990، ص33.
- (30) تيسير صبحي، عمليات التفكير، القافلة، العدد 4، المجلد 43، الظهران، 1994، ص45.
- (31) محمد مهدي محمود، نظرة على الأمراض النفسجسمية، القافلة، العدد 6، المجلد 45، الظهران، 1996، ص19.
- (32) لؤي فتوح، الطب غير التقليدي، القافلة، العدد 4، المجلد 4، الظهران، 1997، ص44.
- (33) منير البعلبي، قاموس المورد، ط18، بيروت، دار العلم للملايين، 1984، ص 711.
- (34) أبو علي اسماعيل القالي، الأمالي، مصدر سابق، ص270.
- (35) أحمد مطلوب، حركة التعريب في العراق، بغداد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1983،

التعريب..... العدد الثامن والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2005

- ص79، ص171.
- (36) محمد حسن عبد العزيز، النحت في اللغة العربية، القاهرة، دار الفكر العربية، 1990، ص23، ص8.
- (37) أحمد مطلوب، حركة التعريب في العراق، مصدر سابق، ص80.
- (38) المصدر السابق، ص 78 – 177.
- (39) أحمد الخطيب، معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية، ط5، بيروت، 1981، ص741.
- (40) ابراهيم محمود، توقعات مستقبلية، دراسات عربية، العدد 4/3، السنة 28، بيروت، دار الطليعة، 1992، ص76.
- (41) إيمانويل فريس ويزنار موراليس، قضايا أدبية عامة، ترجمة لطيف زيتوني، الكويت، المجلس الوطني...، العدد 300، 2004، ص20.
- (42) كيبس وفوكس، الازمة المفتعلة في تعليم العلوم، مجلة العلوم، العددان 6/5، المجلد 16، الكويت، 2000، ص11.
- (43) فيلومينا أو بريان، المستقبل الغامض، الثقافة العالمية، ترجمة جرجس عبود الظهر، الثقافة العالمية، العدد 76، الكويت، 1996، ص211.
- (44) أليفيزاتوس، صغير حجمها لكن شأنها عظيم في الطب، ترجمة ومراجعة أحمد الحصري وآخرون، العلوم، العددان 10/9، المجلد 18، الكويت، 2002، ص44.
- (45) المصدر السابق، ص70.
- (46) هنري بوانكاري، قيمة العلم، ترجمة الميلودي شغوم، بيروت، دار التنوير، 1982، ص117.
- (47) ميتشيوكاكو، رؤى مستقبلية، مصدر سابق، ص378.
- (48) توفيق سلوم (مترجم)، المعجم الفلسفي المختصر، موسكو، دار التقدم، ص11.
- (49) راي بيرفيكال، التعليم الفوري، ترجمة جرجس عبود الظهر، الثقافة العالمية، العدد 76، الكويت، 1996، ص208.
- (50) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، الكويت، المجلس الوطني...، العدد 265، 2001، ص372.
- (51) عدنان الحموي، مجلة العلوم وتجربتها في مجال الترجمة العلمية، التعريب، العدد21، دمشق، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، 201، ص116.
- (52) عماد الصابوني، منهج مقترح لوضع المصطلح العلمي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج3، المجلد 75، 2000، ص609.

التعريب..... العدد الثامن والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2005

- (53) أحمد مطلوب، حركة التعريب في العراق، مصدر سابق، ص133.
- (54) د.ابراهيم السامرائي، معجم ودراسة في اللغة العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص118.
- (55) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مصدر سابق، ص139.
- (56) إيما نويل فريس وبرنار موراييس، قضايا أدبية عامة، ترجمة لطيف زيتوني، الكويت المجلس الوطني...، العدد 300، 2004، ص94.
- (57) منير بعلبكي، قاموس المورد، مصدر سابق، ص45.
- (58) محمد حسن عبد العزيز، النحت في اللغة العربية، مصدر سابق، ص85.
- (59) فايز فوق العادة، منعطف الرياضيات الكبير، دمشق وزارة الثقافة، 1987، ص42.
- (60) المصدر السابق، ص110.
- (61) عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه، الكويت، المجلس الوطني...، العدد 298، ص44، ص46.
- (62) عبد المجيد بوقرية، المضمون الاجتماعي لعقيدة التوحيد في الاسلام، مصدر سابق، ص17.
- (63) محمد زياد حمدان، الدماغ والادراك والذكاء والتعلم، عمان، دار التربية الحديثة، 1986، ص27.
- (64) محمد عبد الرحمن يونس، خطاب الحب والجنس والسياسة، دراسات عربية، العدد 11/10، بيروت، 1990، ص88.
- (65) عبد القادر جغلول، الاشكاليات التاريخية، ترجمة فيصل عباس، بيروت، دار الحداثة، 1980، ص110.
- (66) ميتشيو كاكو، رؤى مستقبلية، مصدر سابق، ص179، 151، 152.
- (67) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مصدر سابق، ص 421، 232، 232، 61، 143، 148، 215، 234.
- (68) لسان العرب لابن منظور، المجلد 13، مصدر سابق، ص431.
- (69) محمد نبيل طريفي، ديوان نابغة بني شيبان، بيروت، دار صادر، 1998، ص155.
- (70) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، مصدر سابق، ص252.
- (71) منير البعلبكي، قاموس المورد، مصدر سابق، ص 573.
- (72) إ.بوروفسكي وج. بورفاين، معجم الرياضيات، ترجمة علي مصطفى بن الاشهر، بيروت، أكاديميا، 1995، ص395.
- (73) حسن سعيد الكرمي، معجم المغنى الأكبر، بيروت، مكتبة لبنان، 1977، ص789.

التحريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

بحوث في مجال التعليم العالي

التحريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

مقارنات في المصطلح العلمي

بقلم: أ.د. أبو بكر خالد سعد الله

يخضع وضع المصطلح في مختلف العلوم إلى قواعد منطقية أحياناً وإلى تأثيرات ظروف زمنية وتاريخية أحياناً أخرى. فكم من مصطلح ورمز نستخدمه اليوم دون أن نبالي بمصدره ودون أن نتساءل كيف صار متداولاً بين الناس! نريد في هذا المقام استعراض بعض المقارنات والإشارات حول هذا الموضوع مركزين على علم الرياضيات الثري بالمصطلحات والرموز المختلفة، لعلنا نتأمل فيها ونستأنس بها حين الإقبال على وضع مصطلحات علمية عربية جديدة تقابل تلك التي تزخر بها اللغات المتقدمة اليوم.

الرياضيات

لنبدأ بكلمة الرياضيات ذاتها. هناك من يقول في البلاد العربية "رياضة" بدل "رياضيات" إلا أن مصطلح "رياضيات" هو الأكثر استعمالاً. وفي اللغات الأوروبية نجد المصطلح الدال على هذا العلم مشتقاً من الكلمة اليونانية "ماثيما" $mathêma$ الذي يعني علم. أما ماثيماتيكاً $mathêmatika$ فهو جمع $mathêma$. ومن ثم نفهم لماذا نقول رياضيات، أي العلوم الرياضية.

وفي اللغة الفرنسية يقال دوماً $mathématiques$ (بالجمع) كلما كان الحديث عن الرياضيات. أما بالإنكليزية فيقال $mathematics$ لكن الحرف اللاتيني S في آخر هذه الكلمة لا يدل على الجمع مثل ما هو الحال في تعابير أخرى. ونجد في بعض المؤلفات الغربية لفظ "الرياضة"

(بالمفرد) بدل "رياضيات" للدلالة على وحدة هذا العلم وبخاصة في الدراسات ذات البعد الفلسفي.

نظرية ومبرهنة

يقع الرياضياتيون العرب في موقف حرج أحياناً عندما يتعلق الأمر بما يعبر عنه في اللغة الإنكليزية بكلمتي theory و theorem (وبالفرنسية théorie و théorème). فالكل يتفق على ترجمة theory بـ "نظرية" سواء في الرياضيات أو سواها. والأمر ليس كذلك بالنسبة لمصطلح theorem الذي يعبر في الرياضيات عن نص نورد فيه فرضيات متبوعة بنتيجة منبثقة من تلك الفرضيات (يكون النص عادة على الشكل "إذا كان كذا... يتحقق كذا"). ما يقابل هذا المصطلح في غالب المؤلفات العربية هو لفظ "نظرية" أيضاً.

ولذا يحدث أحياناً لبس في هذين المفهومين (theory و theorem) إذا كان السياق لا يسمح بالتمييز بينهما. ومن ثم فضل بعضهم لفظ "مبرهنة" مقابل مصطلح theorem، ذلك أن النتيجة الواردة في نصها لا يمكن قبولها والتسليم بها دون برهان يستخلص من معطياتها ومن المسلمات الرياضية.

ولا بأس أن نشير في هذا السياق إلى أن الكثير يعتقد بأن كلمة theorem مشتقة من اللفظ اليوناني theos (الذي يعني الإله). لكن المؤرخين يؤكدون أنها مشتقة من كلمة thea (التي تعني مشهد)، والكلمتان theory و theorem تكونتا من الفعل theorein (الذي يعني شاهد/لاحظ).

وهكذا نلاحظ في كل الأحوال أن مصطلح "مبرهنة" أدق من مصطلح theorem من حيث المعنى إذ يوحي بأننا مقبلون على أمر لابد من البرهان عليه... بينما يوحي المصطلح الأجنبي (في حال إلمام القارئ أو المستمع باليونانية) بأننا سنلاحظ أو نشاهد أمراً ما.

لازمة ولازمة !

هناك مصطلح آخر كثير الاستخدام في الرياضيات العالية وهو corollary (corollaire)

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

بالفرنسية). إنه مشتق من الكلمة اليونانية "كورولا" corolla الذي يعني "التاج الصغير" بينما يدل في الرياضيات على نتيجة تأتي إثر مبرهنة نستخلصها منها بطريقة مباشرة ودون عناء كبير. أما برهان "المبرهنة" فمن الجائز أن يكون طويلاً وشاقاً.

ومن جهة أخرى نصادف في نصوص الرياضيات العالية ما يسمى بـ "ليما" lemma (lemma بالفرنسية) وهو نص غالباً ما يكون قصيراً يقدم فيه نتيجة أولية قائمة على منوال "إذا كان كذا... يكون كذا" تهدف إلى تمهيد الطريق قبيل تقديم مبرهنة من المبرهنات. وفي الكثير من الأحيان نضطر إلى استعراض العديد من هذه النتائج الأولية قبل تقديم المبرهنة.

لم يتفق العرب على مصطلحين عربيين خاصين بهذين المعنيين (corollary و lemma) إذ نجد لدى العديد منهم مصطلح "لازمة" للدلالة في آن واحد على النتيجة التمهيدية lemma (باعتبارها لازمة لتقديم "المبرهنة") وعلى النتيجة المستخلصة من المبرهنة corollary (باعتبار أن المبرهنة تستلزم قيام تلك النتيجة).

وما نجده لدى البعض الآخر (وذلك جدّ مستحسن في رأينا) هو أنهم اصطَلَحوا على لفظ "توطئة" مقابل lemma و "لازمة" أو "نتيجة" مقابل مصطلح corollary. وفي الأخير نشير إلى أن أصحاب اللغات الأجنبية يفسرون لفظ corolla على أنه تاج صغير يهذى إلى الممثلين بعد الانتهاء من استعراضاتهم... وبالمثل فإن المبرهنة، لدى الرياضياتيين، تهدي لنا "عبرة" أو "نتيجة" أو "فائدة" بعد الإتيان على إثباتها.

العدد الناطق والمنطق

درج العرب على استخدام مصطلح "العدد الناطق" منذ غابر العهود. كما تحدثوا عن "العدد المنطق" قاصدين بذلك العدد "الكسري" أي ذلك الذي يكتب على شكل كسر عددين صحيحين. والواقع أن هذا المصطلح يقابله بالإنكليزية rational number (بالفرنسية nombre rationnel)، ولعل من أتى بهذا المصطلح أول مرة كان قد استقاه من معنى النطق... والنطق للعاقل. ولفظ

rational هو ما يقابله بلغة المحدثين "عقلاني" أو الذي يستخدم العقل. لكن لفظ rational يبدو أنه استخدم من قبل الكاتب اللاتيني كاسيودور Cassiodore (498-575م) للإشارة إلى النسبة (نسبة عدد على عدد) أي الكسر ratio. والأمر لم يعد الآن مهماً من حيث اختيار المصطلح ما دام قد وقع إجماع على هذه التسمية من قبل العرب أجمعين منذ سالف العهود.

الجيبا والجيب

كان الرياضي الهندي أريابهاثا الأول Aryabhata (476-550م) قد استخدم الكلمة السنسكريتية جيبا أو جيفا jiva للدلالة على الوتر، ثم عرّبها الرياضياتيون المسلمون بلفظ "جيبا"¹. ولا زال العرب في بعض البلاد العربية يرمزون للجيب بـ "جا" تبعاً لذلك. وبعد ذلك العهد قام جيرار دي كريمونا de Cremona (1114-1187م) بترجمة هذا اللفظ خطأً من العربية إلى اللاتينية حيث ترجم المعنى "جيب" (لاعتقاده، فيما يبدو، بأن الأصل هو الجيب كذلك الموجود في البنطلون). وهكذا فالمعنى العربي "جيب" (أي ثنية، منحنى، ...) هو الذي ترجم إلى اللاتينية بـ sinus ثم انتقل هذا المصطلح إلى اللغات الأوروبية وحافظت بعضها على نفس الكلمة ولا زالت القواميس والموسوعات الغربية تذكر بأنها ترجمة للكلمة العربية "جيب" التي تدل على "ثنية بشكل معين في اللباس".

ومن المعلوم أن للعرب والمسلمين باعاً طويلاً في علم الفلك - كما يؤكد مؤرخ العلوم قديري حافظ طوقان (1910-1971)² وغيره من المؤرخين - إذ جعلوه يتقدم بشكل كبير كما جعل اليونانيون الهندسة تتقدم في عصرهم الذهبي. وهناك نصوص علمية عربية عديدة نجد فيها استخدام لفظ "جيب" كما نستخدمه الآن. وكمثال على ذلك ننقل الجملة التالية لنصير الدين

¹ يبدو أن الرياضي عبد الله محمد بن إبراهيم الفزاري (المتوفي حوالي 795م) هو صاحب هذا المصطلح. وقد ولد الفزاري في الكوفة من أسرة عربية ينحدر أصلها من فزارة ثم سكنت الكوفة. ورحل الفزاري بعد ذلك إلى بغداد وانضم إلى فريق الترجمة في بيت الحكمة إذ أولى دراسة اللغات الأجنبية عناية كبيرة وخاصة اللغة السنسكريتية.

² انظر كتابه الوارد ذكره في قائمة المراجع، ص. 101.

الطوسي (1210-1274) الواردة في كتابه شكل القطاع: "إن المثلث القائم الزاوية الذي يكون من القسي العظام، تكون نسبة جيب أحد ضلعي القائمة إلى جيب الزاوية القائمة كنسبة ظل الضلع الأخرى من ضلعي القائم إلى ظل الزاوية الموترة به".

اللوغاريتم والخوارزمية

في عام 1614، كان الرياضي الاسكتلندي جون نابيه Napier (أو نبير Neper كما يقول الفرنسيون) قد أدخل إلى الرياضيات لفظ "لوغاريتم" logarithm المنحوت من الكلمتين اليونانيتين: "لوغوس" logos (التي تحمل معنى النسبة) وأريثموس" arithmos (التي تعني عدداً). وكأن اللوغاريتم يعني نسبة عددين. والواقع أن نابيه قد عرّف اللوغاريتم كنسبة مسافتين: مسافة متحرك بسرعة ثابتة ومسافة متحرك بسرعة تتناسب مع المسافة المتبقية. ومن ثم يمكن النظر فعلاً إلى اللوغاريتم كنسبة عددين.

ويخطئ العديد من الناس عندما يتشابه في أذهانهم لفظاً لوغاريتم و"ألغورثم" algorithm في اللغات الأجنبية المختلفة، إذ يجمع العارفون من مؤرخي العلوم على أن لفظ "ألغورثم" هو مشتق الرياضياتي الشهير الخوارزمي (780-850م). وقد أصاب من ترجم هذا المصطلح إلى العربية فسماه "خوارزمية". ومن المعلوم أن أحد مؤلفات الخوارزمي قد ترجم إلى اللاتينية تحت عنوان "كتاب الخوارزمي" liber algorismi. وبناء على ذلك أطلق على نظام العد العشري المصطلح "ألغوريسموس" algorismus. وتطور مفهوم "الخوارزمية" بمر الأيام وصار مفهوماً واسعاً يغطي حيزاً كبيراً من فرع الرياضيات المعروف بالتحليل العددي والبرمجة.

القطوع المخروطية

برع الأغريق في الهندسة الأقليدية وتفننوا في وضع مسلماتها وتعريفها كما أبدع علماء العرب والمسلمون في الجبر وعلم الفلك وعلوم أخرى كثيرة. وقد واصل هؤلاء العلماء الاهتمام بالهندسة وتوظيف معارفها ونظرياتها في شتى العلوم. ومن بين ما تناولته الهندسة في عصر

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

الإغريق ما يعرف بالقطوع المخروطية، وأهمها القطع المكافئ والقطع الزائد والقطع الناقص، وسميت باليونانية على التوالي "بارابولي" $parabolê$ و"هايبرولي" $hyperbole$ و"إليپسيس" $ellipsis$ وحافظت اللغات الأوروبية على هذه التسميات مع تغييرات طفيفة في النطق والكتابة.

وفي هذا السياق يطرح سؤال: لماذا تبنى العرب هذه المصطلحات (القطع المكافئ، القطع الزائد والقطع الناقص) منذ القديم إلى عصرنا هذا؟ يبدو أن المصطلحات اليونانية قد وضعت خلال القرن السادس قبل الميلاد، ثم عممها أبولونيوس Apollonius (262-190 ق.م). ولفظ $ellipsis$ (قطع ناقص) مشتق من اللغة اليونانية من فعل $elleipein$ الذي يعني "نقص" في حين تشير الكلمتان $parabolê$ و $hyperbolê$ على التوالي إلى الزيادة والتشابه (أو التعادل والتكافؤ) مع الملاحظة أن اللاحقة "بولي" $bole$ تعني "الرمي" و"القذف".

وقد دخلت هذه الألفاظ حتى في العلوم الإنسانية إذ تدل في العديد من اللغات الأوروبية على الاختصار والمبالغة (أو البلاغة) والتشبيه. والملاحظ في الرياضيات أن القطع الناقص ذا الشكل البيضاوي (في المستوى) ينقصه فعلاً شيء معين مقارنة بالدائرة. فالدائرة تتميز بكمال استدارتها بينما القطع الناقص منقوصة في جهة الأطراف. والرياضياتيون يميزون بين أنواع القطوع الثلاثة بما يسمونه المسافة بين البؤرة والدليل. فهذه المسافة نجدها أدنى من الوحدة في القطع الناقص، وتساوي الوحدة في القطع المكافئ، وأعظم من الوحدة في القطع الزائد.

والظاهر أن الإغريق القدماء لم يكونوا على علم بهذا المفهوم الحديث (مفهوم المسافة بين البؤرة والدليل)، ولذا يستبعد المؤرخون أن يكون اختيار هذه المصطلحات الثلاثة مبنياً على هذه الخواص. ومما لا شك فيه أن الإغريق، والعرب أيضاً، كانوا مدركين بأن الحصول على القطوع الثلاثة يتم بقطع مخروط بمستو فيرسم على هذا المستوي قطعاً ناقصاً إذا كانت الزاوية بين المستوي ومحور المخروط أصغر من الزاوية القائمة (زاوية حادة). أما إن تساوت الزاويتان فنحصل على قطع مكافئ. وأخيراً، إذا كانت الزاوية المذكورة أعظم من الزاوية القائمة (زاوية منفرجة) فإننا نحصل على قطع زائد. وهكذا نرى أن صفات النقص والتكافؤ والزيادة تقابلها هنا

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

على التوالي الزوايا الحادة والقائمة والمنفرجة... وكأن النقص والزيادة ينظر إليهما من خلال زاوية قائمة.

فالملاحظ في آخر المطاف أن المصطلح العربي هنا يوحي في كل الحالات بالمعنى على الرغم من أنه يقع في كلمتين أولاهما "قطع"... ولو اجتهدنا للتخلص من إحدى الكلمتين والحفاظ على الجانب الإيحائي للمعنى لكان أفضل. لكن هذا الوضع المصطلحي نجده في كثير من المفاهيم الأخرى واللغات المتقدمة وليس عيباً في حد ذاته. ومهما يكن من أمر فالمصطلح العربي يحمل لقارئه إichاء بالمعنى يفوق ما يحمله المصطلح الغربي لقارئه إلا إن كان ملماً بأصله اليوناني.

العمود والناظم

نجد في الرياضيات اللفظ العربي "التعامد" تقابله عدة مصطلحات مثل perpendicular (بالفرنسية perpendiculaire) و orthogonal و normal. وحسب علمنا فهذا المشكل لم يحل لحد الساعة. وقد حاول البعض إيجاد مصطلحات تميز بها بين تلك المفاهيم، مثل مصطلح "ناظم" مقابل normal كقولنا "الناظم على السطح أو على المستوى" في الهندسة. ومن المعلوم أننا نجد حتى في اللغات الأوروبية معاني مختلفة لمصطلح normal (في نظرية المجموعات والتحليل والهندسة،...). ورغم ذلك كنا نتمنى أن يفلح العرب في تبني مصطلحات - تختلف باختلاف المعنى - لهذه المفاهيم حتى لو لم يفلح زملاؤهم في اللغات الأخرى... والأمل لا زال قائماً.

المجموعة والزمرة

تضم نظرية المجموعات set theory (بالفرنسية théorie des ensembles) مفاهيم عديدة منها الزمرة group (بالفرنسية groupe) والحلقة ring (بالفرنسية anneau) والحقل field (بالفرنسية corps). ولسوء الحظ لم يتفق العرب المحدثون على تبني نفس المصطلحات الخاصة بهذه

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

المفاهيم. فهناك من يسمي المجموعة "فئة"³ والزمرة "مجموعة"... وهذا الخلط خطير بالنسبة للقارئ العربي حين الانتقال من مرجع إلى آخر. كما أن "الحقل" يسميه بعضهم "جسماً" ترجمة عن الفرنسية.

وقد اضطر الرياضياتيون الغربيون إلى البحث عن مصطلحات مختلفة لهذه المفاهيم (المختلفة)... وربما كان بإمكانهم في بداية الأمر تسمية الحلقة حقلاً والحقل حلقة والزمرة حلقة أو العكس، الخ، دون أن يرى القارئ ضرراً في اختيار هذا المصطلح بدل ذلك... فكلها تدل في واقع الأمر على "تجمع عناصر بشكل معين" لا أكثر. لكن لا مجال بعد تبني هذه المصطلحات أن نستبدل أحدها بآخر.

ومن المعلوم - فيما يخص الترميز - أننا نشير عموماً بالحرف K للحقل، وهو الحرف الأول من الكلمة الألمانية Körper التي اختارها الألماني ريتشارد ديدكيند Dedekind (1831-1916) عام 1871 كمصطلح لمفهوم "الحقل" (الجسم). ويبدو أن الكلمة الألمانية Menge (التي تدل على مجموعة) هي من وضع الألماني جورج كانتور Cantor (1845-1918) عام 1883. ومعنى هذا اللفظ بالألمانية هو "جمهور" أو "تجمع من الناس". أما مصطلح group (زمرة) فهي من وضع الفرنسي إفاريسست غالوا Galois (1811-1832) عام 1830. وأما مصطلح الحلقة Ring (وكذا حقل، كما أسلفنا) فقد وضعه الألماني ديدكيند في كتابه Lehrbuch Algebra (مؤلف في الجبر).

الأقواس والمساواة

وإذا التفتنا إلى الرموز الرياضية فإننا نجدتها كثيرة ومتعددة. ومن تلك الرموز الأقواس (.) التي يستعملها اليوم كبيرنا وصغيرنا دون أن يعلم بأن أول من استخدمها حسب مؤرخي

³ يخص آخرون لفظ "فئة" للمصطلح الرياضي category (بالفرنسية catégorie).

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

العلوم هو الإيطالي نيكولو تارتاليا Tartaglia (1499-1557)⁴. لكن الأقواس لم تكن تحمل المعنى نفسه الذي نجده اليوم في الرياضيات (علامة ضم حدود وتجميع) بل كانت تدل على علامة وقف.

واستخدم رمز المساواة = عام 1557 من قبل النكليزي روبرت روكورد (1510-1558) Recorde في كتابه The whestone of witte (وهو عنوان يمكن ترجمته: حجر الموهبة أو الذكاء). لكن هذا الرمز لم يظهر في الأعمال المطبوعة بعد ذلك إلا عام 1631. واستخدم الرمز < و > (أكبر من وأصغر من) في عمل قام به تومس هاريوت Harriot (1560-1621) ونشر عام 1631. كما أن الفاصلة لم تستخدم في موضوع فصل الأرقام (كل 3 أرقام على حدة) إلا عام 1795 في أحد القواميس الفلسفية.

الخط الفاصل في الكسور

وفي باب الكسور ظهرت كتابتها في شكل عمودي في البداية لدى الهنود دون خط أفقي يفصل بين البسط والمقام. ثم أتى العرب وفصلوا هذين العددين بخط مستقيم أفقي كما هي حال كتابتنا اليوم للكسور. وقد نسب بعض المؤرخين وضع هذا الخط إلى أبي بكر الحصار (حوالي 1200م) الذي ترجم مؤلفاته موسى بن تيبون إلى العبرية. وكان الإيطالي ليوناردو دي بيزا Leonardo Pisano المعروف باسم فيبوناتشي Fibonacci (1170-1250)⁵ أول أوروبي استخدم الخط الأفقي لفصل البسط عن المقام متبعاً في ذلك التقليد العربي.

كما يذهب مؤرخون آخرون، مثل المرحوم أحمد سليم سعيديان (1914-1991)، إلى أن عبد الله

⁴ وردت في كتابه الذي عنوانه General trattato di numeri e misure (الكتاب العام للأعداد والقياسات).

⁵ تلقى العلم في المدينة الساحلية الجزائرية بجاية عندما كان أبوه يعمل في الدبلوماسية حيث كان الممثل التجاري لجمهورية بيزا في هذه المدينة المعروفة آنذاك بمينائها. كما تنقل في مصر وسوريا وكتب كتاباً شهيراً عام 1202 بعد عودته إلى موطنه سماه Liber abaci (و abaci نسبة إلى العباسي) أورد فيه ما تعلمه من حساب وجبر في البلاد العربية.

يعيش الأموي (المتوفى نحو 1490م)⁶ قد استخدم الخط الأفقي في حين لم يكن معاصروه في المشرق يستخدمونه كثيراً. ونذكر في هذا المقام بأن بعضهم ينسب استخدام الكسور العشرية لأول مرة إلى أبي الحسن الأقلديسي (920-980م)⁷ وإلى السموعل المغربي (1130-1175م)⁸. بينما يؤكد آخرون أن هذا الخط كان موجوداً قبل عهد أبي بكر الحصار بحوالي ألف سنة. فمن نصدق؟! وفي كل الأحوال فما ينبغي أن نتذكره هو أن هذا الجدل في نسبة خط الكسر إلى هذا الرياضياتي أو ذاك يدل دلالة واضحة على أهمية ظهوره وفائدة استخدامه.

الاحتواء والانتماء...

الرمزان $\subset$ و $\in$ يدلان في الرياضيات على الاحتواء (احتواء مجموعة في أخرى) والانتفاء (انتماء عنصر إلى مجموعة). ولعل القليل يعلم أن الرمز $\subset$ قد نحت انطلاقاً من الحرف C، وهو الحرف الأول للكلمة الدالة (بعده لغات أوروبية) على الاحتواء Contain (بالفرنسية) Contenir). وقد استعمله لأول مرة الفرنسي جوزف دي جيرغون (1771-1859) de Gergonne عام 1816 بمعنى الاحتواء. أما رمز الانتماء $\in$ فهو من وضع الرياضي الإيطالي جيوزيبي بيانو (1858-1932) Peano عام 1890. وقد استخرجه من الحرف الإغريقي ϵ (إبسلون). وهذا الحرف

⁶ هو أبو عبد الله يعيش بن إبراهيم بن يوسف الأموي الأندلسي. ولا يعرف المؤرخون شيئاً كثيراً عن حياته. له كتاب هام حققه أحمد سليم سعيدان عنوانه "مراسم الانتساب في معالم الحساب" الذي يعتبر تلخيصاً في مادة الحساب والجبر.

⁷ الراجح أن يكون مولده ووفاته بدمشق التي عمل بها مدرساً للحساب. وتؤكد المصادر التاريخية أنه ألف كتاباً بدمشق عام 341هـ/953م سمّاه كتاب "الفصول في الحساب الهندي". وقد قام المؤرخ أحمد سليم سعيدان بتحقيق هذا الكتاب الذي يعتبر من أهم الكتب التي تعرّفنا بالحساب الهندي، إذ سلّط الأضواء على تاريخ الحساب الهندي عند المسلمين، وصحح وجهة نظر غريبة تقول إن الحساب الهندي عند العرب في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. وللاقلديسي كتب أخرى عديدة.

⁸ ولد بمدينة فاس المغربية ورحل إلى المشرق، وهو صاحب الكتاب الشهير "الباهر في الجبر" الذي كتبه وسنه لم تتجاوز التاسعة عشر.

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

اليوناني هو الحرف الأول في كلمة استي esti التي لها معنى قريب من "إنه" أو "هو".

ويلجأ الرياضياتيون لدى البحث عن رموز جديدة إلى قلب بعض الحروف أفقياً أو عمودياً. وفي هذا السياق نجدهم قد قلبوا الحرف اللاتيني A ليصبح الرمز المشهور في نظرية المجموعات $\forall$. ولماذا قلب الحرف A بالذات؟ لأنه الحرف الأول من الكلمة الألمانية Alles التي تعني "كل"، مع العلم أن معنى "المكتم الكوني" $\forall$ هو "لكل" أو "من أجل كل". ويختلف المؤرخون في صاحب هذا الرمز، فمنهم من ينسبه إلى الألماني ديفد هيلبرت Hilbert (1862-1943) ومنهم من ينسبه إلى عالم المنطق الألماني جهرارد جنسن Gentzen (1909-1945) الذي استخدمه في إحدى مقالاته الصادرة عام 1935 في المجلة الألمانية Mathematische Zeitschrift.

كما أن رمز "المكتم الوجودي" $\exists$ الذي يعني "يوجد" هو مقلوب الحرف اللاتيني E الممثل للحرف الأول من الكلمة الألمانية Existieren. وقد وضعها فيما يبدو عالم منطقي ألكاني شهير، هو غوتلوس فراغ Frege (1848-1925). لكن جنسن يقول إنه استخدمه عام 1935 مشيراً إلى أن البريطاني برترند رسل Russell (1872-1970) قد سبقه في استعماله. أما المؤرخ فلوريان كاجوري Cajori فأكد أن الإيطالي بيانو قد استخدمه قبل البريطانيين رسل وألفرد وايتهد (1861-1947) Whitehead.

ومن المعلوم أن المؤلفات العربية قد حافظت كلها على الرمز $\forall$ كما هو، في حين اجتهد بعضهم فيما يخص الرمز $\exists$ وقلبوه فصار E في النص الرياضي العربي... وبذلك عاد إلى أصله في تلك النصوص! ولو قلب الحرف E أفقياً على الشكل III مثلاً لما فكّر الرياضيون العرب في أي تغيير... لكن الرياح تجري أحياناً بما لا تشتهي السفن.

وهناك أيضاً الرمز نابلاً ∇ الذي تم الحصول عليه بقلب الحرف الإغريقي دلتا Δ . وقد ادخل هذا الرمز البريطاني وليام هملتون Hamilton (1788-1856) عام 1853. والملاحظ أن نابلاً يشبه آلة الرباب، ولذا أطلق عليه هذا الرياضياتي اسم نابلاً، وهو لفظ إغريقي يعني آلة موسيقية

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

شكلها يشبه الرمز ∇ . وبديل قلب الحروف يلجأ العلماء أحياناً إلى إضافة خطوط عمودية أو مائلة للحروف اللاتينية مثل N التي أصبحت IN أو $\mathbb{N}^9$ و R التي أصبحت IR أو $\mathbb{R}^{10}$.

الربع @ !!

لنختتم هذا العرض برمز صار متداولاً عند الرياضياتيين وغيرهم بفضل الإنترنت وما صاحبها من وسائل اتصال جديدة. يعرف الجميع الرمز @ المستخدم في كل العناوين الإلكترونية كما هو الحال في العنوان `acatap@net.sy`. من المعلوم أن هذا الرمز يستخدم بوجه خاص في بريطانيا والولايات المتحدة بمعنى at كما في الجملة التالية `The total cost of 10 pens@1dollar is` (بمعنى: السعر الإجمالي لعشرة أقلام بسعر 1 دولار للقلم الواحد هو...) يمكن تشبيه استخدام هذا الرمز بالرمز & الذي يعني "و". والواقع أن الرمز & و @ يستخدمان بشكل مكثف في الشؤون الدبلوماسية.

عندما يستخدم الرمز @ في المراسلات فهو يعني "إلى" (ad باللاتينية) وكأنه يمثل دمج للحرفين a و d المستدير ∂ .

ويطلق الفرنسيون على الرمز @ اسم " a التجاري" كما يسمون & "و التجاري". لكن مستخدمى الإنترنت غالباً ما يسمونه "أروبسك" `a-rabesque` أو " a المستدير". والمصطلح الأكثر استعمالاً هو "أروبا" `arroba` أو "أروباس" `arrobas` ويقول المعتمون بهذا الموضوع أن هناك رمزاً شبيهاً يستخدمه رجال المطابع في أوروبا ويسمى `arrobas`. وهو يدل على وحدة كيل (حوالي 12 لترًا) ووزن (حوالي 12 كلغ) قديمة لا زالت تستخدم في أسبانيا والبرتغال ويسمونها `aroba`. وهذه الكلمة ذات أصل عربي مشتقة من الربع والأربعة. ونشير بهذا الخصوص إلى أن نفس

⁹ أول من استخدم ذلك للدلالة على الأعداد الطبيعية `naturale` (بالإيطالية) هو بيانو.

¹⁰ أول من استخدم ذلك للدلالة على الأعداد الحقيقية `real` (بالألمانية) هو الألماني جورج كانتور (1845-1918) Cantor.

الوحدة ما زالت تستخدم في بعض مناطق شمال إفريقيا في كيل الحبوب وتسمى "الرُّعي".
تلك هي بعض الإشارات الخاصة بالمصطلحات والرموز العلمية في حقل الرياضيات. والواقع
أن من وراء كل مصطلح ورمز قصة يستحسن أن تكتب كي يستفيد منها المهتمون عندنا بوضع
المصطلح العلمي مسابقة لما هو جاري به العمل في اللغات الأخرى.

بعض المراجع

1. طوقان، قدري حافظ: تراث العرب العلمي في الرياضيات وعلم الفلك، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ودار الشرق، بيروت، بدون تاريخ.
2. Dictionary of Scientific Biography, New York, 1970-1990.
3. Abbott, David, general editor. The Biographical Dictionary of Scientists, Mathematicians. New York: Peter Bedrick Books, 1985.
4. Ball, W. W. Rouse, and H. S. M. Coxeter. Mathematical Recreations and Essays, Thirteenth Edition. New York: Dover Publications, Inc., 1987.
5. Bell, E. T. The Development of Mathematics. Dover. New York, 1972.
6. Cajori, Florian. A History of Matematics. New York: The Macmillan Co., 1919.
7. Dickson, Leonard Eugene. History of the Theory of Numbers. Three volumes, 1919, 1920, 1923.
8. Taylor, Charles. An Introduction to the Ancient and Modern Geometry of Conics. 1881.
9. Youschkevitch, A. P. The Concept of Function up to the Middle of the 19th Century, Archive for History of Exact Science, 16 (1976).
10. <http://www-history.mcs.st-andrews.ac.uk>
11. <http://members.aol.com/jeff570>
12. <http://serge.mehl.free.fr/base/notations.html>

قواعد البيانات المصطلحية

ودورها في تطوير العمل المصطلحي والترجمي

د. عبد اللطيف عبيد

المعهد العالي للغات - تونس

تربط هذه الورقة بين ثلاثة جوانب أو حقول هي: قواعد البيانات المصطلحية (أو بنوك المصطلحات)، والعمل المصطلحي، والترجمة؛ وترى أن لقواعد البيانات المصطلحية دوراً في تطوير العمل المصطلحي وبالتالي في تطوير الترجمة.

ونشير، منذ البداية، إلى أن الترجمة التي نعنيها، هنا، هي الترجمة المتخصصة: العلمية، والتقنية، والتقانية (التكنولوجية)، وليس الترجمة الأدبية ومصطلحات العلوم ومفاتيحها كما هو معلوم. كما أن للمصطلح دوراً أساسياً في الترجمة المتخصصة، ذلك أن بعض الدراسات والبحوث عن ألفاظ النصوص المتخصصة قد أثبتت أن ما يزيد على 60% من تلك الألفاظ يعد مصطلحات. وإذا كانت الجوانب الأسلوبية والثقافية هي أبرز معضلات الترجمة الأدبية، فإن إيجاد المقابلات المصطلحية في اللغة المترجم إليها يعد أهم قضايا الترجمة المتخصصة. ويترتب على ذلك أن جودة الترجمة المتخصصة تتوقف، إلى حد كبير، على جودة المصطلحات المختارة أو الموضوعية في اللغة الهدف أي المترجم إليها.

لكن ما هو المصطلح؟

يعرّف المصطلح في "النظرية العامة لعلم المصطلح" وفي مواصفات الأيزو المتصلة

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

بالمبادئ المصطلحية، وهي الموصفات التي وضعتها اللجنة 37 في الأيزو (ISO) أي المنظمة الدولية للتقييس، بأنه "علاقة بين مفهوم وتسمية"، كما يعرف تعريفاً أدقّ بأنه "تسمية تختص بالدلالة على مفهوم علمي أو تقني أو تقاني في مجال محدّد"¹. وهكذا فإن المصطلح ليس مجرد لفظ أو رمز لغوي، وإنما هو تلك العلاقة بين المفهوم - الذي هو تركيبة ذهنية - والتسمية التي هي رمز لغوي غالباً.

وأهم ما يترتب على التعريف الذي أوردناه للـ "مصطلح" أن العلاقة بين المفهوم والتسمية ينبغي أن تكون أحادية، أي ألا تستعمل التسمية، وهذا يعني أن المصطلح لا يكون مصطلحاً إلا إذا حصل الاتفاق بين أفراد الجماعة اللغوية على الرّبط الدائم بين مكوّنيه:

المفهوم والتسمية، ومن هنا جاءت كلمة الاصطلاح التي تعنى المواضعة والتواطؤ والتراضي والاتفاق.

إن التسميات المصطلحية الجيدة هي التي تتوفر فيها معايير المقبولة؛ وهي، باختصار شديد، الصحة اللغوية، والدقة، والإيجاز، والاشتقاقية (قابليتها لأن يشتق منها)، والأحادية أي أن تمثل التسمية، في المجال الواحد، مفهوماً واحداً لا أكثر². إلا أنه إذا نظرنا إلى الواقع المصطلحي العربي بالذات من زاوية هذه المعايير أو الشروط، لاحظنا أنّ المصطلحات العربية تشكو من عيوب عديدة تلخصها حيناً عبارة "فوضى المصطلحات" وحيناً آخر عبارة "اضطراب المصطلحات" أو غيرهما من العبارات الدالة على عدم الرضا عن هذا الواقع المصطلحي³. وهذه العيوب هي من أهمّ دواعي السعي إلى الاستفادة من المعلوماتية والحواسيب في العمل المصطلحي بهدف تطويره وبالتالي تطوير الترجمة المتخصصة.

ويمكننا أن نلخص عيوب المصطلحات العربية في ما يلي:

1. الاشتراك: وهو استعمال الرمز اللغوي الواحد للدلالة على أكثر من مفهوم في المجال العلمي أو التقني أو التقاني الواحد.
2. الترادف: وهو تسمية المفهوم بأكثر من رمز لغوي.

الازدواج أو القطرية: أي تسمية المفهوم الواحد برموز لغوية تختلف باختلاف الأقطار أو المناطق العربية.

النقص: ونعني به وجود مفاهيم لا تسمية لها، مما يجعل اللغة العربية غير مواكبة، أحياناً، لتطور العلم والتقانة، ولا تعبر التعبير التام عما تعبر عنه لغات الدول الصناعية. ومن البديهي أن هذا النقص لا يعود إلى قصور في اللغة، وإنما سببه تهميشها وإقصاؤها، كلياً أو جزئياً، عن بعض المجالات بسبب هيمنة اللغة الأجنبية.

ولهذه المشكلات المصطلحية الأربعة أسباب عديدة منها تعدد الجهات التي تضع المصطلح، وتعدد اللغات المرجعية أو الضابطة (الإنجليزية، الفرنسية...)، وضعف التواصل بين أنحاء الوطن العربي وما ترتب عليه من جهل بما يوضع من مصطلحات في الأقطار أو المناطق الأخرى (وينطبق هذا خاصة على ما وضع قبل السبعينيات من القرن الماضي)، وتخلّف العمل المصطلحي العربي سواء على صعيد الأفراد أو في إطار المؤسسات وافتقاره إلى أسس نظرية وقواعد منهجية، وضعف حركة التعريب وما ترتب عليه من نقص في استخدام اللغة العربية في التعبير العلمي؛ إذ المعروف أن الاستعمال المتواتر والاستخدام المكثف هما اللذان يربطان بين التسمية والمفهوم ويوثقان العلاقة بينهما، فتستقر المصطلحات وتؤدي دورها في نقل المعرفة ونشرها وتبادلها.

ويعدّ المصطلح من المجالات التي استفادت من المعلوماتية وتقانات الاتصال. وقد تجسّم ذلك في ما أنشئ من قواعد البيانات المصطلحية - أو ما يمكن تسميته أيضاً ببنوك المصطلحات - في بعض المنظمات الإقليمية والدولية وعدد من دول أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية وأوروبا الشرقية واليابان...⁴. والمقصود بالبيانات المصطلحية، إجمالاً، كل المعلومات أو المعطيات المتصلة بالتسمية والمفهوم من مجال، ومجال فرعي، وتعريف، ومرادفات، وسياقات، ومقابلات في لغة أو لغات أخرى، وبيانات ببلوغرافية... الخ، وقد نشط تأسيس قواعد البيانات المصطلحية منذ سبعينيات القرن العشرين. ومن أشهر هذه القواعد أو البنوك بنك المصطلحات

في الاتحاد الأوروبي والمعروف بـ "أورو ديكتوم" Eurodicautom، وبنك كيبك المصطلحي التابع لديوان اللغة الفرنسية (OLF)، وبنك "نورماترم" Normaterm التابع للجمعية الفرنسية للتقييس "أنفور" ANOR، وبنك شركة سيمانس في ألمانيا الذي له اهتمام معروف بالمصطلحات العربية... الخ. وهذه القواعد منها الوصفي ومنها المعياري. فالقواعد الوصفية تتكون من مختلف البيانات المصطلحية المخزنة لغرض التوثيق والبحث، في حين أن القواعد المعيارية تتكوّن من المصطلحات المفضّلة التي أوصت بها هيئة تعتبر حجة، ومن المصطلحات المسموح بها أي التي قبلتها هيئة تعتبر حجة وذلك لتستعمل مرادفة لمصطلحات مفضّلة، ومن المصطلحات التي رفضتها هيئة تعتبر حجة أيضاً (مصطلحات مرفوضة)، وكذلك من المصطلحات المتروكة أي التي سقطت من الاستعمال⁵.

وفي الوطن العربي نجد، على الأقلّ، أربع قواعد بيانات مصطلحية هي: قاعدة المعطيات المعجمية "المُعَرَّبِي" التي أنشأها عام 1978 معهد الدراسات والأبحاث للتعريب في جامعة محمد الخامس بالرباط، والبنك الآلي السعودي للمصطلحات - باسم - الذي تأسس في إطار مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض، وبنك المصطلحات في مجمع اللغة العربية الأردني، وقد تأسس عام 1985، وقاعدة المعلومات المصطلحية بمكتب تنسيق التعريب في الرباط التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وقد أنشئت عام 2000. وقد ركّزت هذه القواعد، في مجملها، على التوثيق المصطلحي قصد إتاحة المصطلحات للباحثين والدارسين وواضعي المصطلحات الجديدة ومؤلفي المعاجم المتخصصة أكثر من تركيزها على الجانب المعياري.

إن التوثيق المصطلحي الذي اهتمت به قواعد البيانات المصطلحية في الوطن العربي وركّزت عليه يُعدّ مرحلة أساسية من مراحل العمل المصطلحي بل هو حجر الزاوية فيه⁶. وإن اختيار التسمية المصطلحية للمفهوم العلمي أو التقني أو التقاني الجديد أو وضعها يمرّان حتماً بالتوثيق، أي تجميع الوثائق العلمية واللغوية المتضمنة للتسميات المستخدمة للدلالة على مفاهيم المجال المعني، ثمّ جرد تلك التسميات مع مختلف البيانات المتصلة بها وتدوينها يدوياً أو إلكترونياً

لنكون بين أيدي المصطلحي أثناء عمله. وتتبع أهمية التوثيق في العمل المصطلحي من كون اللغة مؤسسة اجتماعية وليست ملكاً للفرد يتصرف فيها كما يريد، وهو ما يقتضي الاطلاع على ما اتفقت عليه الجماعة والتقيّد به وعدم تغييره إلاّ لأسباب وجيهة مقنعة. ومن المعلوم أنّه من أكبر مشكلات التعبير العلمي باللغة العربية كثرة الاجتهادات القطرية والفردية المنعزلة التي لا تتطلق من "مدونة وصفية" تحصر الاستعمالات المتداولة، ممّا يمثل خطراً على وحدة اللغة واستمراريتها في المكان والزمان.

وقد مرّ التوثيق المصطلحي بثلاث مراحل هي:

(1) مرحلة التوثيق اليدوي، وكانت البيانات تدوّن خلالها في بطاقات (جذاذات) ترتّب في بطاقيّات (مجذّات).

(2) مرحلة التوثيق الميكانيكي، وذلك بتدوين البيانات على الميكروفيلم أو الميكرفيش.

(3) مرحلة التوثيق الإلكتروني، وذلك باستخدام الحاسوب. وهذه المرحلة الثالثة هي التي تنتمي إليها قواعد البيانات المصطلحية الأربع التي ذكرها آنفاً.

إنّ أول إنجاز عرفه الوطن العربي في مجال حوسبة المصطلحات هو المتمثل في "قاعدة المعطيات المعجمية - المُعربي" التي أنشأها سنة 1978 معهد الدراسات والأبحاث للتعريب التابع لجامعة محمد الخامس بالرباط لتكون قاعدة بيانات مصطلحية وصفية بهدف تدارك نقص رئيسي يعانيه ضبط المصطلحات العربية، وهو "انعدام المدونات اللغوية التي قد تسمح باستغلال منتسق للأعمال المعجمية القديمة والحديثة من أجل تنظيم المعجم الحالي وملء الفراغات الموجودة بالنهل من كنوز العربية الفصيحة"⁷؛ إذ "من الضروري أن ندرس ونستغلّ طاقة العربية منهجياً لا فوضوياً. فدون رصيد من المعلومات والوثائق اللسانية يكون من الوهم القيام بإصلاح جذّي..."⁸.

وتشتمل القاعدة حالياً، على ما يزيد على 500.000 "وثيقة ترد فيها معلومات معجمية مستقاة من معاجم متخصصة صادرة عن مؤسسات عربية معروفة (مثل المجامع اللغوية، والمنظمات الدولية، ومكتب تنسيق التعريب... الخ) ومن قواميس ثنائية اللغة (مثل المنهل، والمنجد،

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

والسبيل)⁹. ولغات هذه القاعدة هي الفرنسية والإنجليزية واللاتينية والعربية، بحيث إنّ المصطلح العربي يخزن في الحاسوب مع مقابل أو أكثر بلغة أو أكثر من اللغات الأجنبية الثلاث المذكورة. وتقدّم القاعدة عن المصطلحات العربية بيانات مصطلحية (المصطلح، المقابلات في اللغات الأخرى، مجال الاستعمال) وبيانات توثيقية (مصدر المصطلح...) وبيانات لغوية.

وفي سنة 1983 تأسس "البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم)" في إطار مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض، وهو يهدف إلى¹⁰:

أولاً: المساهمة في تعريب العلوم والتقنية، وذلك من خلال:

أ. إعداد بنك آلي للمصطلحات العلمية والتقنية.

ب. حصر وجمع وخزن المصطلحات العلميّة والتقنية والمعلومات الخاصة بها المستخلصة من اللغات الأوروبية الحديثة (الإنجليزية والفرنسية والألمانية) مع توفير مقابلاتها العربية.

د. إمكان استرجاع هذه المصطلحات والمعلومات الخاصة بها لإجراء التعديلات اللازمة لتحديثها.

ثانياً: تهيئة وسيلة مساعدة للعاملين والمختصين في مجال المصطلحات من أفراد وهيئات عربية وأجنبية مما يعين على وضع المصطلحات الجديدة (بناء على المعلومات المتاحة من البنك) وتجنّب التناقض والتكرار.

ثالثاً: إشاعة ونشر المصطلحات العلمية والتقنية باستخدام وسائل النشر الإلكترونية أو الطباعة الورقية، والعمل على إيصالها إلى المستفيدين من أفراد ومؤسسات عن طريق شبكات المعلومات.

وقد أفاد البنك إفادة واضحة من تجارب أهم بنوك المصطلحات المعروفة في أوروبا الغربية وفي الهيئات والمؤسسات الدولية العاملة في مجال المصطلحات وأخصها المركز الدولي للإعلام المصطلحي (Infoterm) بفيينا والمنظمة الدولية للتقييس (ISO) بجنيف.

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

وفي عام 1993 كان (باسم) يتوفر على "أكثر من 300.000 مصطلح بلغات البنك الأربع، العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية، وذلك في مختلف فروع العلم والتقنية"¹¹.

ويبدو أن جامعة الملك سعود في المملكة العربية السعودية تعتزم تنفيذ مشروع جديد استكمالاً لمشروع بنك (باسم) هو "البنك الآلي لمصطلحات العلوم الإنسانية والاجتماعية"¹².

أما "بنك المصطلحات في مجمع اللغة العربية الأردني" بعمان فقد بدأ سنة 1985 بقسم للحاسوب تأسس في المجمع للإفادة من تقنيات الحاسوب وبرمجياته في تخزين المصطلحات العلمية والفنية من أجل تيسير عملية الترجمة والتعريب على المتخصصين والمهتمين في هذا المجال"¹³. وفي سنة 1993 اتخذت أهداف المشروع صورتها النهائية التالية¹⁴:

- 1- جمع المصطلحات وتنظيمها وتوفير وسائل توزيعها والتأثير في استعمالها.
- 2- تأسيس خدمات مصطلحية ولغوية محوسبة، وتوفيرها للمستخدمين من خلال الاتصال المباشر (On-line) وغير المباشر (المطبوعات، والأوساط المغنطة، والمعالجة بالرمز).
- 3- تقديم خدمات مصطلحية متخصصة للباحثين في مجلس المجمع ولجانه ومؤسسات العمل المصطلحي العربية التي تعمل بالتنسيق مع المجمع (المجامع اللغوية والعلمية العربية، ومكتب تنسيق التعريب...).
- 4- اعتبار بنك المصطلحات في المجمع مركزاً للأبحاث يعمل على تصميم أدوات حاسوبية لتحسين معالجة اللغة العربية بالحاسوب وتطويرها.
- 5- تطوير المنهجيات النظرية والتطبيقية للعمل المصطلحي المحوسب، وتوحيد الممارسات المصطلحية عند الأفراد والمؤسسات عن طريق البحث العلمي والتدريب وفق الأسس الحديثة لعلم المصطلح.
- 6- يعتبر البنك أداة تمكن المجمع من تنفيذ تعليمات مشروع قانون اللغة العربية الذي تقوم السلطات التشريعية الآن بإجراءات إقراره.
- 7- توفير الوسائل الفنية الآلية التي تساعد المجمع في نشر المعاجم العلمية والفنية.

8- العمل على توفير المستلزمات الفنية لدى البنك وإنشاء مركز لشبكة عربية للمصطلحات، وتعزيز فرص قيام تعاونيات مصطلحية بين مؤسسات العمل المصطلحي العربية.

وإلى سنة 1993 تمثلت إنجازات البنك في "تنفيذ مجموعة من النظم الفنية ودمجها معاً لتشكل بنك المصطلحات، وتحديد المعالم الرئيسية لمنهجيات العمل المصطلحي التي تعتمد على استخدام الحاسوب (...)"، وفرز أربعمئة ألف مصطلح في شتى مجالات العلوم والتقنية في ملفات مؤقتة تمهيداً لتنزيلها في قواعد بنك المصطلحات بعد تحريرها واستكمال عناصرها الأساسية.

وتشكل هذه المصطلحات معظم ما أقرته مجامع اللغة العربية، ومكتب تنسيق التعريب، واتحاد الأطباء العرب، وبعض المؤسسات العربية الأخرى المعتمدة في مجالات العمل المصطلحي...¹⁵.

ويسعى بنك المصطلحات في مجمع اللغة العربية الأردني إلى الإفادة من التجارب السابقة العربية والأجنبية والدولية في تأسيس بنوك المصطلحات وأساليب عملها، من ذلك "أن المفهوم أساس التنظيم الدقيق للمعلومات المصطلحية والمعلومات الوثائقية المتعلقة بها في البنك. وتشكل البيانات اللغوية والمرجعية والإدارية ما يسمى بالوحدة المصطلحية (...). وإن التنظيم الأساسي لمصطلحات البنك يقوم على أساس مفهومي، مما يترتب عليه إلغاء منهجيات العمل المصطلحي التي تنظر إلى المصطلح من منظور لغوي معجمي. وهكذا فإن المفاهيم في البنك ترتبط مع بعضها بعلاقات ذات معان محددة وشبيهة إلى حد ما بالعلاقات التي تربط الواصفات في المكانز. ونطلق على هذا التنظيم البنية المجهرية للمعرفة Microstructure of Knowledge"¹⁶، وإن كانت هذه المنهجية النظرية تتعارض مع المنهجية التطبيقية للعمل المصطلحي في المجمع الأردني بل في سائر المجامع العربية، إذ "يتعامل المجمع مع المشروعات المصطلحية بمنهج المعجم اللغوي، مما يتسبب في الكثير من الإشكاليات التي تنعكس آثارها السلبية على مستوى نتائج العمل المصطلحي..."¹⁷.

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

وبالإضافة إلى الجهود المغربية والسعودية والأردنية في مجال إنشاء بنوك المصطلحات خدمة لأغراض التوثيق المصطلحي ونشر المصطلحات، نشير إلى أن مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط قد أنشأ مؤخراً بنكاً للمصطلحات (أو قاعدة معلومات مصطلحية) جعل من أهدافه¹⁸:

- 1- تجميع المصطلحات في مختلف ميادين المعرفة.
 - 2- مواكبة المصطلحات المستجدة وتخزينها.
 - 3- تزويد المستعملين بالمصطلحات الموحدة.
 - 4- دعم دور المكتب في تسويق المصطلحات العلمية.
 - 5- خلق شبكة عربية مصطلحية للاستفادة بين بنوك المصطلحات.
 - 6- تخزين المعلومات البليوغرافية المتعلقة بعلم المصطلح.
 - 7- وضع دليل محوسب للمتخصصين العرب في علم المصطلح والمعجمية والترجمة.
- وكان مكتب تنسيق التعريب قد عقد ندوتين (1995 بطنجة و 1997 بالرباط) اهتمت أولاًهما بالمبادئ العامة لاستثمار الحاسوب في العمل المصطلحي، وثانيهما بالتطبيقات الحاسوبية العربية في المجال المصطلحي.

ولمكتب تنسيق التعريب مكتبة معجمية مختصة "تتضمن على مئات المراجع المتصلة برسالة المكتب، كالمعاجم والموسوعات والدوريات، وهي مفتوحة بدورها في وجه خبراء المكتب وعامة الباحثين والطلبة، من داخل دولة المقر وخارجها، لمساعدتهم على إنجاز بحوثهم"¹⁹، ويمكن اعتبار هذه المكتبة سنداً هاماً للبنك.

وإضافة إلى ما سبق، نشير إلى جهود بعض المؤسسات العلمية العربية مثل "المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية" بالكويت الذي يمكن اعتبار إنجازاته التوثيقية والمصطلحية وسعيه إلى حوسبتها خطوة على طريق إنجاز بنك مصطلحات متخصص، وإلى جهود بعض المؤسسات الأجنبية مثل شركة سيمانس بألمانيا التي أنشأت بنكاً للمصطلحات لأغراض أعمالها العلمية

والتجارية تعدّ العربية إحدى لغاته الكثيرة.

إن ما أنشئ من قواعد البيانات المصطلحية أو بنوك المصطلحات على الصعيدين الوطني والقومي يعدّ قليلاً قياساً بالحاجة العربية إلى هذا النوع من الأدوات في مجالات التأليف والبحث والتدريس والترجمة والإعلام باللغة العربية. ومن الضروري أن يتواصل إنشاء هذه القواعد في كل الأقطار العربية، وأن تخدم غرضين أساسيين:

1- العمل المصطلحي: وذلك بأن تكون في خدمة المصطلحيين والباحثين واللجان والهيئات المصطلحية بما يساعد على تطوير العمل المصطلحي، ويحسن جودة المصطلحات العربية، ويحقق - تبعاً لذلك - جودة الترجمة المتخصصة.

2- الإعلام المصطلحي، وذلك بأن تتيح لمختلف أصناف المستعملين المصطلحات العربية المقيّسة أو الموحدة أو المفضلة أو المسموح بها، فتساعد على انتشار المصطلحات، وتحقق الغاية من وضعها.

على أنه لا قيمة لبنوك المصطلحات إلا بمقدار ما يبذل من جهود لتزويدها بالبيانات المصطلحية المتصفة بالجدة والوثوقية، وتطوير برمجياتها لرفع كفاءة خزنها للبيانات ومعالجتها واسترجاعها، كما أنه لا أهمية لها إن لم يكن الاتصال بها متاحاً للمستخدمين على أوسع نطاق.

وعلى مستوى التزويد بالبيانات المصطلحية، ينبغي الحرص على النقطتين التاليتين خاصة:

1- إيجاد الآليات الكفيلة بجدّد للتراث العلمي واللغوي العربي جرداً منهجياً تاماً، بما يسدّ الفجوة التي قامت، في كثير من المجالات، بين ماضي اللغة العربية العلمية وحاضرها، وبما يساعد على دراسة ذلك التراث نفسه انطلاقاً من مفاهيمه وتسمياته المصطلحية.

وفي هذا الصدد فإن المعلوماتيين العرب، وخاصة منهم ذوي الصلة بالعمل المصطلحي وبالتقانات اللغوية واللسانيات الحاسوبية، مدعوون إلى تطوير برمجية لاستخلاص (جرد) المصطلحات إلكترونياً.

2- رصد مختلف المولدات المصطلحية العلمية والتقانية والحضارية التي تظهر في مختلف

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

الأقطار العربية، والتعجيل بدراستها وتوحيدها منعاً لتفاقم التوالد العشوائي للمصطلحات، وهو ما يقتضي تأسيس "المرصد العربي للمولدات المصطلحية" ليكون على شكل شبكة تعاونية وعلى أساس تقاسم الجهود والنفقات.

ويبدو أن الحاجة أصبحت ماسة إلى تأسيس بنك مركزي قومي للمصطلحات العربية، يخدم واضعي المصطلحات ومؤلفي المعاجم والمترجمين على السواء.

الهوامش

- 1 المنظمة الدولية للتقريب - أيزو: مفردات علم المصطلح - المواصفة الدولية أيزو 1087 (1990)، نقلها إلى العربية عبد اللطيف عبيد، المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية بتونس، تونس 1995، ص 7.
- 2 انظر حول معايير انتقاء المصطلحات وصياغتها: المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية: مبادئ علم المصطلح وطرائقه، المواصفة التونسية م.ت 44 - 04 (1990)، ص 19-20.
- 3 انظر حول هذه القضية: عبد اللطيف عبيد: "إشكالية المصطلح العربي بين الوضع والاستعمال"، الإعلامية للعالم العربي (مجلة)، 2 (سبتمبر 1988)، ص 16-17.
- 4 ليلي السعودي: علم المصطلحات وبنوك المعطيات، (مسئلة غير محددة المصدر)، الرباط 1985، (ص 4)، ص 3.
- 5 انظر حول أنواع المصطلحات: المنظمة الدولية للتقريب - أيزو: مفردات علم المصطلح... (المرجع المذكور سابقاً) ص 10-11.
- 6 حول التوثيق المصطلحي انظر مثلاً:
- علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، دار الحرية للطباعة، بغداد 1985 (265 ص)، ص 208-161.
- Guy RONDEAU: "Terminologie et documentation" in: Méta, Vol 25, n° I, Mars 1980, pp 152-170.
- 7 أحمد الأخضر غزال: المنهجية العامة للتعريب المواكب، معهد الأبحاث والدراسات للتعريب، الرباط 1977، (82 ص)، ص 39.
- 8 المرجع نفسه، ص 47.
- 9 ليلي السعودي: علم المصطلحات... (المرجع المذكور سابقاً)، ص 3.
- 10 عبد الرحمن بن عبد العزيز الفاضل: "البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم)، تجربة عربية لتوثيق المصطلحات العلمية" اللسان العربي، 47 (1999)، (ص 79-105)، ص 84.
- 11 عبد الله سليمان القفاري: "خطوات تطبيقية نحو منهجية مدعمة بالحاسب الآلي لمعالجة ونشر المصطلح العربي". اللسان العربي، 39 (1995)، (ص 277-293)، ص 284.
- 12 فارس الطويل: "نحو منهجية شاملة للعمل المصطلحي"، اللسان العربي، 39 (1995)، ص 255-276، ص 239.
- 13 المرجع نفسه، ص 241.

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

- 14 المرجع نفسه، ص 241-242.
- 15 المرجع نفسه، ص 245-246.
- 16 المرجع نفسه، ص 247-248.
- 17 المرجع نفسه، ص 267.
- 18 مكتب تنسيق التعريب: دليل مكتب تنسيق التعريب، إعداد محمد أفسحي، الرباط 1997 (34 ص)، ص 23.
- 19 المرجع نفسه، ص 22.

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

الاغتراب والأنسنة في مفهوم الفردانية المغامرة الفكرية الفردانية في الثقافة الغربية

أ.د. علي أسعد وطفة

جامعة الكويت - كلية التربية

يعد مفهوم الفردانية Individualisme من أكثر المفاهيم غموضاً وإثارة للتساؤل في الثقافة العربية المعاصرة. ولم يستطع هذا المفهوم أن يأخذ مكانته العلمية في الأنساق الثقافية في الفكر العربي المعاصر رغم الأهمية المركزية التي يأخذها في صلب الحضارة الغربية. علماً بأن فهم الحضارة الغربية وتحليل مضامينها وتضاريسها ومغامراتها الفكرية يعتمد في كثير من وجوهه على فهم وإدراك مفهوم الفردانية بوصفه واحداً من المفاهيم الأساسية المركزية في هذه الحضارة. ومن هنا تأتي الأهمية الكبرى لمعالجة هذا المفهوم وتحليل مضامينه والكشف عن الدور الحيوي الذي لعبه في مسيرة الحضارة الغربية وفي انطلاقاتها الثقافية.

لقد شكلت النزعة الفردانية واحدة من أهم الفتوحات الكبرى للحداثة الغربية، وفرضت نفسها منطلقاً حيوياً من منطلقات تقدم الحضارة الغربية منذ عصر التنوير حتى مرحلة ما بعد الحداثة¹. وشكل مفهوم الفردانية بدوره واحداً من المفاهيم المركزية التي أطلقت حرية الفرد ومكنته من الانطلاق في عملية البناء الحضاري للإنسانية منذ فجر الحضارة الغربية.

¹ Alain. B. L. Gerard, Le cadre d'une nouvelle Ethique: Ethique et modernité, ERES, Paris, 1998

وعلى الرغم من الدور الحضاري الذي مارسه هذا المفهوم فإنه بدأ يفقد تألقه التنويري وبهجته الحضارية تحت تأثير مجموعة من التحولات السلبية ذات الطابع الاغترابي التي شهدتها الحضارة الغربية عامة وهذه التي شهدها هذا المفهوم بذاته في المرحلة الأخيرة من الحداثة. وتتجلى هذه الوضعية في تأثير مظاهر سلبية اجتماعية عديدة ارتبطت بالفردانية، وأهمها: تنامي مظاهر العنف والتدمير والعدوانية والفقر والبؤس الإنساني والبعد الأناني والرجسي للحياة الإنسانية في عمق الحضارة الغربية، ومن ثم نمو واتساع العزلة والانطوائية، واللامبالاة التي هيمنت على الحياة في المجتمعات الغربية في القرنين التاسع عشر والعشرين. ففي غمرة التحولات الاجتماعية التي شهدتها المجتمعات الغربية يجري الحديث دائماً عن الشيوخ والعجزة الذين يموتون في منازلهم دون أن يعلم بهم أحد، حيث بدأت ظاهرة العنف تفرض نفسها في كل مكان، وبدأت مظاهر الاستهلاك تتزايد بطريقة لا حدود لها، وارتبط ذلك بغياب مستمر ومتواصل للمشاعر الإنسانية الخلاقة التي عرفت المجتمعات القديمة.

وعلى الرغم من هذه الجوانب السلبية التي ارتبطت بالفردانية فإنها ما زالت تتضمن في ذاتها على حق الإنسان في أن يمتلك نفسه وأن يصوغ وجوده بإرادته ورغبته، وأن يقرر بذاته حدود هذا الوجود بما يتضمن عليه من فعاليات إنسانية مختلفة. وبقيت الفردانية على الرغم من كل شيء إعلاناً إنسانياً ضد التسلط والإكراه والظلم ورمزاً لانتصار الإنسان ضد مختلف التحديات التي تقف في وجه نموه وتطوره وصيرورته الإنسانية.

إن ما حققته الإنسانية من إنجازات خلاقة، في مختلف ميادين الحياة العلمية والعملية، تعود إلى هذه الصيرورة الاجتماعية التي تحول فيها الإنسان من كائن اجتماعي مذوّب في جماعات تقليدية إلى كائن فرد متفرد يمتلك شروط وجوده وكيونته الفردانية، بما يجعله أكثر قدرة على ممارسة القدرة والإبداع في مختلف ميادين الحياة. وإذا كانت الفردانية اليوم توضع في قفص الاتهام، فإن هذا ليس غريباً أبداً لأن الحداثة برمتها توضع اليوم في دائرة الشك وفي موضع النقد الدائم. ومهما يكن من أمر السلبية التي تنسب إلى الفردانية اليوم فإنه يجب علينا ألا نتجاهل

أبداً هذه الجوانب الخلاقة في هذا المفهوم الذي شكل منطلقاً للفعل الحضاري في مرحلة الحداثة.

مفهوم غامض

لا يوجد تعريف ممتنع مانع لمفهوم الفردانية، كما لا يوجد إجماع على حدوده. وهذا هو معجم لالاند يعلن عن غموض هذه الكلمة وي طرحها في صيغة إشكالية. ويمكن تشبيه هذا المفهوم بالشبح أو الطيف الذي يومض أمام العقل ويفر منه دون أن يترك له فرصة مناسبة للرصد والتحليل، إنه كالسراب الذي يتبدد كلما اشتد العقل في طلبه. فالمفهوم ما زال عصباً على التحديد العلمي الكامل، وما زال مشحوناً بطاقة إيحائية كبيرة ومتعددة في مختلف مجالات استخدامه.

تشق كلمة فرد Individu من اللاتينية Individuum وهي تعني الجزء الذي لا يتجزأ. وهذا يؤسس بأن مفهوم الفردانية يقوم على مبدأ الكينونة التي تمتنع على التجزئة. وفي هذا السياق يبين قاموس دوزات Dauzat أن هذه الكلمة ظهرت عام 1826 في جريدة كلوب Globe الباريسية كنقيض لكلمة اشتراكية Socialism. ويأخذ مفهوم الفردانية صورته الاشتقاقية من المفهوم اللاتيني Individualism. وهذا يعني أن المفهوم يقابل مفهوم الجماعة، وعلماء الاجتماع يقارنون اليوم بين مفهوم الجماعة Sociabilité وبين مفهوم الفردانية. ويعني مفهوم الجماعة الحالة التي يكون فيها الفرد صورة نسخة متكررة عن الجماعة التي ينتمي إليها. ومن هذا المنطلق يجري الحديث عن الفردانية بوصفها الحالة التي يكون فيها الفرد كياناً مستقلاً ومتفرداً عن الجماعات التي ينتمي إليها، وقادراً على اتخاذ قراراته استناداً إلى إمكانياته الخاصة وقدراته المستقلة عن أفراد الجماعة الآخرين الذين ينتمي إليهم الفرد. والفردانية هي نزعة أو سلوك يؤكد الخصائص الذاتية للفرد وسماته ومميزاته الخاصة، وذلك بما يتعارض مع ما هو جمعي وعام ومشترك. وهذا يعني أن الفردانية تؤكد ما هو خاص وشخصي ومتفرد. وهذا يعني في النهاية أن الفرد . وفقاً

لمفهوم الفردانية . كائن إنساني يمتلك وحدته الداخلية ويؤدي وظيفته كنسق ونظام متكامل، ويمتلك استقلالية خاصة في دائرة الوسط الذي ينتمي إليه.

ترمز الفردانية إلى واقع اجتماعي وثقافي يستطيع فيه الناس، بوصفهم أفراداً، اختيار طريقة حياتهم وسلوكهم وممارسة عقائدهم، كما ترمز إلى مجتمع يضمن فيه النظام الاجتماعي والقضائي حماية حقوق الناس بوصفهم أفراداً غير مكرهين على التضحية أو التنازل عن شي يعتقدون به². وباختصار تشكل الفردانية العالم الذي يستطيع فيه الناس اختيار نمط وجودهم وحياتهم وسلوكهم، إنه العالم الذي يمتلك فيه الإنسان نفسه ويسيطر على وجوده بحرية مؤكدة وعلى نحو لم يعهد في المجتمعات التقليدية القديمة. وقد حظيت الفردية بحماية النظام الحقوقي في الحضارة الإنسانية المعاصرة حيث لا يحتاج الناس إلى التضحية بأنفسهم وفلذات أكبادهم في معترك الطابع القدسي للحياة. وليس أمام الناس أن يرفضوا هذا الانتصار التاريخي للفردانية الذي حررهم من إكراهات الماضي وطغيان الشموليات الأسطورية القديمة.

ويجب الاحتراز عند توظيف مفهوم الفردانية لأنه ينطوي على نقائص تحمل طابعاً أيديولوجياً³ إذ يوظف هذا المفهوم في أغلب الأحيان توظيفاً أخلاقياً سلبياً فيه تلمحيات تبخيسية تحط من شأن الذي يوصف بالفردية. وفي هذه الصورة السلبية للمفهوم يشار إلى صفة التسلط أو العزلة الاجتماعية، أو إلى نزعة مضادة للجماعة معادية للتعاون مع الآخرين، كما يشار أيضاً إلى صفات الأثرة والأنانية أو التسلط وإلى عدد آخر من الصفات السلبية التي تحيط باستخدامات هذا المفهوم.

وهنا يترتب علينا أن نميز بين الفردية والذاتية والفردية تعني أن يأخذ الإنسان موقفاً معيناً من قضية ما أو مجموعة قضايا وأن يكون الفرد بالضرورة واعياً بأبعاد موقفه. أما الذاتية فهي

² Charles Taylor, Les Malaises de la modernité, C.E.R.F., Paris, 1999, P. 15.

³ Alain Laurent, Histoire de l'individualisme, Que sais-je, No 2712, P.U.F., Paris, 1993, P.3.

اللحظة التي يرى فيها الفرد أنه محور الوجود أو مركز الكون في مسار حياته الاجتماعية وأن يفهم الأشياء من خلال مصلحته الذاتية⁴. وهذا يعني بالضرورة صورة من صور الأنانية. فالفردية هي شيء غير النزعة الذاتية أو الفردية التي تتضح بالأنانية والاستغراق في نرجسية لا حدود لها.

وفي هذا الصدد يجب التأكيد على أن مفهوم الفردية Individuality في صورته العلمية براء من كل هذه التوصيفات السلبية التي تعني الأنانية والذاتية والنرجسية. فالفردية مصطلح علمي يتضمن عناصر إيجابية مختلفة تماماً عما ينسب إليه في الاستخدامات الجارية. فالفردية هي صورة الإنسان الذي يتميز عن الجماعة أو الآخرين بطريقة تفكيره وعمله ونظرته للوجود. وهي حالة من حالات شخصنة الفرد أي إعطاء الفرد سمات وخصائص شخصية يتفرد بها ويكتسب عبرها هويته المميزة.

لا توجد في المجتمعات القديمة شخصية مميزة للفرد وليس له خصائص يتميز بها عن الآخرين. ومع سياق التطور الاجتماعي يكتسب الفرد في المجتمعات الحديثة، بحكم الضرورة التاريخية وتقسيم العمل، شخصية يتميز بها عن الآخرين. وهذا لا يعني أبداً التفرد والانفراد والعزلة والتضاد مع ما هو اجتماعي بل يعني أن الفرد يكتسب خصائص يتميز بها عن الآخرين في سياق التعاون والتكامل الاجتماعي. وتاريخياً غالباً ما ينظر إلى الفردية كمؤشر للتطور الاجتماعي والثقافي. وهذا يعني أن الفردية مؤشر حضاري يجسد حالة التطور التي استطاع المجتمع أن يحققها ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً. فالطبيب والمهندس والعالم والمفكر وأغلب المتخصصين والمتقنين في المجتمع يعيشون حالة فردية فردانية، بمعنى أنهم يمتلكون خصوصية فكرية واجتماعية ومهنية يعرفون بها ويمتازون من خلالها ويكتسبون بها هوية

⁴ نزار الحديثي، في مناقشة لورة سعدون حمادي: الوحدة الثقافية والتعليم ملاحظات أولية في مركز دراسات الوحدة العربية، دور التعليم في الوحدة العربية: بحوث ومناقشات وقائع الندوة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1983، 3، ص36.

خاصة تميزهم عن سائر الأفراد الآخرين في المجتمع.

فنحن نعيش اليوم في عالم مختلف يستطيع فيه الناس اختيار طريقة حياتهم على منوال ما يعتقدون، ويسيطرون على معالم وجودهم بطرق مختلفة، وهم يمتلكون منظومة من الحقوق الفردية، والقانون المدني بالتالي يعمل على حماية هذه الحقوق الفردية، وعلى هذا الأساس فإن الناس ليسوا مجبرين - كما كان الحال في العصور الغابرة - على التضحية بشيء على أساس القيم الجمعية التي يعتقد بأنها مقدسة وأنها تتجاوزهم⁵.

وهذا يعني في النهاية أن مفهوم الفردية يقابل مفهوم الجمعية أو الجمعنة، وبالضرورة فإن الفردية تعني الشخصية المتميزة والحرية والاستقلال الذي يحظى به الفرد في مسار نمائه الاجتماعي وتطوره الإنساني ولا بد من الإشارة في هذا الخصوص إلى أن مفهوم الفردية بما ينطوي عليه من مضامين عقلية وسياسية واجتماعية يعد من المفاهيم المؤسسة للنهضة الغربية في القرن الثامن عشر وما يليه من مراحل تاريخية.

في المجتمعات التقليدية ولا سيما البدائية تأخذ العقلية صورة العقلية الجمعية والقطعية Mentalité de troupeau. فالفرد لا يستطيع أن يتصور وجوده على أساس مستقل لأنه يشعر بأنه جزء عضوي في الجماعة التي ينتمي إليها. فهو فرد في قطيع تحكمه معايير وقيم واحدة وهو بالتالي نسخة مكررة عن شخصية القبيلة التي لا تغاير فيها. وهذا يعني أن جود الفرد بوصفه كياناً مستقلاً متميزاً لا وجود له في هذه المجتمعات. ويعد دوركهايم من ألمع المفكرين الذين أشاروا إلى هذه القضية في مختلف أعماله ولاسيما في كتابيه تقسيم العمل. De la division du travail social⁶ والأشكال الأولى للحياة الدينية Les formes élémentaires de la vie

⁵ Charles Taylor, Les Malaises de la modernité, C.E.R.F., Paris, 1999, P. 10.

⁶ Emile Durkheim, De la division du travail social, 11° Ed., PUF, Paris, 1986.

religieuse⁷، حيث يبين أن تطور المجتمعات يأخذ طابع الانتقال من التكامل الاجتماعي الآلي إلى التكامل العضوي، وذلك عبر عملية تقسيم العمل المستمرة. وفي هذا السياق يوضح أن التكامل في المجتمعات الأولية أو البدائية يأخذ طابع التكامل الآلي. فالفرد صورة طبق الأصل نسخة مكررة عن شخصية القبيلة أو المجتمع الذي ينتمي إليه، وذلك بأفكاره وأسلوب تصوره للحياة ونمط حياته، وهذا بالطبع يعود إلى أنماط الحياة الاقتصادية البسيطة جداً التي تعتمد على الصيد أو الرعي أو الزراعة البسيطة، وجميع أفراد القبيلة يمارسون العمل نفسه وأنماط النتائج والسلوك عيناها. وهذا يعني وجود نوع من التكامل الآلي في داخل هذه المجتمعات. ومع تطور أساليب الإنتاج والعمل وظهور التخصصات يتفرد كل شخص في القبيلة باختصاصات معينة مثل التجارة والصناعة وتربية الحيوان والعمل الثقافي والمهني ويبدأ معها أفراد المجتمع بالتمايز ثقافياً وفكرياً ونفسياً (سيكولوجياً) ويبدأ المجتمع مرحلة جديدة يعتمد فيها على التكامل العضوي بين مختلف الوظائف الجديدة أو مع تقسيمات العمل، وهذه هي سمة المجتمعات العصرية أو الحديثة.

فالفردي في هذه المجتمعات الحديثة يمتلك خصوصيته واتجاهاته وفرديته على خلاف المجتمعات التقليدية التي تتطابق فيها شخصية الجماعة مع شخصية أفرادها وتغيب الفردية والخصوصية. وهذا يعني أن الروابط في المجتمعات البدائية تأخذ صورة روابط دموية قرابية جماعية، بينما تأخذ طابعاً ثقافياً فردياً في المجتمعات الحديثة أو المعاصرة. وفي المستوى الذهني يمكن القول بأن العقلية التي تسود في الجماعات الأولية أو القديمة هي عقلية القطيع وعلى خلاف ذلك تسود العقلية الفردية في المجتمعات التي حققت تقدمها الاجتماعي.

وتتضح فكرة دوركهيم في الصورة التي يقدمها أفلاطون في أسطورة الكهف، حيث يبين كم هو صعب بالنسبة للفرد أن يتحرر من المألوف والمتعارف عليها. وهذا يعني أنه من الصعب

⁷ Emile Durkheim, Les formes élémentaires de la vie religieuse, 2^eEd., P.U.F., Paris, 1990.

جداً على الفرد أن يتمسك بمبادئ وقيم تتناقض مع عقائد الجماعة وقيمتها لأن ذلك سيؤدي به إلى العزلة الاجتماعية بعيداً على أقرانه وأفراد مجتمعه.

ومع ذلك يمكن القول بأن الفرد لا يستطيع دائماً أن يختبئ وراء حجاب العقائد والأيديولوجيات القائمة بل يجب عليه أن يتخذ موقفاً يتكامل مع غاياته ومقاصده الفردية وهنا يمكن القول بأن عقلية القطيع تصب اللعنة على الوعي الفردي. وترى بأن الحماية الأساسية للفرد تكمن في عزوفه عن الاعتقاد بأي شيء آخر غير عقائد الجماعة أو الخضوع لأية سلطة أخرى غير سلطة المجموع. فالعرف والعائلة والدين عوامل تعمل على تشكيل الفرد ومنعه من أن يكون لذاته وأن ينصرف لمقاصده الفردية ومن أن يكون هوية فردية خاصة⁸.

فالإنسان المختلف يشكل مصدر إزعاج وهو لا يشكل مصدر إزعاج لأنه مختلف بل لأنه يتصرف وفقاً لإرادته الخاصة. وبالتالي فإن التصرف وفقاً للإرادة الفردية يعني أن الفرد يحتكم إلى بصيرته، وهذا بدوره يؤكد انفصاله عن الذكاء الجمعي، وهذا يعني أيضاً أنه ليس لأي فرد الحق في أن يعلن عن حق خاص به مهما يكن في المجتمعات القديمة⁹.

وباختصار يمكن القول إن الفردية خاصة من خصائص التطور الاجتماعي، وهي خاصة تتجسد في قلب الحياة الاجتماعية للمجتمعات الحديثة والمعاصرة. وعلى خلاف ذلك فإن الجمعية Collectivité تعد خاصة أساسية من خصائص المجتمع البدائي حيث يكون الفرد مجرد صورة عن الجماعة التي ينتمي إليها، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن الفردانية تؤكد أهمية نمو الفرد وازدهاره وتأسيس قيمته الخاصة وقدراته المميزة وذلك في واجهة مظاهر التماثل والتجانس التي تأخذ مداها في النماذج الشمولية القائمة عبر التقاليد والتسلط. وهي في هذا المعنى والسياق تؤكد الفردانية مبدأ الأصالة والتفرد إزاء التماثل والتطابق. وهذا من شأنه أن يعطي لهذا المفهوم

⁸ Alain Laurent, Histoire de l'individualisme, Que sais-je, No 2712, P.U.F., Paris, 1993.

⁹ Luis Dollo, Culture individuelle et culture de Mass, Que sais-je, No 1552, P.U.F., Paris, 1990.

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

أبعاده الأساسية لأن الشخصية الإنسانية تحتاج إلى من يقدم لها الحماية في مواجهة الروح الجمعية التي تميل إلى إلغاء الفرد وتذويبه في دائرة الروح الجماعية التقليدية. كما أنها تحتاج إلى الحماية ضد أخطار الأفراد الآخرين الذين يميلون إلى التسلط والإكراه.

إن الفردانية، بتأكيداها على الخصوصية والتفرد والأصالة، لم تعرف في المجتمعات البدائية القديمة أو حتى في المجتمعات الإقطاعية. فالمجتمعات القديمة تعرف بدرجة عالية من التماسك والتضامن حيث يلفظ ويستبعد أي فرد يسعى إلى التفرد والتميز والاستقلال عن الجماعة.

ففي بلاد الإغريق القديمة ظهر العقل وتأسلت الديمقراطية وفي هذه الحضارة أهملت الجوانب الداخلية للإنسان التي تتميز بتفرداها وتميزها. لقد طرح الإغريق القدماء السؤال المركزي التالي: ماذا نعرف؟ وأجابوا عن هذا السؤال بمنهجية تفرض نفسها حتى العصر الراهن. ولكنهم أبداً لم يطرحوا السؤال التالي الذي لا يقل أهمية عن الأول وهو: من الذي يعرف؟ أو من نحن؟ بمعنى أنهم تجاهلوا الذات العارفة وأكدوا أهمية موضوع المعرفة بذاتها. وهذا يعني أن بلاد الإغريق لم تشهد نمواً في علم النفس والتحليل النفسي الذي عرفته الإنسانية في القرن التاسع عشر.

كانت الحرية في اليونان حكراً على بعض الفئات الاجتماعية والأرستقراطية. ومع وجود هذه الحرية فإنه لم يكن يسمح للفرد بالخروج على معايير الجماعة وقيمتها وعاداتها وأعرافها وتقاليدها. وقد تجلت هذه الحقيقة في إعدام الفيلسوف الشهيد سقراط الذي حاول أن يعرب عن رأيه بحرية فأدين من قبل المجتمع الإغريقي ونفذ فيه حكم الإعدام. وهو حكم إعدام الفردانية والحرية الشخصية. لم تكن بلاد الإغريق القديمة قد تطورت إلى الحد الذي يسمح بالنظر إلى الإنسان بوصفه كياناً فردياً مستقلاً عن الجماعة أو خارج دائرة النسق الاجتماعي.

لقد عرفت المجتمعات الغربية المسيحية مفهوم الفردانية في العصر الوسيط أيضاً، ولكنه لم يبلغ غاية نضجه ولم يصل إلى تمام كماله. بل غالباً هذا المفهوم يحمل في طياته مضامين سلبية تتعلق بالبرغبات والميول والنزعات الأولية الفردانية. فالفردانية بهذا المعنى تتوحيح لمعاني

السلبية الفردانية التي كان المجتمع يحاربها من أجل الصفاء الروحي والكمال الأخلاقي.

ولقد ولد مفهوم الفردانية في أقصاف الإدانة وزنانات الاتهام. إذ إن ما يتميز به الفرد بوصفه كياناً مستقلاً هو ما تجب إدانته حتى وإن كان هذا التمييز يأخذ اتجاهات خيرة ونبيلة، حيث تقضي أخلاق هذه المجتمعات تحرير المجتمع من الامتيازات الفردانية التي يجب التخلص منها. وباختصار يمكن القول بأن المسيحية اكتشفت الفردانية وأدانتها في الوقت نفسه بوصفها حالة سلبية غير أخلاقية تهدد المجتمع وتقوض درجة تماسكه.

لقد نادى النهضة في باكوراتها الأولى بعباء الحرية الذي يسمح للفرد أن يقرأ ما يشاء، وأن يصور الفنان ما يختار، وأن يجهر الفيلسوف بما يعتقد، فأعلنت أن الفرد صار غاية في ذاته ناقداً شكاكاً ظمناً للمعرفة ومدركاً لقوته.¹⁰

وفي مراحل لاحقة وجد مفهوم الفردانية نفسه في حقل الرعاية الفلسفية الإنكليزية عند هوبس Hobbs ولوك Lock وأدم سميث Smith الذين كانوا في طليعة المفكرين الذين تناولوا مفهوم الفردانية بالدراسة والتحليل. وهم في دائرة طروحاتهم كانوا ينظرون إلى الإنسان في دائرة تفردية ويقابلون بينه وبين الدولة.

يرى جروسيوس في هذا السياق أن هناك حقوقاً طبيعية للإنسان كامنة في الأشخاص يكشفها العقل ويعترف بها القانون الطبيعي ومن يجب أن يترتب عليها القانون الوضعي. لقد اعتبر معظم كتاب القرنين السابع والثامن عشر وجود هذه الحقوق أمراً واضحاً بذاته يكشفه العقل، فالعقل أصبح مناط الفكر في هذه المرحلة التاريخية¹¹. لقد مضى مفكرو الليبرالية إلى مسافات متقدمة بنظرية القانون الطبيعي حينما اتخذوها وسيلة للحد من السلطة السياسية المركزة في شخصية الحاكم (السلطان المطلق للملوك)، وكانت أول صورة ظهرت فيها النظرية كقيد على

¹⁰ حقي إسماعيل بريوتي، فلسفة الليبرالية والاشتراكية في حقوق الإنسان، الوحدة، ضمن المجلس القومي للثقافة العربية: حقوق الإنسان في الوطن العربي، العددان 63-64، ديسمبر/يناير 1990، صص 51-62، ص 52.

¹¹ حقي إسماعيل بريوتي، فلسفة الليبرالية والاشتراكية المرجع السابع، ص 52.

سيادة الدولة في عهد الملكيات المطلقة في القرن السادس عشر.¹²

وعلى أثر الفلسفة الإنكليزية يأتي عصر التنوير في القرن الثامن عشر بأحمال من العطاءات الفكرية التي شكلت مهاداً لتطور مفاهيم الفردانية وحقوق الإنسان. ولقد عمل فرسان التنوير على تحرير الإنسان عقلاً وفكراً وممارسة وانتماء. فالعقل كما كانوا يعلنون باستمرار هو أداة المعرفة الشخصية وأن الفردانية في دائرة الحرية تشكل مبدأ الإبداع والعطاء الفكري بمختلف تجلياته.

فإعلان حقوق الإنسان في عصر التنوير يؤكد أهمية الفرد والفردانية. ومع أهمية هذا التقدم في تحديد مفهوم الفردانية في عصر التنوير لم يصل هذا المفهوم إلى مستوى الوضوح الذي يتجه إليه. وبالتالي فإن إعلان حقوق الإنسان يفتح المجال لكل فرد أو مواطن بأن يمارس حقه في الوجود وأن يعيش حياته بوصفه كينونة اجتماعية متفردة وحرّة.

ويلاحظ في هذا السياق أن فكرة الفردانية كانت تحقق تقدمها وحضورها المتزايد بصورة متناسبة طرداً مع تراجع أهمية الدين وانحسار قوته في الحياة الاجتماعية في أوروبا الغربية. وقد شكل انتصار الحداثة بصورة تدريجية المجال الحيوّي الذي انتشت فيه الروح الفردانية حيث كان تقدم الفردانية مترابطاً بصورة جدلية مع اتساع مساحة الأهمية التي تحتلها الحداثة في الحياة الاجتماعية برمتها.

وفي مجرى القرن التاسع عشر بدأت الفردانية تزدهر وتحقق فتوحاتها الفكرية ولا سيما في مجال الفن وفي مجال الأدب الرومانتيكي الذي شكل الحقل الأكثر أهمية في مجال الإبداع الفردي. وقد تبلورت هذه الفردانية في المستوى الاقتصادي والاجتماعي مع الانتصار المتنامي للرأسمالية والطبقة البرجوازية الذي بلغ أشده في القرن التاسع عشر. ومع أهمية التقدم الذي حققته الفردانية إلا أنها بقيت تواجه فيض القيم والأفكار المناهضة لها مثل: التابو والمحرم وميتافيزياء التفكير وعقليات ما قبل الحداثة.

¹² حقي إسماعيل بربوتي، فلسفة الليبرالية والاشتراكية المرجع السابع، ص 52.

ولا تقل أهمية تطور هذا المفهوم في المجال السياسي عنه في المجالات الأخرى حيث شهدت الفردانية أوج ازدهارها في عهدي ماركس وسترز. وفي هذا المجال أدان سترز الروح الجمعية وأعلن أنها شر بالمطلق ومصدر الآلام الإنسانية والإنسان. والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الخصوص هو هل كان ماركس يولي الجوانب الشخصية والفردية في الإنسانية الأهمية التي أعلن عنها في القرن التاسع عشر؟ أم أنه وعلى خلاف ذلك كله كان يحصر اهتمامه في الجوانب الاجتماعية للحياة الإنسانية متجاهلاً أهمية الفرد والفردانية في مسار التطور التاريخي للمجتمعات الإنسانية؟ ومن المؤكد في هذا السياق أن ماركس كان يولي هذه المسألة بعض اهتمامه ولاسيما في كتابه رأس المال الذي ينطوي على تضمينات فكرية متنوعة حول الفرد. ومع أن أفكاره حول الفردانية كنت مختصرة وسريعة إلا أنها تقتقر إلى الأهمية التي أعطاها لهذه المسألة. ويتجلى هذا الأمر في أفكاره عن أوقات الفراغ وعن خصوصية العمال وأهمية تعليمهم وتنقيفهم.

ومن ثم تجلت الأهمية القصوى لمفهوم الفردانية في مجال البيولوجيا التي أكدت في مجال اكتشافاتها حالة التفرد التي يتميز بها كل إنسان. لقد بينت البيولوجيا هذه أنه لا يوجد في الكون خليتان إنسانيتان متطابقتان وبناءً على هذا أنه لا يمكن أن يوجد شخصان متماثلان بالمطلق في العالم بأسره.

ولا تقل الأهمية التي عرفها مفهوم الفردانية في مجال علم النفس والتحليل النفسي وفي مجال العلوم الإنسانية بصورة عامة. فالاختلاف بين الأفراد لا يتوقف على حالتهم البيولوجية بل ينسحب هذا ليشمل مختلف تجليات الحياة الاجتماعية والتربوية وهذا يشمل عادات الأفراد وقيمهم وقدراتهم وسلوكياتهم وردود أفعالهم.

إن السمات التي ينفرد بها كل كائن إنساني حقيقة تؤكد لها عقلانية المجتمعات الحديثة. لقد أضافت الحداثة في هذا المستوى بعداً جديداً للفردية يتمثل في الوضعية التاريخية لكل فرد والحالة الخاصة لمستوى تطوره. فالفرد وفقاً لهذه الرؤية لا يختلف عن الآخرين وفقاً لوضعيته القائمة

فحسب بل يختلف عنهم أيضاً باختلاف سيرته الحياتية وشروط تطوره النفسي والاجتماعي. فالإنسان الفرد نتاج لشروط معقدة بالغة التنوع في مستوياتها الاجتماعية وال نفسية. ومن هنا فإن سلوك الإنسان يدرس علمياً بأسبابه وعلى هذا الأساس فإن المنحرف في الوضعية الحداثية يصلح ولا يعاقب أو يعذب، وذلك لأن المجتمعات الحداثية تأخذ بعين الاعتبار منظومة الشروط الاجتماعية وال نفسية (السيكولوجية) في تحديد الطابع العام لسلوك الفرد اجتماعياً. وهذا يعني أن ما يرتكبه الفرد لا يعزى إلى مسؤولية الفرد فحسب بل يعزى ذلك أيضاً إلى مسؤولية الجماعة والمجتمع. وهذا النوع من التفكير يتعارض كلياً مع التفكير الذي يفرض حضوره في المجتمعات التقليدية.

الفردانية والجمعة:

لا يمكن المقابلة بصورة مطلقة بين الفردانية والاجتماعية، فالفردانية لا تعني الأنانية والنجسية والعزلة ولا يمكن أن تختزل إلى أحد أمراضها. فالسمات الخاصة بكل فرد تشكل منطلقاً لعملية ازدهار الجماعة. فالفرد المبدع يوظف طاقته في خدمة الجماعة في نهاية الأمر. وهذا يعني أن الخاص الفردي هنا يشكل منطلق النهوض الحضاري للمجتمعات الإنسانية القديمة والمعاصرة. فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه ولا يمكنه أن يكون خلاف ذلك. وهذا يعني أن الجانب الفردي في الجماعة لا يتعارض أبداً مع الجانب الاجتماعي. وهذا ما يعبر عنه دوركهايم بقوله إن في كل منا كائنين: كائن فردي يعبر عن منظومة الميول الفردانية التي تخص الفرد دون أن يشترك فيها مع الجماعة، وكائن اجتماعي يمثل جميع الحالات والاتجاهات والقيم التي يشترك فيها الفرد مع الجماعة.¹³

ولابد لنا في هذا السياق من الإشارة إلى جانب آخر في الفردانية يتمثل في الجسد. فالفردانية ليست تحريراً للنفس والمشاعر فحسب بل هي تحرير للجسد أيضاً. وتأتي أهمية هذا الجانب حين

¹³ إميل دوركهايم، التربية والمجتمع، ترجمة علي وطفة، دار معد، دمشق، 1990.

نأخذ بعين الاعتبار فيض الممنوعات الجسدية التي تجعل وتضع الإنسان في غربة حقيقة عن كيانه المادي. فامتلاك الجسد يعني الحق في الحياة والصحة وهذا يعني أيضاً أن هذا الجانب يشكل منطلق حقوق الإنسان الخاصة بالفرد.

فالحداثة دونت للإنسان حقوقاً ويفضلها أصبح لهذه الحقوق تقاليد وأعراف دولية وفكرية وسياسية. ومع أهمية ما حققته الحداثة في هذا المستوى إلا أنها لم تستطع أن تفرض هذه الحقوق في مختلف المجتمعات والبلدان. ومع هذا كله فإن الحداثة أوجدت المدونات الحقوقية وشيدت المؤسسات السياسية والاجتماعية القائمة على حقوق الإنسان وأصلت هذه الحقوق على صورة قيم أخلاقية إنسانية تجري في الوعي وتأخذ طريقها نحو الروح.

ومع الأخذ بعين الاعتبار الجوانب السلبية في اعتبارات الحداثة للفرد والإنسان فإنه لا يمكن لنا أن نجد هذا المد الحضاري الواسع لحقوق الفرد والإنسان في الحضارات السابقة. لقد بلغ تقدير الفردانية والإعلاء من شأن الفرد الحد الأقصى في الحضارة الإنسانية المعاصرة. ومع ذلك كله لا يستطيع أحد من الناس أن ينكر أن الحروب الدموية والمذابح العرقية والمفاصل البشرية التي تحدث هنا أو هناك، هذه الجرائم الإنسانية، مدانة بالمطلق من قبل المجتمعات الإنسانية وتواجه رفضاً بلا حدود.

استطاعت الحداثة أن تحقق ما لم تستطع بعض الأديان في مستوى تحقيق الحريات الفردانية. لقد أعلنت المسيحية احترامها للإنسان بوصفه كائناً متفرداً، واستطاعت أن تحقق أقصى درجات تكريمها للشخصية الإنسانية في باكوراتها، إلا أنها تستطيع أن تحقق رسالتها هذه حتى النهاية أو كما يجب ولا سيما في ممارسات المؤسسات السياسية للمسيحية.

ويمكن لنا في هذا السياق القول بأن الفردانية هي المجال الحيوي الخاص بالإنسان. وهنا يجب ألا ننسى بأن الفردانية تتضمن منظومة من الحقوق الفردانية مثل الاختيار الحر للمهنة، واختيار الزوجة، ومكان السكان، وحرية الرأي والتعبير وحرية المشاركة السياسية، وحرية التملك، وحرية الاعتقاد... إلخ. ومثل هذه الحريات لم تُعرف في المجتمعات التقليدية القديمة أو ما ينحو

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

نحوها. وبعبارة أخرى يمكن القول بأن الفردانية تتضمن نسقاً من السلوكات الخاصة والحريات والمكاسب الاجتماعية التي تعلي من شأن الفرد وكرامته وحريته. وتمثل هذه الحقوق والسلوكات عطاءات إنسانية لا يمكن للإنسان المعاصر أن يعيش من غيرها وهي سمات وعطاءات تؤكد أولوية الفرد على الجماعة.

وعلى الرغم من أهمية العطاءات والمكتسبات التي منحت للإنسان بوصفه فرداً فإن الفردانية ولا تُعد نقيضاً للروح الجماعية، وذلك لأن هذه الروح الجماعية هي النهاية نتاج وعطاء لتفاعل الأفراد الذين يشكلونها. وبالتالي فإن المجتمع لا يمكن أن يكون قوياً إلا إذا كانت مكوناته الفردانية قوية ومتماسكة.

ولأنه لا يوجد في الكون كائنات متماثلان جينياً إلى حد التطابق فإن أي فرد في الجماعة يشكل عطاء إنسانياً يغنيها ويجعلها أكثر حيوية وقدرة، ولا سيما إذا استطاعت استثمار هذا التنوع والتفرد في مكونات وجودها. وهذا يعني أن الجماعات التي لا تحترم خصوصية أفرادها وهذه التي تفرض عليهم متطلبات وواجبات تتجاوز حدود طاقاتهم الممكنة هي جماعات تعاني من العقم في مختلف مستوياتها وتجلياتها.

فالفردانية التي تؤكد الحداثة وتمارسها في مختلف مظاهر الوجود الإنساني تشكل اليوم حتمية تاريخية وحضارية تعادل من حيث المبدأ حتمية الحداثة نفسها. وذلك لأنها تتجه نحو تحقيق ازدهار الإنسان ونمو القدرات الطبيعية الخلاقة لديه.

ولنفترض أنه يمكننا اليوم إدانة الفردانية وممانعتها. فإن السؤال هو كيف لنا أن نجد البديل لهذه الفردانية؟ هل سيكون هذا البديل بإعطاء الأولوية للجماعة. ألا يبدو لنا ذلك ارتداداً تاريخياً نحو التسلط والإكراه الذي عرفناه في ظل تسلط الدوغمانيات الجمعية.

حدود الفردانية

الفردانية ليست مذهباً فلسفياً، ومع ذلك فإنها تتوازن مع إشكالية الحرية بوصفها واحدة من المشكلات الفلسفية. فالنظر إلى الفرد من خلال سماته وخصوصياته أمر ممكن ولكن هذا يجب أن يخضع لبعض الحدود والفواصل. وإذا كان كل فرد يؤكد حريته فإن حدود هذه الحرية ليست في انطلاقتها الأولى أي فيما كان عليه في الأصل، وهذا يعني بدقة أن جملة من العوامل والشروط توجد في أصل نماء هذه الحرية. فليس هو الذي اختار هويته أو ماهو عليه. وهنا تتمركز إشكالية الفطري والمكتسب في مسألة الفردانية. فالإنسان هو هذا الكائن الذي يكون المكتسب فيه أكثر أهمية، ومع أهمية هذا الجانب ومدى حضوره الواضح في السلوك فإنه لمن الصعوبة بمكان أو بدرجة الاستحالة تحديد الجوانب المكتسبة وفصلها عن الجوانب الفطرية في شخص الإنسان. وهذا يعني أن إشكالية المكتسب والفطري تطرح نفسها إشكالية معقدة في دائرة المجتمعات الحديثة. فالفطري ينظم بالمكتسب وبالتالي فالمكتسب يوجه من قبل الفطري وفي هذا الدائرة من تبادل التأثير بين المكتسب والفطري تقفز أمام العين الصعوبة الكبيرة في الفصل بين المكتسب والفطري في بنية الشخصية الإنسانية. والسؤال الأصعب الذي يدور في قلب هذه الإشكالية هو تحديد اللحظة الأولى التي يبدأ فيها كل جانب ثم تحديد النقطة التي ينتهي عندها. وهذا تتجلى مسألة الجانب الأخلاقي في الإنسان. فأين إذن تكمن مسؤولية الإنسان الفرد؟ ومتى يكون الفرد هو نفسه؟ فالفرد نتاج تاريخي لشروط مجتمعية متنوعة حيث يكون له تاريخه الخاص والمميز والمتفرد. والإنسان يمتلك في ذاته على جوانب اجتماعية. فهو يتكون على نبض الثقافة التي يعيش فيها ويتشكل في رحم المجتمع والثقافة.

ومن أجل الاستدلال على أهمية الثقافة في بناء الفرد يبين لنا التحليل النفسي أن الذهان النفسي يتحدد ويتشكل ثقافياً وأنه لا يمكن معالجة الإنسان وتحريره من ذهانه إلا بالعودة إلى الثقافة التي نشأ فيها. فالرجل الإفريقي الذي يرى أنه ضحية لساحرة في بلاده لا يمكن علاجه إلا في إطار ثقافته ومن خلال هذه السحر الذي يوجد في أصل تكوينه الاجتماعي. ولا يمكن

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

معالجته وفقاً للمنطق العقلاني الذي يرفض فكرة السحر والساحرة. وبالتالي فإن الفرد الذي نشأ في مجتمع شمولي استبدادي لا يستطيع أن يرى الجانب التحرري في الفردانية ولذا فهو يفضل التضامن الاجتماعي لمجتمعه الأصلي مهما بلغ تعنت هذا المجتمع ويفضل المساعدات التي يقدمها له في المستوى الأخلاقي والثقافي.

ويجب علينا في هذا المستوى ألا ننسى أبداً أن الإنسان يتكون من جانبين متفاعلين هما الجانب الفطري البنائي والجانب البيئي المكتسب عبر التربية والحياة الاجتماعية. وبين هذين الجانبين يتحقق التوازن إلى درجة لا يأخذ فيها العامل الخارجي المجتمعي حضوره بوصفه حالة غزو وإكراه.

والمجتمعات البدائية التقليدية تجد نفسها اليوم محاطة بتدفق الحداثة وهيمنتها وبالتالي فإن هذه الحداثة متشعبة بالفردانية إلى حد يهدد وجود هذه المجتمعات التقليدية ويؤكد حتمية زوالها. ومع ذلك يجب أن ننظر بأهمية كبيرة إلى وضعية التضامن الاجتماعي التي توفرها المجتمعات التقليدية لأبنائها في إطار كل تحليل. ولا يجب علينا دائماً أن نرى في النزعة الاجتماعية التي تؤكد الشمولية والسيطرة خطراً بالمطلق. فالعامل المهاجر الذي يعيش في عزلة في حي صناعي في لندن أو نيويورك يشعر بحنين عظيم إلى مجتمعه الأصلي الذي يشبع لديه كثيراً من الحاجات الاجتماعية التي يفتقدها في عزلته ذات الطابع الحداثي بما تنطوي عليه هذه الوضعية من عزلة وتفرق وقهر وتمييز عنصري وعرقي. ومع ذلك فإن حاله أفضل من مواطن له يعيش مطارداً من قبل ساحر القبيلة أو كاهنها. وحاله هذه أفضل بكثير من هذا الذي يتعين عليه بحكم الشمولية المجتمعية التي يعيشها في المجتمع التقليدي أن يضحي ويموت من أجل الآلهة وأرواح الأجداد والأجداد.

فالإنسان الفرد في المجتمعات الحديثة يختار بين معايير وبدائل لا حدود لها. وعلى خلاف ذلك فإن الإنسان في المجتمعات التقليدية لا يختار شيئاً أبداً: فالجماعة هي التي تحدد له كل ما يسعى عليه والجماعة التي ينتمي إليها تحصى عليه كل سكناته وحركاته ورغباته. وعلى خلاف

ذلك فإن الفرد الحداثي يخالف جماعته ومجتمعه الأصلي وهذا لا يمنعه في الوقت نفسه من التكيف مع مجتمعه إذ يعيش فيه بحرية ويسر وتكامل دون صعوبة أو إكراه.

بؤس الفردانية وانتقاداتها

كثيراً ما تعزى إلى الفردانية المشكلات التي تواجهها المجتمعات الحديث مثل العزلة والوحدة والأنانية واللامبالاة. ففي المدن هناك دائماً قصة الجيران الذين يعيشون سنين طويلة ولا يعرف فيها بعضهم بعضاً. وهناك آلاف القصص عن هؤلاء الذي يموتون في منازلهم منفردين لا يعرف بحالتهم أحد. وهناك عنصر اللامبالاة الاجتماعية التي تنتشر في مختلف أصقاع المدينة. هذه المظاهر المحزنة تعبر اليوم عن شكل جديد من أشكال الفردانية.

فنحن نعيش اليوم في مجتمع صناعي غير إنساني. وفي هذا المجتمع الصناعي الاستهلاكي لا ينظر إلى الإنسان إلا بوصفه أداة أو موضوعاً أو مستهلكاً. وهذا يعني أن الفرد في هذه المجتمعات يشق طريقه في عالم مظلم. وهذا يعني من جهة أن الفرد يتحول في هذه المجتمعات إلى ضحية وإلى موضوع متشبه بعد أن كان ذاتاً أصيلة متفردة.

ولقد أدى تراجع القيم الدينية وانحسار الدين إلى تراجع كثير من المعايير الأخلاقية التي كانت سائدة. وبالتالي فإن المعايير الأخلاقية الضرورية للحياة الإنسانية لم تجد بديلاً لها في ظل الحداثة. وهذا بدوره أدى إلى فراغ أخلاقي رهيب لا يمكن للعلم أن يسده.

وبقينا أن المخرج الذي تطرحه هذه القضية لا يكون أبداً في العودة إلى الأشكال البدائية القديمة للدين كما يرى بعض المفكرين المعاصرين. فمثل هذا الفراغ الأخلاقي يجب أن يردم بإمكانات عقلية جديدة وعبر روح فلسفية نشطة قادرة على تمكين الإنسانية من تجاوز خوائها الروحي والإنساني. فالتعليم الفلسفي الجيد يمكن الفرد من ممارسة خياراته بمسؤولية أخلاقية

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

متميزة وذلك من منطلق سببه معرفية أصيلة وراسخة. ومما يؤسف له أن هذه الممارسة الفلسفية لا توجد في الأنظمة التربوية القائمة في أي مكان في هذا العالم.

إن تضخم المعلوماتية، وسهولة الاتصال، وتدفق القيم الصناعية والاتصالية، عوامل تضعنا في مواجهة فيض وزحام من الأفعال والأفكار والسلوكيات والقيم التي تتطلب شرحاً وتفسيراً من نوع فلسفي. ويجب علينا في نهاية الأمر أن نحترس في وضع الفردانية في قفص الاتهام لأن الفردانية مفهوم معقد ومركب وشمولي، ولذا يجب علينا أن نتناوله بحذر شديد وعلينا أن ندرك بأن هذا المفهوم يتضمن عناصر إيجابية ومهمة بدرجة كبيرة.

وإذا كان من الواجب تحرير هذا المفهوم من أدرانته وأمراضه وعناصره السلبية مثل الأنانية والترجسية والمنعة والحسية واللامبالاة فإنه يجب علينا أن نفصل هذه العناصر عن المكونات الأخرى لهذا المفهوم.

فالحداثة كانت طموحة إلى تحقيق السعادة الإنسانية وانطلقت في الأصل في هذا المسار. وهذه الفكرة كانت في أصل فكرة الفردانية وشكلت في الوقت ذاته منطلقاً لها. ولذا فإن الفردانية فعل سار ومبهج ومع أن السعادة لم تتحقق في أي مكان في العالم بالطلق فإن السعادة تبقى ويجب أن تبقى مشروعاً أساسياً لوجودنا وصيرورتنا الإنسانية.

ومهما بلغت درجة الانتقادات ودرجة الانتكاسات التي يواجهها مفهوم الفردانية فإن فكرة الفردانية فكرة إنسانية خلاقة يجب أن تحظى بالرعاية والحماية والاهتمام بوصفها اكتساباً تاريخياً بالغ الأهمية. ولقد بين الأدب العالمي في كثير من فصوله التراجمية أن حضارات إنسانية قد أخفقت مراراً وإن نظريات كبرى قد سقطت (النازية، الستالينية، الفاشية) فقط لأن قيمها كانت تتعارض مع قيم الفردانية. إن مشروع الفردانية مشروع لم يكتمل بعد وهو في حالة التطور الدائم الذي يبشر بتجليات إنسانية جديدة باللغة الطموح.

فالفردانية تمثل أهم انتصارات الحداثة، ولكنها أصبحت بما آلت إليه اليوم تشكل البؤس الأول لهذه الحداثة وفي هذه النقطة تكمن اخطر إشكاليات المدنية المعاصرة. ومع أهمية ما حققته الفردانية من تطور، فإن بعض الناس وبينهم كثير من المفكرين يعتقدون بأن الفردانية لم تتحقق كما يجب وأن البنى الاجتماعية القائمة ما زالت تهدد حرية الفرد وتنازل من إمكانات استقلاله. ومهما يكن الأمر فإن التأمل العقلاني في هذه القضية يؤدي إلى حقيقة قوامها أن الأنظمة الأخلاقية القديمة قد سقطت وسقط معها إيمان الإنسان بأن ينتمي إلى نظام كوني يتجاوزه وأن الكون يشكل نظاماً جديداً يأخذ فيه الإنسان مكانة بين صفوف الملائكة.

ولكن هذه الفردية في نسق تطورها وامتدادها أخذت الإنسان إلى ذاته ودفعته إلى الانغلاق والتصلب وسجنته في شرنقة الاستقلال والحرية، حيث بدأ يعيش حالة بؤس حضارية تمثلت في هذا القلق الوجودي الذي يأخذ طابع الشمول والتفرد في حياتنا الإنسانية المعاصرة. لقد فقد الإنسان، في ظل هذه التعاسة الفردية، الإحساس بطعم الحياة ولفح نسايمها.

لقد ارتهن غياب الطابع القدسي عن حياة الناس بطغيان عقل أداتي يعصف بكل مقومات الإنسان بوصفه كياناً إنسانياً. لقد أدى هدم الأنظمة القديمة بما تتطوي عليه من طابع قدسي ومن قيم أخلاقية إلى توسع إمبراطورية العقل الأداتي. ففي الوقت الذي تغيب فيه إمكانات المقدس عن الحياة الاجتماعية وعندما تفقد المؤسسات الاجتماعية الطاغية الغائي للحياة الإنسانية، تتحول الحياة الاجتماعية إلى جحيم القهر وإلى مسرح المنازلات التي تأخذ فيه قيم الرفاه والنفعية مركزية الكون الإنساني. فكل شيء ينظر إليه في هذا السياق من زاوية البحث عن الرفاه والخير الفردي الشخصي.

وتحت طغيان هذه العقل الأداتي تفقد الكائنات الإنسانية جوهرها الإنساني الخلاق وتتحول إلى مجرد مادة خام وإلى أدوات توظف بصورة نفعية لتحقيق أهداف وغايات لا تتجاوز حدود الربح والآنية السوقية.

لقد حررتنا التحولات الحداثية في كثير من جوانب وجودنا وحياتنا، ولكنها مع ذلك وضعتنا في قفص القلق الوجودي الذي يتجاوز اتساعه كل حدود. فالعقل الأداتي لم يقف عند حدود هيمنته الخاصة وحدود سيطرته على معاني الوجود المادي بل استطاع بسطوته أن يمتد ليمتلك حقل وجودنا الإنساني الخاص ويحدد معالم حياتنا الخاصة. وليس من قبيل المبالغة القول في هذا السياق بأن مبدأ الربح والخسارة يسجل حضوره في عمق القرارات التي تأخذ طابعاً أخلاقياً. وهذا يعني أن القيم المضيفة في حياتنا أصبحت مهددة بصورة متنامية. وهناك أمثلة لا حصر لها على وضعية اليأس الأخلاقي الذي يخيم على حياتنا ووجودنا الإنساني المعاصر. فهناك على سبيل المثال استخدام معايير النمو الاقتصادي لتبرير التوزيع غير العادل للثروة أو هذه القرارات التي تتجاهل قضايا البيئة والتلوث البيئي. وهذه الإجراءات التي تغيب أهمية الأبعاد المعيارية للوجود الإنساني تقود المجتمعات الإنسانية إلى هاوية حضارية وإلى انحطاط شامل في مستويات الوجود الإنساني. وبعد منهج التخطيط الذي تعتمد السياسات الاجتماعية بناء على مبادئ الربح والخسارة دليلاً على انحطاط القيم وتجاهل المعايير الحيوية للوجود الإنساني.

ومن جهة أخرى فإن هيمنة التقانة (التكنولوجيا) لا تقف عند حدود معينة حيث بدأت تمتد لتشمل مختلف جوانب حياتنا الاجتماعية لتؤدي وبصورة مستمرة إلى فقدان النبض الإنساني والمشاعر الإنسانية النبيلة للحياة الاجتماعية. وبعبارة أخرى إلى تبيد هذا الغنى الأخلاقي الذي غالباً ما كان يفيض في دائرة الحياة الاجتماعية.

وهذا التصور حول الجفاف الأخلاقي والإنساني في الحياة الاجتماعية ليس جديداً في عالم الفكر، حيث سبق لماركس تحديداً أن تنبأ بأن التطور الرأسمالي سيؤدي بالنتيجة إلى فوضى وإلى تفكك القيم الأخلاقية المتماسكة وإلى اهتزاز عميق في بنية كلا التكوينات المتماسكة والثابتة. وفي هذا السياق يؤكد حنا أرنيديات على أهمية النظم المتماسكة والثابتة في حياتنا. لأن الثبات والديمومة التي تتميز بها الأشياء المحيطة في حياتنا توفر لنا إمكانات التكامل والتوازن في حياتنا الاجتماعية. وبالتالي فإن اهتزاز هذا التماسك وزعزعة هذه القيم الثابتة يهدد استمرارية

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

الوجود الإنساني ويدفعه إلى مجاهل البؤس والشقاء.

وهنا يجري الحديث وبصورة مستمرة عن حتمية انتصار العقل الأداتي بصورة مستمرة تحت تأثير قوى اجتماعية غير محددة. إذا يمكن لمدير ما أو لزعيم سياسي أن يتبنى استراتيجية ما تساعد على زيادة الأرباح مع أنه يعتقد بأن هذه الاستراتيجية مدمرة للحياة الاجتماعية. ويمكن لزعيم آخر أن يتخذ، رغماً عنه، قرارات غير إنسانية وشاذة تحت هذا العنوان لقيم الربح والخسارة. فهناك قوى اجتماعية غير منظورة في ممارسة التأثير الآني تتمثل في المؤسسات الاجتماعية الكبرى مثل الدولة والاقتصاد والسوق. ويبدو أن الإنسان يقف عاجزاً أمام حتمية الحلول والتوجيهات التي تفرضها هذه المؤسسات التي تمارس أدواراً تبدو أحياناً غير عقلانية أو غير موضوعية. ومع ذلك كله فإن الخيار الإنساني يبقى قائماً وهامش الحرية يكون أحياناً كافياً لممارسة الفعل الإنساني بأبعاده الأخلاقية.

فالعقل الأداتي يسجل حضوره القاهر بقوة المؤسسات الكبرى وهذه المؤسسات تكره الأفراد على مجارة العقل الأداتي الذي يقوم على مبدأ النفعية وقيم الربح والخسارة. ومن أجل توضيح هذه الفكرة يشار إلى التحدي الكبير الذي يفرضه علينا تدمير طبقة الأوزون دون أن نغير طبقة الأوزون أي اهتمام وذلك مع تنامي حجم الخطر الذي يمثله تدمير هذه الطبقة على وجود الإنسانية برمتها.

فالمجتمعات التي تقوم على توجيه العقل الأداتي تواجه خطراً كبيراً. فالعقل الأداتي يؤدي إلى تدمير الحريات والقيم والمعاني الإنسانية بما تشتمل عليه من مشاعر وأحاسيس وعواطف. فتصميم المدن الحديثة على سبيل المثال يفرض على الناس استخدام السيارات الخاصة وذلك عندما يتجه التخطيط إلى تجاهل وسائل النقل العامة وتشكيل المنازل والحدايق ومداخل الأحياء.

فالحرية تعاني من منشار العقل الأداتي الذي يقلم أظافر الحريات العامة والفردية في مختلف الفصول والمواسم. ففي مجتمع يتكون من أفراد تنامت فيه فرديتهم إلى حد العزلة تتضاءل الرغبة

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

عند هؤلاء الأفراد في المشاركة السياسية فالناس يرغبون في ملازمة منازلهم لإرضاء طموحاتهم الخاصة. وهذا ما يجعل الدولة، كما يرى أليكس توكفيل Alexis Tocqueville، تتقانى في تلبية هذه الاحتياجات الخاصة وإرضاء الطموحات الفردية لأفراد المجتمع بما يجعلها أكثر قدرة على الانفراد بالقرارات السياسية والممارسات السياسية من كل نوع.

فانصراف الأفراد إلى حياتهم الخاصة والاستغراق في هذا الجانب يؤدي إلى نمو شكل جديد من أشكال التسلط والطغيان الحداثي المعاصر. وهو تسلط ناعم كما يطلق عليه توكفيل لأنه يختلف عن التسلط التقليدي الذي يقوم على أساس الرعب والإرهاب. فالاستبداد الناعم شكل من الطغيان الذي تحافظ فيه الحكومات على الشكل الديمقراطي أو ما يسمى باللعبة الديمقراطية التي تتمثل في الترشيح والانتخاب والبرلمانية. ولكن هذه اللعبة الديمقراطية تتم في الجوهر تحت مبدأ القوة والحماية. والأفراد في هذه اللعبة يفقدون القدرة على المشاركة الحرة واتخاذ القرار. كما يفقدون القدرة على المراقبة والمشاركة.

والحل الذي يقدمه توكفيل يكون في درجة المشاركة السياسية للأفراد. إذ يجب على الأفراد في هذا المجال الخروج من شرنقة العزلة والانصراف إلى الشأن الخاص إلى المشاركة السياسية في مختلف الأحزاب والتجمعات والفعاليات والممارسات، كي لا تبقى السلطة في دائرة مؤسسات بيروقراطية تمارس القرار السياسي بمفردها. وهذا يعني أن تنامي الحياة الفردية بصورة مستمرة قد يؤدي إلى نمو طغيان جديد هو طغيان الدولة البيروقراطية بوصفها قوة مدمرة للأفراد والمظاهر الديمقراطية في المجتمع.

في المجتمع الذي تغطي فيه الدولة، سيجد الفرد نفسه في وضعية اغترابية جديدة، وفي قلب ما يسمى بالطغيان السياسي الجديد، وهو طغيان يستمد نفع وجوده من تنامي النزعة الفردية إلى حد اللامبالاة السياسية. فالأفراد يمكنهم اليوم وفي مواجهة هذا الطغيان تأكيد نوع من الثقافة السياسية التي تؤكد أهمية المشاركة الحقيقية في الفعل السياسي، لكي لا يتعرض جوهر المواطن بوصفه إنساناً للتهديد والخطر. فبؤس الحداثة يتمثل في ثلاثة مستويات: في أمراض الفردانية،

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

وانتكاسات العقلانية، وغياب المعايير الأخلاقية للمجتمعات الإنسانية كنتاج للعاملين السابقين. وهذه المستويات الأساسية لبؤس الحادثة تفود إلى ضياع الحرية وإلى غرق الإنسان في مستنقع الاغتراب والقهر.

المراجع

1. Alain. B. L. Gerard, Le cadre d'une nouvelle Ethique: Ethique et modernité, ERES, Paris, 1998
2. Alain Laurent, Histoire de l'individualisme, Que sais-je, No 2712, P.U.F., Paris, 1993, P.3.
3. Charles Taylor, Les Malaises de la modernité, Humanite les Edition de CERF, Paris,1999, p.10
C.E.R.F., Paris, 1999, P. 15.
4. Emile Durkheim, De la division du treveil social, 110 Ed., PUF, Paris, 1986.
5. Emile Durkheim, Les formes élémentaires de la vie religieuse, 2°Ed., P.U.F., Paris, 1990.
6. Luis Dollot, Culture individuelle et culture de Mass, Que sais-je, No 1552, P.U.F., Paris, 1990.
7. إميل دوركهايم، التربية والمجتمع، ترجمة علي وطفة، دار معد، دمشق، 1990.
8. حقي إسماعيل بريوتي، فلسفة الليبرالية والاشتراكية في حقوق الإنسان، الوحدة، ضمن المجلس القومي للثقافة العربية: حقوق الإنسان في الوطن العربي، العددان 63-64، ديسمبر/يناير 1990، ص 51-62، ص 52.
9. نزار الحديثي، في مناقشة لورقة سعدون حمادي: الوحدة الثقافية والتعليم ملاحظات أولية في مركز دراسات الوحدة العربية، دور التعليم في الوحدة العربية: بحوث ومناقشات وقائع الندوة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1983

التحريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

التحريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

بحوث مترجمة

التحريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

ميخائيل أوستينوف: نظريات الترجمة*

ترجمة د. محمد أحمد طجو

أستاذ مشارك، كلية اللغات والترجمة

جامعة الملك سعود

لقد أصبح للترجمة في العصر الحديث نظرية خاصة بها. هناك في الواقع عدة نظريات كما في الأدب أو اللسانيات. وسوف أقوم بعرض هذه النظريات عرضاً موضوعاتياً عوضاً عن تناولها الواحدة تلو الأخرى.

أهل المصدر وأهل الهدف

عندما نفتح ترجمة ما نقرأ عادة عبارة "ترجمها عن الإيطالية..."، أو عبارة "ترجمها عن المجرية..." الخ. إننا في الواقع نترجم دائماً من لغة إلى أخرى (يتعلق الأمر أحياناً باللغة نفسها، ولكن في عصور مختلفة: تتطلب أغنية رولان *la Chanson de Roland* ترجمة إلى اللغة الفرنسية الحديثة لمن يجهل الفرنسية القديمة). وهكذا رأينا ظهور عبارات مثل *source language* (SL) التي نقلت إلى الفرنسية بعبارة *langue source* "لغة الأصل" أو بعبارة *langue de départ* (LD) "لغة الانطلاق"، وعبارة *target language* (TL) التي نقلت إلى الفرنسية بعبارة *langue cible* "لغة الهدف" أو بعبارة *langue d'arrivée* (LD) "لغة الوصول".

* هذه ترجمة للفصل الثالث من كتاب *La traduction* الصادر عن المطابع الجامعية الفرنسية PUF في عام 2003.

إننا نرى في المؤلفات المتعلقة بالترجمة مخططات شديدة التعقيد، تنجم كلها في الواقع عن الصيغة الأصلية:

لغة الانطلاق ← لغة الوصول

يرمز السهم إلى النقل اللغوي الذي تشكله الترجمة، والذي يؤكد أصل الكلمة ("traduire" (trans) "conduire de l'autre côté", "conduire" (ducere) =. ولذلك لم يختف التقابل بين اللفظ والمعنى، ولكنه يميل إلى التمرکز حول مسألة اللغة: أهل المصدر من جهة وأهل الهدف من جهة أخرى¹. يفضل الطرف الأول "النص الأصل" فيما يفضل الطرف الثاني "النص الهدف" (أو ثقافة الأصل وثقافة الهدف، الخ). وحينما تصل وجهة نظر الطرف الأول إلى حدها الأقصى، فإنها تهدف إلى الوضوح المطلق: "أرى أن الترجمة تقوم على إنتاج نص واضح لدرجة أنه يبدو نصاً غير مترجم"².

إن كل تدخل لأحد تراكيب لغة الانطلاق يعتبر رعونة، لا بل عدم إتقان للغة الوصول. وينبغي على المدرس أن يدرّب طلابه شيئاً فشيئاً على محو آثار "تداخل" اللغة الأم (لغة الانطلاق) مع اللغة الأجنبية (لغة الوصول). ونتعرف هنا على إشكالية درايدن Dryden حيث تكمن أناقة الترجمات في التقيد بحسن التصرف بالمعنى الذي كان يقصده فوجلا Vaugelas. ويتساءل من ليس له إلمام بالموضوع: كيف نتصرف بخلاف ذلك؟

ومع ذلك، قد نغامر إذا ما ادعينا أن شاتوبريان Chateaubriand أو غوته Goethe، اللذين يوصيان بطريقة أخرى في الترجمة، لا يتقنان اللغة إتقاناً كافياً، وهذا دليل على أن التقابل بين أهل المصدر وأهل الهدف يبقى غير كاف على الرغم من ملاءمته.

ولذلك، ليس من الضروري التسليم أنه لا يوجد سوى شكل واحد للترجمة الحقيقية. ففي نص

¹ Voir Jean René Ladmiral, *Sourciers et ciblites*, *Revue d'esthétique*, N° 12, Toulouse, Privat, 1986, P; 33-42.

² Cité par Lawrence Venuti, *op. cit.*, P. 1

شهير بعنوان "عن مختلف منهجيات الترجمة" ويعود إلى عام 1813، يميز فريدريك شلايرماشر Friedrich Schleiermacher بين المنهجيتين التاليتين: "إما أن يدع المترجم الكاتب وشأنه ما أمكن ويجعل القارئ يتوجه للقائه، وإما أن يدع القارئ وشأنه ما أمكن ويجعله يتوجه للقائه"¹. إن طبيعة النص الذي نريد ترجمته هي التي تجعلنا من أهل المصدر أو من أهل الهدف.

زد على ذلك أن مفهوم الحركة هو الذي يهم، باعتبار أن الترجمة عملية ذات طبيعة ديناميكية وليست ساكنة. ففي تقديمه كتاب اسخيلئوس المعنون /غاممنون (ترجمة نشرت في عام 1916، واستغرقت 15 عاما) يقترح ويلهلم فون هامبولت Wilhelem von Humboldt التمييز الرئيس التالي: "ما دمنا لا نشعر بالغربة وإنما بالغريب، فإن الترجمة قد حققت هدفها السامي، ولكن حينما تظهر الغربة لذاتها، لا بل وتبهم حتى الغريب، فإن المترجم يوحى بأنه ليس على مستوى النص الأصل"². إن ذلك يعني السير بعكس الترجمات على الطريقة الفرنسية السائدة، ولكن مفهوماً كهذا يلتقي بها في وضع حد، وهو حد ربما يقوم على "رفض غربة الغريب رفضاً جذرياً مثل رفض عرقية³ ethnocentrisme الكلاسيكية الفرنسية"⁴.

وكان هولدرلين Hölderlin الوحيد الذي تجاوزها من الرومانسيين مستبقاً ظهور إزرا بوند Ezra Pound⁵. إن حجج أهل الهدف لا تخلو مع ذلك من القوة. وأهمها التكافؤ: يميز يوجين نايدا Eugene E. Nida في كتابه نحو علم للترجمة *Toward a Science of Translation* (1964)⁶ بين نوعين من التكافؤ: التكافؤ الشكلي الذي يقوم على نقل شكل النص الأصل نقلاً آلياً، والتكافؤ الديناميكي الذي يحول "النص الأصل" بحيث يحدث التأثير نفسه في "اللغة

¹ Traduit Par Antoine Berman, in *Les tours de Babel*, op. cit., P. 303.

² Wilhelem von Humboldt, *Sur le caractère national des langues et autres écrits sur le langage*, éd. Trad. Denis Thourad, Paris, Le Seuil, 2000, P, 39

³ العرقية نزعة في الإنسان لإعلاء شأن قومه وبلده (المترجم)

⁴ Antoine Berman, *L'épreuve de l'étranger*, op. cit. P. 248.

⁵ Voir Antoine Berman, Hölderlin, ou la traduction comme manifestation, in *Les tours de Babel*, op. cit, P. 93-109.

⁶ Eugene E. Nida, *Toward a Science of Translation*, Leyede, Brill, 1964.

الهدف". ونايدا مختص في ترجمة التوراة. فعندما واجه حضارات مختلفة عن حضارتنا، تغلبت حجة تكافؤ التأثير على أي اعتبار: كيف يمكن أن نوضح رمز القمح الجيد والزؤان لهنود الصحراء الذين يرون أنه يجب طمر كل حبة وحمايتها بعناية وعدم بذرها بلا ترو؟ إن الاكتفاء بالحرفية يعني المجازفة بعوج distorsion جذري في المعنى: في هكذا حضارة، يعد البذار في حد ذاته فعلا شاذًا، ولا يمكن بالتالي برأيه استخدام الكلمات نفسها.

إن "التكافؤ الديناميكي" مفهوم خاص بنايدا، وليس له معنى إلا عندما يتم ربطه بنظريته الخاصة بالترجمة. وبالمقابل، يمثل تكافؤ التأثير مفهومًا أساسيًا يتجاوز الخلاف بين أهل الهدف وأهل المصدر: ينبغي وضع تكافؤ التأثير في إطار أشمل، مبتدئين بانعكاساته لسانية الطابع.

اللسانيات والترجمة

ساهمت اللسانيات في نظرية الترجمة مساهمة هامة، كما حصل في مجال الدراسات الأدبية (تأثير يلمسليف Hjelmslev في رولان بارت Roland Barthes مثلا) أو في العلوم الإنسانية كعلم السلاطات (ليفي ستروس Lévi-Strauss على سبيل المثال)، أو التحليل النفسي (لاكان Lacan واللاشعور الذي يشبه في بنيته اللغة). وتمثل الترجمة بالنسبة إلى اللسانيين أهمية أساسية، كما أشار إلى ذلك رومان ياكوبسون Roman Jakobson: "التكافؤ في الاختلاف هو المسألة الأساسية في اللغة وموضوع اللسانيات الوحيد"¹.

يرى بعضهم أن سيادة اللسانيات أمر واضح: أصبحت الترجمة مجالًا يتعلق باللسانيات العامة. فهكذا ينبغي فهم عنوان الكتاب الذي أصدره كاتفورد Catford في عام 1965 A *Linguistic Theory of Translation* (نظرية لسانية في الترجمة)². المنطق الذي يتبعه كاتفورد بسيط: الترجمة مسألة لغة، واللسانيات تدرس اللغة، إذاً الترجمة موضوع اللسانيات. ومن هنا جاء

¹ (1) Roman Jakobson, Aspects linguistiques de la traduction, op. cit. P. 80.

² John Catford, A *linguistics Theory of Translation*, Londres, Oxford University Press, 1965.

عنوان الكتاب الفرعي *An Essay in Applied Linguistics*: (دراسة في اللسانيات التطبيقية). الكلام على اللسانيات يعني الكلام على علم، إذ إن عنوان كتاب نايدا "حو علم للترجمة" *Toward a Science of Translation* (1964) يندرج في هذا المنظور. لكن هكذا علم لم يكن بعد موجودا، ومن هنا جاءت عناوين مثل مدخل إلى نظرية الترجمة الذي نشر في عام 1958 للروسي أ. فيدروف¹ A. Fedorov. ويعتمد كل كاتب على نظرية لسانية خاصة به: يعتمد نايدا على النحو التوليدي-التحويلي لدى نعوم تشومسكي Noam Chomsky، وكاتفورد على أعمال فيرث J.R. Firth وهاليداي Haliday، إلخ.

ومع ذلك، سرعان ما أنكر المترجمون بحدة تلك السيادة التي منحت للسانيات، وخصوصا المترجمون الأدبيون. ويعد ادمون كيري Edmond Cary الناطق باسمهم. يقول كيري في كتابه كيف ينبغي أن نترجم؟، الذي صدر في عام 1958²: "ليست الترجمة الأدبية عملية لسانية. إنها عملية أدبية". والواقع أن فيني وداربلنت J.-P. Vinay et J. Darbelnet يؤكدان في كتابهما *الأسلوبية المقارنة للفرنسية والإنجليزية* "أننا غالبا ما نقرأ لمترجمين مجربين أن الترجمة فن. إن هذه العبارة التي تتطوي على جزء من الحقيقة، تهدف مع ذلك إلى تحديد طبيعة موضوعنا تحديدا تعسفيا. فالترجمة في الواقع نسق دقيق، له تقنياته ومشكلاته الخاصة"³.

ويؤلف جورج مونان Georges Mounin بين هاتين النظريتين في كتابه *المشكلات النظرية في الترجمة* (1963) بقوله: "يمكن القول، إذا ما تمسكنا بالأمر، إن الترجمة تبقى فنا كالطب. ولكنه فن يقوم على علم"⁴. الترجمة عملية لسانية ولكنها أيضا عملية أدبية.

ويعود الفضل إلى اللسانيات في ظهور التعريفات الأولى المفصلة تفصيلا كافيا لعمليات

¹ A. V; Fedrov, *Vvedenie v teorju perevodova*, Moscou, Institut des littératures en langue étrangère, 1958.

² Edmond Cary, *Comment faut-il traduire?* (12958), Lille PUL, 1985, P. 8..

³ J.P. Vinay, J. Darbelnet, *Stylistique comparée du français et de l'anglais*, op. cit., P. 23

⁴ Georges Mounin, *Problèmes théoriques de la traduction*, Paris, Gallimard, 1963, P.16-17.

الترجمة التي يلجأ المترجمون إليها، إذ إن معظم الكتابات أو الدراسات السابقة كانت تعرض عن ذلك. عندما قال شيشرون Cicéron إنه ينبغي ترجمة المعنى وليس الكلمات فإنه لم يسترسل في الموضوع. ولم يشرح درايدن Dryden كيف ننقل من مبدأ قاعدة هوراس Horace التي تقول "Nec verbum verbo curabis reddere, fidus interpres" إلى الترجمة الأنثوية: "Nor word for word too faithfully translate"، أي لا تترجم أبدا كلمة بكلمة. ولم يدخل كل من غوته وهامبولت في بحث عميق للترجمات التي نظروا لها.

لقد تغير الوضع في القرن العشرين تغيرا جذريا: زود ازدهار اللسانيات منطري الترجمة بأدوات تحليل فعالة، وظهرت كتب تعليم الترجمة الأولى التي تتجاوز مرحلة التعريب. وأول هذه الكتب الأسلوبية المقارنة للفرنسية والألمانية بقلم ألفرد مالبلان Alfred Malblanc (الطبعة الأولى في عام 1944)¹، وهو كتاب يرتكز على أعمال شارل بالي Charles Bailly، تلميذ فردينان دو سوسير Ferdinand de Saussure. وقد استوحى فيني وداريلنت في كتابهما الأسلوبية المقارنة للفرنسية والإنجليزية من كتاب مالبلان. والمنهج المتبع منهج استقرائي: ليست النظرية كافية وينبغي الانطلاق من الوقائع.

يتم الانطلاق من ترجمات نفذا مترجمون مهنيون. تقارن هذه الترجمات مع الأصول لدراسة التغييرات التي تم إدخالها. وتصبح نظرية الترجمة تفسيرية بعد أن كانت وصفية باعتبار أن أهم التطبيقات هو المجال التعليمي على المستوى الجامعي. ومهما كانت اللغات المتقابلة، فإنه لا يمكن إنكار مساهمات اللسانيات في الترجمة.

¹ Alfred Malblanc, *Stylistique comparée du français et de l'allemand* (1944), Paris, Didier, 1968.

شعرية الترجمة

يؤكد جورج شتاينر Georges Steiner في كتابه *بعد بابل* *Après Babel*، وهو كتاب أساسي عن الترجمة صدر في عام 1975، أن الترجمة (لاسيما ترجمة النصوص الأدبية) لا تختزل إلى البعد اللساني فقط. فمقارنة العنوان الفرعي الإنجليزي (1975) وترجمته الفرنسية (1978) تلخص إشكالية تحتية *After Babel, Aspects of Language and Translation*. وقد نقلت لوسيين لوترينجر Lucienne Lotringer العنوان الإنجليزي إلى الفرنسية على الشكل التالي: *Après Babel. Une poétique du dire et de la traduction*. أي: *بعد بابل. شعرية القول والترجمة*.

يستهل شتاينر كتابه بمثل من "Dichterisch Wohnet der Mensch" (1954) لمارتين هيدجر Martin Heidegger يقول: "يخطئ الإنسان عندما يعتقد أنه يسيطر على اللغة، في حين أنها هي التي تسيطر عليه"، ثم مثلاً من "Las versiones Hoéricas" للكاتب خورخي لويس بورخيس Luis Borges (1957) يقول: "لا يمكن لأي مشكلة أن تكون ملازمة للأدب ولغموضها المتواضع ملازمة المشكلة التي تعرضها الترجمة"، ومثلاً ثالثاً يقول: "إن نظرية الترجمة ليست إذاً لسانيات تطبيقية. إنها حقل جديد في نظرية الأدب وممارسته. وتقوم أهميتها المعرفية على مساهمتها في ممارسة نظرية للاتحاد بين دال ومدلول خاص بالممارسة الاجتماعية التي تمثلها الكتابة". والمثل الأخير من كتاب هام لهنري ميشونيك Henri Meschonnic بعنوان *من أجل الشعرية 1، 2* الذي يفرض بذلك وجود شعرية للترجمة.

أما المثل الأول فيحيل إلى إرث الرومانسيين الألمان، لاسيما هامبولت الذي يرى فيه هيدجر رائداً ليس في اللسانيات فحسب، وإنما أيضاً في فقه اللغة. فقد وضع التأمل في الترجمة في أعلى مستوى، وهو أمر لا يجري بسهولة لدى الجميع: يرى بعضهم أن نظرية الترجمة مجال

¹ Henri Meschonnic, *Pour la poétique II. Epistémologie de l'écriture. Poétique de la traduction*, Paris, Gallimard, 1973.

ثانوي، إذ يركز المثل الثاني على تلازم الكتابة والترجمة، وهو تواز غالبا ما تم نكرانه. وتميل الرؤية السائدة إلى تفحص الترجمة من زاوية ما يطلق عليه أنطوان بيرمان Antoine Berman اسم "النقصان": كل نص مترجم ناقص بطبيعته. والنقص الرئيس هو "ثانويته": "هذا الاتهام القديم جدا، بأنه ليس الأصل، وأنه أقل من الأصل (يحدث الانتقال من تأكيد لآخر بسهولة)، كان جرح النفس الترجمة وأصل كل الذنوب". وقد كان جورج موان أول من أتى بهذه الفكرة: "تتلخص كل الحجج ضد الترجمة في حجة واحدة: إنها ليست الأصل"¹. وينجم عن ذلك أنه إذا كان المقصود بالترجمة انتقال الأصل من دون أي تعديل إلى لغة أخرى، فإنه ينبغي التسليم باستحالة الترجمة، وهو تناقض أطلق عليه جان رونييه لادميرال اسم "إشكالية الاعتراض الاستباقي"، وأظهر بطلانه².

ويذهب المثل الثالث أبعد من ذلك فيلغي ضمنا الثنائية التقليدية المتمثلة في الأصل والترجمة: "إذا كانت ترجمة نص مبنية كنص، فإنها تعمل كنص، وهي كتابة لقراءة - كتابة، ومغامرة تاريخية لشخص ما، وليست شفافية transparence بالنسبة إلى النص الأصل"³ ولا يختلف هنري ميشونيك عن أنطوان بيرمان، فهو يبني نظريته في الترجمة على تيار فكري يبدأ بهامبولت وينتهي بهيجر مرورا بوالتر بنيامين Walter benjamin ومقدمته الشهيرة (1923) لترجمة لشارل بودلير Charles Baudelaire عنوانها "مهمة المترجم" (لوحات باريسية)⁴. وبوصفه مختصا بالتورا مثل يوجين نايدا، يدحض ميشونيك من دون مجاملة نظريات هذا الأخير: "هذا ما يدين الترجمة (لغة الوصول) التي يمثلها "التكافؤ الديناميكي" الذي يستبدل بـ "لا تجعل يدك اليسرى تعرف ما تفعله يدك اليمنى" "اعمل بحيث لا يعرف حتى أقرب أصدقائك أي شيء عن عملك". إن كل ما يمت إلى النص يرجع هنا إلى ملفوظ، وكل ما هو متعدد المعنى

¹ Georges Mounin, *Les belles Infidèles*, op. cit. p. 13.

² Voir Jean-René Ladmiral, *Théorèmes pour la traduction*, Paris Payot, 1979, P; 85 et s

³ Henri Meschonnic, *Pour la poétique II*, op. cit. P. 307

⁴ Walter benjamin, la tâche du traducteur, in *Mythe et violence*, trad. M. de Gandillac, Paris, Denöl, 1971, (Heidelberg, 1923).

التعريب..... العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

إلى أحادي المعنى. هكذا يترجم شكسبير Shakespeare إلى الإنجليزية المعاصرة، ونحصل على الملفوظ وليس على شكسبير. إن الترجمة شكل من أشكال الكتابة: "تعمل" الترجمة اللاتينية للتوراة *la Vulgate* وترجمة الملك جيمس *King James Version* كأثرين أدبيين¹.

ويتناول هنري ميشونيك التمييز بين "أهل المصدر" و"أهل الهدف" ليلغيه، فهو يرى أن هذا التقابل لا معنى له: "لا تعرّف الترجمة بأنها انتقال من نص الانطلاق إلى أدب الهدف أو بالعكس انتقال قارئ الهدف إلى نص الانطلاق (حركة مضاعفة تقوم على ثنائية المعنى والشكل التي تميز تجريبيا كل الترجمات (وإنما بأنها عمل في اللغة، وإزاحة)². وتلتقي وجهة النظر هذه مع وجهة نظر غوته. فترجمة أهل المصدر الصرفة أو الحرفية تقود إلى النسخ *calque*: "النسخ الشكلي الذي يقود إلى العوج اللساني"، وإلى الأيدولوجيا المزيّنة للكلمة. أما ترجمة أهل الهدف فإنها تجعل الأثر ثانويا وتدعنا نعتقد أنه كتب في لغة الترجمة فتخلق بذلك وهم "الطبيعي" و"الشفافية" الذي يميز الترجمات "الأنيقة"³، وبعبارة أخرى، الترجمات التي تلتزم بالموقف الوسط الذي عرفه درايدن، والتي تلغي العلاقة بين اللغتين - الثقافتين المتقابلتين. إن هكذا مفاهيم قد تبدو جذابة فكريا، ولكنها مفاهيم حكم عليها أن تبقى نظرية كليا. وهذا خطأ، كما تبين ذلك مثلا ترجمات دستوفسكي Dostoïevski المختلفة في فرنسا في عام 1968. تبنى أحد المترجمين، ويدعى مارك شابيرو Marc Chapiro، وجهة نظر أهل الهدف: "يطرح بطئ أسلوب دوستوفسكي الأصلي مشكلة يتعذر حلها. وقد كان من المستحيل تقليد جملة الكثيفة *broussailleuses* على الرغم من غنى محتواها"⁴. ما العمل عندما تكون الجملة طويلة، وبطيئة، وملبنة بالتكرار، وخالية كليا من التناغم"⁵؟ يقوم الحل الأول، حرصا على الوضوح والأناقة، على حذف هذه الرعونات. أما الحل الثاني فيقوم على الإبقاء عليها، وهو ما فعله نابوكوف

¹ Henri Meschonnic, *Pour la poétique II*, op. cit., p. 306

² Henri Meschonnic, *Pour la poétique*, op. cit., p. 313-314.

³ (2) *Ibid.*, P. 449.

⁴ Cité par Henri Meschonnic, *Ibid.* P. 317

⁵ *Ibid.*, P. 316.

Nabokov لترجمة *بطل من عصرنا* (Lermontov) إلى الإنجليزية: "أولا، ينبغي التخلص نهائيا من الفكرة التقليدية القائلة إن الترجمة يجب أن تقرأ بسهولة"، وأن لا تعطي الانطباع بأنها ترجمة [...] ينبغي أن يعرف القارئ الإنجليزي أن أسلوب كتابات ليرمنتوف النثرية يخلو من الأناقة، وأن تشبيهاته واستعاراته في غاية الابتذال، وأن نعوته رواسم يعوضها عند الحاجة استخدامها الخاطئ، وأن التكرار في المقاطع الوصفية يغضب الصفاي. وينبغي أن ينقل المترجم كل ذلك بأمانة، على الرغم من الرغبة الكبيرة في سد الثغرات وحذف الحشو"¹. إن "التكرار" في حالة دوستوفسكي يشكل جزءا من أسلوبه الخارج عن معايير الكتابة الأنيقة التي تميز عصره. وقد أعاد أندريه ماركوفيتش André Markowicz ترجمة دوستوفسكي إلى الفرنسية وفق هذا المنظور، وصدرت الترجمة عن دار بابل للنشر.

إن الثنائيات التقليدية التي تقابل بين الحرفية والجوهر، والشكل والمضمون، والأسلوب والمعنى، والأصل والترجمة، والمؤلف والمترجم تحيل في الواقع إلى رؤية ثنائية. لا يضاف الشكل إلى المعنى: إنهما غير قابلين للانفصال². إن شتاينر يجعل من بوند Pound رائدا لم يكتشف بعد³. وهناك في الواقع نظريات أخرى تؤيد الممارسة التقليدية التي كان يرفضها درايدن، لاسيما في مجال الترجمة الشعرية. وينطبق ذلك على أوكتايفيو باث⁴ Octavio Paz أو إيفيم إتكند⁵ Efim Etkind الذي يرى أن الترجمة - الإعادة هي الأفضل لأنها "تعيد تكوين المجموع، وتحافظ في الوقت نفسه على بنية الأصل"⁶. وعند ذلك، نكون إلى جانب الترجمة بوصفها إبدالا شعريا transposition poétique تحدث عنه والتر بنيامين في "مهمة المترجم".

¹ Vladimir Nabokov, Translator's Foreword, Mikhail Lermontov. *A Hero of our Time* (1958), Londres, Everyman, 1992, p. 7.

² Voir Henri Meschonnic, *op. cit.* p. 311 et Paul Ricoeur, *La métaphore vive*, Paris, Le seuil, 1975.

³ Voir Henri Meschonnic, *op.cit.*, p. 323.

⁴ Voir Octavio Paz, *Traduótion: literatura y literalidad*, Barcelone, Tusquets, 1971.

⁵ Voir Efim Etkind, *Un art en crise. Essai de traduction poétique*, Lausanne, L'Age d'homme, 1982.

⁶ Efim Etkind, cité par Inès Oseki-Dépré, *op. cit.*, p. 89.

هل يعني هذا أن علم اللسانيات ونظرية الترجمة متعارضان؟ الأول بوصفه ثنائياً، والثاني بوصفه غير ثنائي. يمكن القول، على العكس من ذلك، إنهما يكملان بعضهما بعضاً بالتبادل. كان ياكوبسون يدرس ترجمة الشعر من زاوية لسانية بعبارات مشابهة: "النقل المبدع هو الشيء الوحيد الممكن فقط".¹

نقد الترجمات

إذا كانت كمية الترجمات المنشورة في الولايات المتحدة وبريطانيا تصنف في غالبيتها العظمى من إنتاج "أهل المصدر" وعرقية (كما في مرحلة نابوكوف) كما يوضح ذلك لورنس فينوتي Lawrence Venuti في كتاب غياب المترجم *The Translator's Invisibility* ، فإن الاهتمام بالدراسات المتعلقة بالترجمة لاقى منذ الثمانينيات في العالم الأنجلو سكسوني شغفا بحيث أصبح نسقاً مستقلاً بذاته، كما يشير إلى ذلك سوزان باسنت Suzan Bassnett وأندريه لوفيفر André Lefevre: "إن تطور علم الترجمة بوصفه نسقاً مستقلاً نجاح هام في الثمانينيات".² ويكفي للاقتناع بذلك البحث عن "دراسات ترجمة"³ في محركات البحث على الأنترنت، والحصول على ما لا يقل عن 24000 مدخل. ظهر مصطلح "الترجمة" الذي ابتدعه الكندي بريان هاريس Brian Harris في عام 1972. ويتفرع عنه 2660 مدخلا. وأول مدخل هو الرابطة الكندية للترجمة في جامعة أوتاوا: تتمتع كندا بصفتها دولة ثنائية اللغة بخبرة طويلة إن على صعيد الممارسة أو على صعيد النظرية: فيني وداريلنت كنديان. أما المداخل الأخرى فتغطي فرنسا والدول الفرنكوفونية الأخرى. وإذا ما تابعت البحث تحت العناوين traductologia و traduttologia و übersetzungswissenschaft، الخ، فإننا سوف نلاحظ توسع مجال الدراسة الذي نما لتوه، ويشمل ذلك فرنسا.

¹ Roman Jakobson, Aspects linguistiques de la traduction, op.cit., p. 86.

² Préface, Lawrence Venuti, *The Translator's Invisibility*, op. cit., p. VII.

³ Voir Suzan Basnett, *Translation Studies*, Londres, Menthén, 1980.

لا وجود لنظرية للترجمة من دون نظرية للترجمات، وإلا فإننا ننظر في الفراغ. فعلى العكس من اليوم، كان الأدب العالمي *Weltliteratur* في عهد غوته يكتب بعدد محدود من اللغات. وحتى إذا ما توقفنا عند القرن التاسع عشر، فإن الحيز الذي تشغله الترجمات هائل. كيف يمكن ترتيب مجموع كهذا؟ إن ذلك ممكن بفضل مفاهيم نظرية مثل "نقد الترجمات" الذي اقترحه أنطوان بيرمان في كتاب *من أجل نقد الترجمات: جون دون John Donne*. ينبغي ألا تكون الترجمات مادة نقد سلبي فقط (يتلخص غالبا في القول المأثور "المترجم خائن" وفي حساب الريح والخسارة مقارنة بالنص الأصل)، وإنما أيضا مادة نقد إيجابي: "ألا يتمثل هدف الترجمة ليس فقط في نقل الأصل وفي تقديم نسخة عنه، وبالتالي في تأكيد أنها ثانوية، وإنما أيضا في أن تكون أثرا، وأثرا بقوة القانون؟. تكمن المفارقة في أن الهدف الثاني، أي بلوغ الاستقلال واستمرارية الأثر لا يناقض الهدف الأول بل يدعمه"¹. إن الترجمات روايات كاملة العضوية عن الأثر الذي تستمد منه، وليس الأصل سوى رواية أصلية بين روايات أخرى، ذلك هو الرأي الذي عرضه بورخيس في روايات هومبروس "Las versiones Homéricas". ويتكلم ميشونيك على "ترجمة - نص: مثلما هنالك نقد للنصوص، لابد من وجود نقد للترجمات، إذ لا ينفصل أحدهما عن الآخر".

إن الترجمة - النص لا تظهر من العدم *ex nihilo*، إنها تفترض حضور مترجم تحدده ثلاثة عوامل: موقفه الترجمي، أي الطريقة التي يتصور بها النشاط الترجمي، ومشروعه الترجمي الذي يحدد الطريقة التي يترجم بها، وأخيرا "أفق المترجم". وقد تمت استعارة هذا المصطلح من التأويلية المعاصرة التي تؤدي إلى غادامر H. G. Gadamar وريكور Paul Ricoeur انطلاقا من هوسرل Husserl وهيدجر Heidgger، مروراً بالتأويلية الأدبية التي يمثلها يابوس H. R. Jausse: "يمكن تعريف الأفق في مقارنة أولى بأنه مجموع الثوابت اللغوية والأدبية والثقافية والتاريخية التي تحدد شعور مترجم وفعله وتفكيره"². ولا يمكن لتحليل الترجمات أن يكون كاملا فعلا إلا عندما يتموضع على مستوى هذه المستويات الثلاثة، إذ إن المستوى الثالث يشمل المستويين الأوليين، وتبدو

¹ Antoine Berman, Pour une critique des traductions: John Donne, op. cit., p. 42.

² Ibid., p. 79.

المقدمات والتعليقات والمقالات والحوارات والمعطيات النصية الملحقة الأخرى جوهرية للتحليل. فالمترجم ينمحي تقريبا حسب موقفه الترجمي الذي يتبناه (موقف القديس جيروم saint Jérôme في ترجمة التوراة يختلف عن موقف هودار دولاموت Houdar de la Motte في ترجمة هوميروس)، الأمر الذي يوجه "مشروعه الترجمي" (التزام الحرفية في حالة ما، وإنتاج " نص خداع" في أخرى)، إذ يرتبط هذان البعدان بـ"أفق المترجم": تختلف طريقة الترجمة في عصر النهضة عن طريقة الترجمة في القرن التاسع عشر، ويمكن أن توجد عدة طرق للترجمة في الحقبة نفسها (انظر الفصل السابق)، فالأفق ليس بالضرورة موحدًا.

إن هكذا نظريات لا تطبق إلا على الحضارة الغربية أو اليهودية - النصرانية: هذه حالة الصين على سبيل المثال. جرى نقاش مهم في عام 1955 بخصوص الترجمات الصينية لرواية ستاندال Stendhal /الأحمر والأسود (أكثر من 15 ترجمة في غضون بضعة سنوات)، درسها يوان كزياوي Yuan Xiaoyi (جامعة نانجينغ Nanjing) في مقاله الموسوم بـ "حوار القرن: الأمانة أو إعادة الإبداع؟"¹ يقول كزو جون Xu Jun في مقال آخر نشر في مجلة ميتا Meta (التي تصدرها جامعة مونتريال Montréal) تحت عنوان "تأملات في المشكلات الرئيسية في الترجمة"²: "إن تاريخ الترجمة في الصين لا يتبع التسلسل التاريخي نفسه في فرنسا. لكن الأصوات المنادية بالترجمة "الحرّة" و"المباشرة" (كمترادف للترجمة الحرفية) موجودة أيضا في فرنسا في كل العصور"³. يقول جون، "يذكر الحوار (على الصعيد القومي) بالحوار الذي رافق ترجمة ماركوفيتش Markowicz الجديدة كلياً لدستوفسكي⁴ Destoïvski": من جهة، هناك الترجمات التي تنزع إلى تطبيع النص في اللغة - الثقافة الصينية والتي تتسم بالأناقة، والترجمات الغربية التي لا تسعى إلى تطبيع النص في اللغة - الثقافة المستقبلية. يقول جون أيضا: "إن إعادة

¹ Yuan Xiaoyi, Débat du siècle: fidélité ou recreation?, in revue Meta, 1, 1999.

² Xu Jun, Réflexion sur les problèmes fondamentaux de la traduction, revue Meta, 1, 1999.

³ Ibid., p. 47.

⁴ Ibid., p. 50.

التعريب..... العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

الترجمة ليست ظاهرة خاصة بالصين، وإنما ظاهرة كونية"¹. وهكذا تكتسب نظرية الترجمة مزيدا من الأهمية.

¹ Ibid., p; 51.

من أنشطة المركز

خلال النصف الأول من العام 2005

تابع المركز خلال هذه المدة تنفيذ مشروعاته وبرامجه المقررة، وفي مقدمتها ترجمة الكتب والمراجع في مجالات العلوم الأساسية والبيئية والطبية والهندسية المختلفة، حيث أصدر الكتب الآتية:

1. طب الأسنان الوقائي الأولي

كما يجري العمل حالياً على مراجعة الكتب الآتية وتدقيقها تمهيداً لدفعها للطبع:

1. الوجيز في الفيضانات

2. الفارماكولوجيا السريرية

3. علم الجنين لـ لانغمان

4. طب النساء، النسائيات

6. طب التوليد

7. المعلومات الطبية من الانترنت

8. سلسلة كتيبات حول التدبير العلاجي للسُّل (لصالح مكتب منظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط - القاهرة)

9. سلسلة كتيبات الصحة النفسية (لصالح مكتب منظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط - القاهرة)

10. سلسلة من الكتب الخاصة بالأمراض حيوانية المصدر (لصالح مكتب منظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط - القاهرة)

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

تُعد الكتب المشار إليها أعلاه من المراجع المهمة والمعروفة عالمياً على نطاق واسع في الأوساط الجامعية، كل في مجال تخصصه.

وفي إطار دعم الجامعات والهيئات العربية في مجال التعريب، قام المركز بتلبية طلبات الجامعات العربية والهيئات التالية وتزويدها بنسخ كاملة من جميع إصدارات المركز:

1 - وزارة التربية السورية

2 - جامعة شندي في السودان

أنشطة المركز خارج البرامج:

1. شارك المركز العربي للتعريب بمعرض أكاديميا للكتاب الذي أُقيم برعاية وزارة التعليم العالي في سورية ومشاركة جامعة الدول العربية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - وممثلها المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق في دمشق خلال الفترة من 1-3 آذار/مارس/2005. حيث تم عرض مطبوعات المركز وأجهزة المنظمة.

2. شارك المركز العربي للتعريب بندوة عمداء كليات الطب الثانية لوضع آلية لكيفية الاستفادة من مشروع المناهج الطبية العربية التي أقامها مركز تعريب العلوم الصحية - أكمل - الكويت في مقر جامعة الدول العربية - القاهرة بتاريخ 18/أبريل/نيسان/2005. وقد ألقى مدير المركز محاضرة حول تجربة المركز العربي في تعريب العلوم الصحية، وقد تم عرض بعض مطبوعات المركز المتعلقة بالمجال الصحي.

3. شارك المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق بالاجتماع الإقليمي الثالث لشبكة تعريب العلوم الصحية (أحسن - 3) الذي عُقد بدعوة من مكتب منظمة الصحة العالمية الإقليمي بالقاهرة في الفترة من 6-7/حزيران/يونيو/2005. وقدم مدير المركز مداخلات عديدة حول تجربة إعداد المعجم الطبي الموحد المفسر وأثر ذلك على تعريب العلوم الطبية.

التعريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

وقد قام مدير المركز على هامش هذه الندوة بالتعريف بأنشطة المركز العربي في مجال تعريب المنهاج الطبي لكليات الطب في الدول العربية، وتم التباحث مع معظم عمداء كليات الطب لأجل الاستفادة من تجربة المركز في التعريب واستعداده لتنفيذ كامل الترجمات الخاصة في هذا المجال.

4. تمت مخاطبة الجمعيات العلمية المتمثلة في إطار اتحاد الجامعات العربية لتنفيذ اتفاقيات علمية مشتركة في تعريب التعليم العالي. وفي هذا المجال تم الاتفاق مع الجمعية العلمية لكليات التربية في الوطن العربي لترجمة أحد المراجع التربوية.

5. يتم على نحو متواصل في المركز العربي للتعريب تنفيذ وترجمة مراجع علمية في المجال الطبي لصالح منظمة الصحة العالمية، وهذه المراجع هي:

1. سلسلة من الكتيبات الخاصة بالتدبير العلاجي للسُّل.

2. سلسلة من الكتيبات الخاصة بالصحة النفسية.

3. سلسلة من الكتب الخاصة بالأمراض حيوانية المصدر.

6. تم الاتفاق مع الهيئة العليا للتعريب في السودان بأن يقوم المركز العربي بترجمة عدة كتب طبية مرجعية اقترحتها الجامعات السودانية ، ويقوم المركز حالياً بتنفيذ عمليات الترجمة.

7. شارك المركز العربي للتعريب بمعرض School Ex2005 الذي أقيم برعاية السيد وزير التربية السوري الأستاذ الدكتور علي سعد خلال الفترة من 17-19 تموز 2005 حيث تم عرض مطبوعات المركز والمنظمة.

التحريب العدد الثامن والعشرون - حزيران / يونيو 2005

قواعد النشر في المجلة

تنشر المجلة المواد المتعلقة بأحد مجالات اهتمامها من دراسات وبحوث وترجمات وفق القواعد التالية:

- 1 . ألا يكون البحث أو المادة المقدمة للنشر في مجلة التعريب قد سبق لهما أن نشرا أو قدما للنشر في أي من أوعية النشر، وعلى الباحث أن يرفق ببحثه تصريحاً خطياً يفيد بأنه لم يسبق له أن نشر أو أرسل بحثه للنشر لدى أي جهة أخرى.
- 2 . أن تتسم المادة المقدمة للنشر بالمنهجية العلمية في العرض والمعالجة والاستنباط، وأن تتميز بالمتانة في الأسلوب والدقة في الإسناد والتوثيق.
- 3 . ترسل المادة المراد نشرها مرقونة على الحاسب باستخدام برنامج مايكروسوفت word بمسافات مزدوجة بين الأسطر، وترسل نسخة الكترونية (قرص مرن أو قرص مكتنز CD) أو بواسطة البريد الإلكتروني على عنوان المركز acatap@net.sy، ويراعى في حجمها ألا يتجاوز عدد صفحاتها /20 صفحة/ من الحجم العادي (6000 كلمة).
- 4 . تتلقى المجلة المواد المقدمة للنشر من الرعايا العرب من داخل الوطن العربي ومن خارجه مكتوبة باللغة العربية على أن ترفق المادة بملخص واف ودقيق لها بحدود 20/1 من عدد صفحاتها.
- 5 . ترفق المادة المقدمة للنشر بنبذة عن سيرة المؤلف متضمنة اسمه بالعربية وبالحروف اللاتينية مع عنوانه البريدي الكامل.

6 . تُستهل المادة بمقدمة في سطور تبين أهميتها والنتائج والاستنتاجات المستفادة منها، كما تُذيل بثبت للمصادر والمراجع المستخدمة بحيث يكتب اسم المؤلف أولاً، فاسم المصدر أو المرجع، يليه مكان النشر، فاسم الناشر (دار النشر)، وأخيراً تاريخ الصدور فرقم الصفحة.

7 . تقدم الرسوم والأشكال، في حال وجودها، على أوراق منفصلة بحيث تتضمن جميع الشروح والإيضاحات اللازمة، ويقدم كل شكل أو رسم على ورقة منفصلة بحجم الورق المستخدم في كتابة نص المادة على أن يشار بشكل واضح إلى أمكنتها في متن النص.

8 . يتم تعريب المقالات والبحوث الصادرة بلغات أجنبية وفقاً لـ "تعليمات تعريب البحوث والمقالات" المعمول بها في المركز والتي تقوم رئاسة التحرير بتزويد المعرّب بها في حال الموافقة المبدئية على تعريب البحث أو المقالة المقترحة من قبله، وعلى المعربين الالتزام التام بهذه التعليمات.

9 . تنشر المجلة عروضاً للكتب والبحوث والرسائل الجامعية الحديثة التي لا يتعدى الفاصل الزمني بين ظهور المادة المعروضة ووصول العرض إلى المجلة أكثر من عام، هذا ومن الضروري عند تقديم العروض مراعاة التعليمات التالية:

. أن يتضمن العرض ملخصاً يتسم بالإيجاز المحكم للمادة المعروضة.

. أن يكون تركيز العارض على رأيه في المادة المعروضة وتقويمه لها.

. ألاّ يتجاوز عدد صفحات العرض 7 صفحات /2000 كلمة/.

. أن يصحب العرض بمعلومات ببليوغرافية دقيقة عن المادة المعروضة.

- 10 . يتم إبلاغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بتسلم موادهم وبالموافقة المبدئية أو عدمها على النشر، وذلك خلال شهرين من تاريخ تسلم المجلة لها.
- 11 . تعرض المواد المقدمة للنشر في حال قبولها مبدئياً على محكم أو أكثر من ذوي الاختصاص، وذلك على نحو سري، لبيان مدى أصالتها وقيمتها العلمية وسلامة منهجيتها ومن ثم صلاحيتها للنشر، وللمجلة أن تأخذ بتقرير المحكمين أو أن تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر، ولها أيضاً أن تتبنى قراراً بالنشر أو عدمه إذا رأت خلاف ما يراه المحكم.
- 12 . يحق للمجلة . إذا رأت ضرورة لذلك . إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، أما إذا رأت المجلة أو المحكم وجوب إجراء تعديلات جوهرية عليها حتى تصبح صالحة للنشر فإنها تعيدها إلى صاحبها للقيام بهذه التعديلات اللازمة.
- 13 . يتم إبلاغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بالقرار النهائي بالموافقة على النشر أو عدمها وذلك خلال ستة أشهر من تاريخ تسلمها، علماً بأن المجلة ليست ملزمة بإبداء أسباب عدم النشر، كما أنها ليست ملزمة برد المواد التي لا تنشر لأصحابها.
- 14 . تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات أهمها: تاريخ التسلم والأهمية العلمية للمادة المقدمة، ومدى صلاحيتها وجاهزيتها للنشر، وكذلك تنوع مادة العدد والتوزع الجغرافي لمصدرها من مختلف الدول العربية.
- 15 . لا يحق لصاحب المادة المنشورة في مجلة التعريب، ولا لأي جهة أخرى، إعادة نشرها في أي وعاء آخر للنشر إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشرها في المجلة،

التعريب العدد التاسع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2005

وبموافقة خطية من رئيس التحرير مع ضرورة الإشارة إلى هذه الموافقة، وإلى رقم وتاريخ العدد الذي نشرت فيه من المجلة.

16 . إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المركز أو المجلة.

17 . تقدم المجلة مكافأة مالية رمزية عن كل مادة تنشر فيها تصل إلى /200/ دولار أمريكي.

18 . ترسل المواد وتوجه المراسلات باسم الأستاذ الدكتور عادل نوفل مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى العنوان:

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

دمشق . ص.ب: 3752

هاتف: 3334876 (11. 963+)

فاكس: 3330998 (11. 963+)

البريد الإلكتروني: E-mail: acatap@net.sy

الموقع على الانترنت: www.acatap.org



إصدارات المركز من الكتب

1 . هندسة الفيزياء النووية

1 - Nuclear Physics Engineering

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 232 - السعر 12 دولار

2 . هندسة المفاعلات النووية . الجزء الأول

2 - Nuclear Reactors Engineering - Part 1

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 208 - السعر 12 دولار

3 . هندسة المفاعلات النووية . الجزء الثاني

3 - Nuclear Reactors Engineering - Part 2

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 186 - السعر 12 دولار

4 . الإشعاع النووي والوقاية من الإشعاع والتلوث

4 - Nuclear Radiation and Protection

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 448 - السعر 20 دولار

5 . دليل التنمية المائية في الوطن العربي

5 - Water Development guide in Arab World

تأليف: د. محمد شفيق الصفدي - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 78 - السعر 3 دولار

6 . الاتصالات بالألياف البصرية

6 - Fiber Optic Communications

تأليف: جوزيف باليه - ترجمة: أ.د. جورج صنيح - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 608 - السعر 18 دولار

7 . معالجة الصور الرقمية

7 - Digital Image Processing

تأليف: ر. غونزاليز & ب. وينتزر - ترجمة: د. معن عمار - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 728 - السعر 20 دولار

8 . الجيوفيزياء التطبيقية

8 - Applied Geophysics

تأليف: فريق من المختصين الألمان - ترجمة: أ.د. فارس شقير - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 384 - السعر 21 دولار

9 . عروبة البربر

9 - The Berbers are Arab in Origin (the Ignored Fact)

تأليف: أ. محمد علي مادون - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 240 - السعر 12 دولار

10 . الأسس الفيزيائية لليزر التكنولوجية

10 - Physical Fundamentals of Technological Lasers

تأليف: ف. غولوبيف & ف. ليبيديف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 224 - السعر 12 دولار

11 . الأسس الهندسية لإنشاء الليزر التكنولوجية

11 - Engineering Fundamentals of Technological Lasers Buildup

تأليف: ف. غولوبيف & ف. ليبيديف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 240 - السعر 12 دولار

12 . طرائق المعالجة السطحية بالليزر

12 - Methods of Surfaces Treatment by Lasers

تأليف: آ. غريغوريانتس & آ. سافونوف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 264 - السعر 12 دولار

13 . معالجة المواد غير المعدنية بالليزر

13 - Treatment of Non-metallic Materials by Lasers

تأليف: آ. غريغوريانيس & آ. سافونوف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 256 - السعر 12 دولار

14 . مناهج العلوم الاجتماعية . الكتاب الأول

14 - Methods of Social Sciences-Book 1

تأليف: مادلين غراويتز - ترجمة: د. سام عمار - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 454 - السعر 14 دولار

15 . مناهج العلوم الاجتماعية . الكتاب الثاني

15 - Methods of Social Sciences-Book 2

تأليف: مادلين غراويتز - ترجمة: د. سام عمار - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 200 - السعر 10 دولار

16 . نظم التصوير الطبي

16 - Medical Imaging Systems

تأليف: ألبيرت ماكوفسكي - ترجمة: د. محمد موسى - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 336 - السعر 18 دولار

17 . المدخل إلى ميكانيك الكم

17 - Introduction to Quantum Mechanics

تأليف: ر.ديكه & ج. ويتكه - ترجمة: د. آخو يوسف - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 474 - السعر 15 دولار

18 . الاتصالات الراديوية المتنقلة . أسس التصميم

18 - Mobile Communications Design Fundamentals

تأليف: وليم لي - ترجمة: د. زياد سيد سليمان - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 480 - السعر 20 دولار

19 . أنظمة الاتصالات الالكترونية المتقدمة – نفذ –

19 - Advanced Electronic Communications Systems

تأليف: وين توماسي - ترجمة: د. عمر شابسيغ - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 448 - السعر 15 دولار

20 . كهربة الريف

20 - Electrification of Rural Areas

تأليف: كشيشتوف مايكا - ترجمة: أ.د. عبد الله سعيد - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 576 - السعر 15 دولار

21 . الاستشعار عن بعد وتفسير المرئيات

21 - Remote Sensing and Image Interpretation

تأليف: ت. ليليساند & ر. كيپر - ترجمة: أ.د. حسن حلمي خاروف - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 984 - السعر 30 دولار

22 . طب الأمراض المعدية والتغذية – نفذ –

22 - Tropical and Geographical Medicine

تأليف: وارن & محمود - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية الطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 1200 - السعر 32 دولار

23 . المعالجات الراهنة في الممارسة السنية

23 - Current Treatment in Dental Practice

تأليف: نورمان ليفين - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية طب الأسنان بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 624 - السعر 25 دولار

24 . الآلات الكهربائية والميكروية – نفذ –

24 - Electric Machines and Micromachines

تأليف: د. بروسكين - ترجمة: د. عبد المطلب أبو سيف - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 480 -

السعر 18 دولار

25 . التجاوب المغنطيسي النووي

25 - Magneto - nuclear Resonance

تأليف: د. سهام طرابيشي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 232 - السعر 8 دولار

26 . حفظ اللحوم بالتبريد والتجميد - نفذ -

26 - Meat Conservation

تأليف: د. عبد العزيز عروانة - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 128 - السعر 4 دولار

27 . المعادلات التفاضلية . الكتاب الأول - نفذ -

27 - Differential Equations - Part I

تأليف: د. قيصر فيازمينسكي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 288 - السعر 12 دولار

28 . المعادلات التفاضلية . الكتاب الثاني - نفذ -

28 - Differential Equations - Part II

تأليف: د. قيصر فيازمينسكي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 176 - السعر 8 دولار

29 . الكيمياء التحليلية - نفذ -

29 - Analytical Chemistry

تأليف: ج.د. كريستيان - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 760 - السعر 30 دولار

30 . الكيمياء الفيزيائية - نفذ -

30 - Physical Chemistry

تأليف: ألبيرتي & سيلبي - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 1136 - السعر 36 دولار

31 . الكيمياء الحيوية المصورة

31 - Biochemistry Illustrated

تأليف: كامبل & سميث - ترجمة: أ.د. أبو سمرة & د. حمود - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 304 - السعر 15 دولار

32 . علم البيولوجيا . الجزء الأول - نفذ -

32 - Biological Science - Part I

تأليف: سوير وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي العلوم والطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1997 - عدد الصفحات: 620 - السعر 25 دولار

33 . علم البيولوجيا . الجزء الثاني - نفذ -

33 - Biological Science - Part II

تأليف: سوير وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي العلوم والطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1997 - عدد الصفحات: 704 - السعر 25 دولار

34 . الفيزياء المتقدمة - نفذ -

34 - Advanced Physics

تأليف: ك. جيبس - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 616 - السعر 20 دولار

35 . بحوث العمليات

35 - Operations Research

تأليف: رافيندران وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي الهندسة والاقتصاد بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 640 - السعر 25 دولار

36 . كيمياء تحليل الأغذية

36 - Analytical Chemistry of Food

تأليف: سيروين س. جيمس - ترجمة: أ.د. العودة & أ.د. سمينة - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 208 - السعر 8 دولار

37 . الكيماويات الزراعية والبيئة

37 - Agricultural Chemicals and the Environment

تأليف: هيستر & هاريسون - ترجمة: د. عبيدو & د. حجار - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 184
- السعر 7 دولار

38 . معالجة الاضطرابات الفكية والإطباق

38 - Management of Temporomandibular Disorders and Occlusion

تأليف: جيفري ب. أوكسون - ترجمة: لفيف من أستاذة كلية طب الأسنان بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1999
- عدد الصفحات: 616 - السعر 25 دولار

39 . الكيمياء المتقدمة . الجزء الأول

39 - Advanced Chemistry – Volume 1

تأليف: فيليب ماتهيو - ترجمة: د. توفيق ياسين . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 952 - السعر: 35 دولار

40 . الكيمياء المتقدمة . الجزء الثاني

40 - Advanced Chemistry – Volume 2

تأليف: فيليب ماتهيو - ترجمة: أ.د. هيام بيرقدار . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 700 - السعر: 28 دولار

41 . توليد الطاقة الكهربائية بالديناميك الهيدروطيسي

41 – Magnetohydrodynamic Electrical Power Generation

تأليف: هوغو ميسيرل - ترجمة: أ.د. محمد هاشم أبو الخير & د. محمد نوار العوا - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 268 - السعر 10 دولار

42 . الكيمياء العضوية

42 - Organic Chemistry

تأليف: موريسون & بويد - ترجمة: لفيف من كبار أساتذة كليات العلوم في الجامعات السورية - تاريخ الإصدار:

2000 - عدد الصفحات: 1416 - السعر 50 دولار

43 . الكيمياء العامة في سؤال وجواب

43 – General Chemistry – Questions and Answers

تأليف: أ.د. عبد الحليم منصور - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 452 - السعر 12 دولار

44 . الطاقة وسلامة البيئة

44 – Umweltschonende Energietechnik

تأليف: نيكولاي خارتشينكو - ترجمة: د. بسام حمود . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 476 - السعر: 18 دولار

45 . التطبيقات العملية في معالجة اللثة

45 – Periodontal Instrumentation

تأليف: باتيسون & باتيسون - ترجمة: د. ميسون صيداوي خوري - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 516 - السعر: 15 دولار

46 . المدخل إلى الإحصاء الطبي

46 – An Introduction to Medical Statistics

تأليف: مارتن بلاند - ترجمة: أ.د. أحمد ديب دشاش & أ. شفيق ياسين & د. وائل الإمام - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 516 - السعر 15 دولار

47 - حقن البنزين وتقانة الحفازات

47 – Benzineinspritzung und Katalysatortechnik

تأليف: يورجن كازيدورف - ترجمة: د. بسام حمود - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 392 - السعر 12 دولار

48 – الأتمتة الصناعية والمؤتمتات القابلة للبرمجة PLC

48 – Industrial Automation and PLCs

تأليف: د. نور الدين شيخ عبيد – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 224 – السعر 6 دولار

49 – الوجيز في الصرف الصحي في المدن

49 - Taschenbuch der Stadtentwässerung

تأليف: كارل وكلاوس إمهوف – ترجمة: د. غسان دره الحداد ود. جورج زهر – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 456 – السعر 15 دولار

50 – الأشكال الصيدلانية الجرعية ونظم إيتاء الدواء

50 - Pharmaceutical Dosage Forms and Drug Delivery Systems

تأليف: هاوارد أنسل وآخرون – ترجمة: نخبة من أساتذة كليات الصيدلة في الجامعات العربية – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 896 – السعر 25 دولار

51 – التريكين – دليل تدبير المريض

51 - SEDATION - A Guide to Patient Management

تأليف: ستانلي مالاميد – ترجمة: د. محمد كامل التيناوي – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 920 – السعر 27 دولار

52 – الشبكات العصبونية الصناعية بين النظرية والتطبيق – الجزء الأول

52 – Artificial Neural Networks: Theory and Applications – Part I

تأليف: د. أحمد الكرمو – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 364 – السعر 10 دولار

53 – الشبكات العصبونية الصناعية بين النظرية والتطبيق – الجزء الثاني

53 - Artificial Neural Networks: Theory and Applications – Part II

تأليف: د. أحمد الكرمو – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 424 – السعر 12 دولار

54 – منشآت تجميع مياه الأمطار – إرشادات تنفيذية

54 – Regenwasser Sammelanlage

تأليف: فولفجانج بريدوف – ترجمة: أ. نزيه يانس – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 160 – السعر 5 دولار

55 - الهندسة

55 - Geometry

تأليف: ديفيد برانان وآخرون - ترجمة: د. مها النبهان و د. محمود باكير - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 628 - السعر 20 دولار

56 - الأمراض حيوانية المصدر - الأمراض الخمجية التي تنتقل من الحيوان إلى الإنسان

56 - Zoonosen Von Tier zu Mensch übertragbare Infektionskrankheiten

تأليف: ه. كراوس وآخرون - ترجمة: د. مروان الوزه و د. رضوان حاغور - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 688 - السعر 15 دولار

57 - مواد البناء واختباراتها - شروح ومسائل وتمارين

57 - Building Materials Testing

تأليف: د. أسامة صالح ميرو - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 272 - السعر 6 دولار

58 - أساسيات ضبط الجودة الإحصائي

58 - Fundamentals of Statistical Quality Control

تأليف: روبرت بوند - ترجمة: د. حسن السيد و أ. شفيق ياسين - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 432 - السعر 14 دولار

59 - جيوتقنية مكبات النفايات ومظامرها

59 - GDA-Empfehlungen Geotechnik der Deponien und Altablaster

تأليف: مجموعة من الخبراء الألمان التابعين للمؤسسة الجيوتقنية الألمانية - ترجمة: د. منذر عمران و د. سعيد العاقل - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 864 - السعر 25 دولار

60 - التنمية الزراعية المستدامة

60 - Agricultural Sustainable Development

تأليف: أ.د. محمود الأشرم - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 264 - السعر 7 دولارات

61 - تنظيم الحاسوب وبنائه

61 - Computer Organization and Architecture: Designing for Performance

تأليف: ويليام ستولنغر - ترجمة: د. محمد نوار العوا و د. جورج صنيح و د. فيصل العباس - تاريخ الإصدار:

2002 - عدد الصفحات: 748 - السعر 21 دولار

62 - أسس الاتصالات اللاسلكية لـ لي

62 - Lee's Essentials of Wireless Communications

تأليف: ويليام لي - ترجمة: م. محمد موفق العوا - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 344 - السعر 12 دولار

63 - التطبيب والرعاية الصحية عن بُعد

63 - Telemedicine and Telehealth

تأليف: داركنز وكيري - ترجمة: د. محمد فراس الحناوي ود. مروان الوزه - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 424 - السعر 14 دولار

64 - طب العيون العام

64 - General Ophthalmology

تأليف: فاوغهان وآسبوري وريوردان - ترجمة: لفيف من أطباء العيون السوريين - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 696 - السعر 18 دولار

65 - اقتصاديات البيئة والزراعة والغذاء

65 - Economics of Environment, Agriculture and Food

تأليف: أ.د. محمود الأشرم - تاريخ الإصدار: 2003 - عدد الصفحات: 640 - السعر 14 دولار

66 - مبادئ تحلية المياه المالحة

66 - Principles of Salt Water Desalination

تأليف: أ.د. معن العظمة - تاريخ الإصدار: 2003 - عدد الصفحات: 232 - السعر 5 دولار

67 - التقانات العالية والمجتمعات ذات الدخل المنخفض

67 - High Technology and Low-Income Communities

تأليف: دونالد سشون وآخرون - ترجمة: د. راكان رزوق - تاريخ الإصدار: 2003 - عدد الصفحات: 428 - السعر 9 دولار

68 - علم العقاقير لـ تريز وإيفانز

68 - Trease and Evans Pharmacognosy

تأليف: و.س. إيفانز - ترجمة: نخبة من أساتذة كليات الصيدلة في الجامعات العربية - تاريخ الإصدار: 2003 - عدد الصفحات: 1044 - السعر 28 دولار

69 - محاضرات في الطب الجزيئي

69 - Lecture Notes on Molecular Medicine

تأليف: جون برادلي وآخرون - ترجمة: أ.د. وفيفة زرزور - تاريخ الإصدار: 2003 - عدد الصفحات: 244 - السعر 6 دولار

70 - نظم الطاقات المتجددة - التكنولوجيا - الحسابات

70 - Regenerative Energiesystem

تأليف: فولكار كاشنينغ - ترجمة: د.م. بسام حمود - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 414 - السعر 7 دولار

71 - الاقتصاد الهندسي

71 - Engineering Economy

تأليف: وليام ج. سوليفان & جيمس ت. لوكسوج ويكس - ترجمة: د. محمد نايفة ود. محمد جلال و د. لبانة مشوح و د. محمد نوار العوا - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 744 - السعر 19 دولار

72 - التقانات الحيوية من الألف إلى الياء

72 - Biotechnology from A to Z

تأليف: وليامز بنز - ترجمة: أ.د. عبد العزيز محمد البوني - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 544 - السعر 13 دولار

73 - تكنولوجيا تنفيذ وتنظيم الأعمال الترابية في المشاريع الهندسية

تأليف: د.م. محمد بشار الحفار و د.م. نبيل غازي الهزيم - مراجعة: د.م. رياض الحسين - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 267 - السعر 6 دولار

74 – الأساليب المتغيرة لدراسة تعليم الكبار

74 - Changing Approaches to Studying Adult Education

تأليف: هوي ب. لونج وآخرون – ترجمة: الدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبيل – تاريخ الاصدار: 2004 – عدد الصفحات: 170 – السعر 5 دولار.

75 – طب الأسنان الوقائي الأولي

75 – Primary Preventive Dentistry

تأليف: نورمان هاريس وآخرون – ترجمة: د. ميسون صيداوي خوري – تاريخ الاصدار: 2005 – عدد الصفحات: – السعر 19 دولار.

الكتب قيد الإصدار

- 1 - الوجيز في الفيضانات Hochwasser-Handbuch: Auswirkungen und Schutz
- 2 - الفارماكولوجيا السريرية Clinical Pharmacology
- 3 - علم الجنين لـ - نغمان Langman's Medical Embryology
- 4 - طب النساء، النسائيات Gynaecology by 10 Teachers
- 5 - طب التوليد Obstetrics by 10 Teachers
- 6 - المعلومات الطبية من الإنترنت Medical Information on the Internet
- 7 - سلسلة كتيبات حول التدبير العلاجي للسمل (لصالح مكتب منظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط - القاهرة)
- 8 - سلسلة كتيبات حول الصحة النفسية (لصالح مكتب منظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط - القاهرة)
- 9 - سلسلة كتب الأمراض حيوانية المصدر (لصالح مكتب منظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط - القاهرة)

الكتب التربوية

T1 - تكوين معلمين مهنيين . الاستراتيجيات والكفايات

T1 - Former Des Enseignants Professionnels: Quelles stratégies? Quelles Compétences?

تأليف: ليوبولد باكي وآخرون - ترجمة: أ.د. نور الدين ساسي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 276 - السعر 10 دولار

T2 - تدخلات الصحة النفسية في أطفال ما قبل المدرسة

T2 - Mental Health Interventions with Preschool Children

تأليف: ليمان & كيجن - ترجمة: أ.د. سليمان ربحاني وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 340 - السعر 12 دولار

T3 - إعداد التلاميذ للقرن الحادي والعشرين

T3 - Preparing Students for the 21st Century

تأليف: دونا أوتشيدا وآخرون - ترجمة: أ.د. محمد نبيل نوفل - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 112 - السعر 4 دولار

T4 - تطوير نظم الجودة في التربية

T4 - Developing Quality Systems in Education

تأليف: جيفري دوهيرتي - ترجمة: أ.د. عدنان الأحمد وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 388 - السعر 12 دولار

T5 - صعوبات القراءة . منظور لغوي تطوري

T5 - Reading Disabilities: A Developmental Language Perspective

تأليف: كامحي & كاتس - ترجمة: أ.د. حمدان علي نصر وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 408 - السعر 13 دولار

T6 – تعليم العلوم لجميع الأطفال

T6 - Teaching Science for all Children

تأليف: مارتن وآخرون - ترجمة: أ.د. هاشم إبراهيم وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 608 - السعر 20 دولار

T7 – التصميم المنظم للتعليم

T7 - The Systematic Design of Instruction

تأليف: ديك & كيري - ترجمة: أ.د. محمد ذيبان غزاوي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 392 - السعر 15 دولار

T8 – التربية الأساسية النخبة . تطوير الكفاءات

T8 - Quality Basic Education: The Development of Competence

تأليف: جوان فريمان - ترجمة: أ.د. صالحة سنقر - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 288 - السعر 9 دولار

T9 – إدارة نظم التعلم عن بعد

T9 - The Management of Distance Learning Systems

تأليف: غريفييل رامبل - ترجمة: أ.د. فاطمة الجبوشي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 100 - السعر 3 دولار

T10 – المرجع في جهود محو الأمية

T10 - A Source Book for Literacy Work

تأليف: ه. س. بولا - ترجمة: أ.د. صالح عزب - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 220 - السعر 8 دولار

T11 – الانترنت للمعلمين واختصاصيي المكتبات المدرسية

T11 – The Internet for Teachers and School Library media Specialists

تأليف: إدوارد فاللاوسكاس & مونیکا إرثل - ترجمة: د. عبد الرزاق يونس - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 280 - السعر 8 دولار

T12 – تشكيل المستقبلات . التعلم من أجل الكفاية والمواطنة

T12 – Shaping Futures: Learning for Competence and Citizenship

تأليف: كارين إيفانس - ترجمة: أ.د. خميس بنحميده - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 208 - السعر 6 دولار

T13 – سيكولوجيا التربية والتكوين

T13 – Manuel de Psychologie de L'Éducation et de la Formation

تأليف: ألان ليوري وزملاؤه - ترجمة: أ.د. وجيه أسعد - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 484 - السعر 14 دولار

T14 – الدافعية والنجاح المدرسي

T14 – Motivation et Réussite Scolaire

تأليف: ألان ليوري & فابيان فونوييه - ترجمة: أ.د. محمد الطيب سعداني - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 132 - السعر 5 دولار

T15 – تنمية التفكير المنطقي عند الأطفال

T15 – Developing Logical Thinkers

تأليف: داريل فيلبس & ديل فيلبس - ترجمة: د. إبراهيم المومني - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 540 - السعر 15 دولار

T16 – تعليم الموهوبين والمتفوقين

T16 - Education of the Gifted and Talented

تأليف: كيري ديفيز وسيلفيا ريم - ترجمة: د. عطوف ياسين - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 704 - السعر 15 دولار

T17 – التقويم الصفّي والتعلم

T17 – Classroom Assessment and Learning

تأليف: مارغريت غريدلر - ترجمة: أ.د. كمال رفيق الجراح - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 340 - السعر 8 دولارات

T18 – من أجل نظرية في البيداغوجيا

T18 – Pour une theorie de la Pedagogie: Recherches Contemporaines sur le savoir des enseignants

تأليف: كليروا غوتيه وآخرون – ترجمة: أ. وجيه أسعد – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 380 – السعر 8 دولارات

T19 – تكوين المعلمين المستمر وجدواه

T19 – La formation continue des enseignants est elle utile?

تأليف: ماري – ميشيل كوترمان وآخرون – ترجمة: أ.د. نور الدين ساسي – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 240 – السعر 6 دولارات

T20 – المتعلم الكبير – الأثر الكلاسيكي المتميز في تعليم الكبار وتطوير الموارد البشرية

T20 - The Adult Learner: The Definitive Classic in Adult Education and Human Resource Development

تأليف: مالكوم نوليس وآخرون – ترجمة: أ.د. عدنان الأحمد – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 336 – السعر 8 دولار

T21 – نحو فهم لقيادة المناهج الديمقراطية

T21 – Understanding Democratic Curriculum Leadership

تأليف: هندرسن وكيسون – ترجمة: أ.د. خميس بنحميده – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 192 – السعر 5 دولارات

T22 – التعليم التحويلي – رؤية تربوية للقرن الحادي والعشرين

T22 – Transformative Learning - Educational Vision for the 21st Century

تأليف: ادموند او سيلفان – ترجمة: أ.د. عبد الله العابد أبو جعفر – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 400 – السعر 9 دولارات

T23 – تكيف مناهج الطفولة المبكرة في بيئات شاملة

T23 – Adapting Early Childhood Curricula for Children in Inclusive Settings

تأليف: كوك وآخرون – ترجمة: د. مطانيوس مخائيل ود. علي سعود حسن – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 720 – السعر 18 دولار